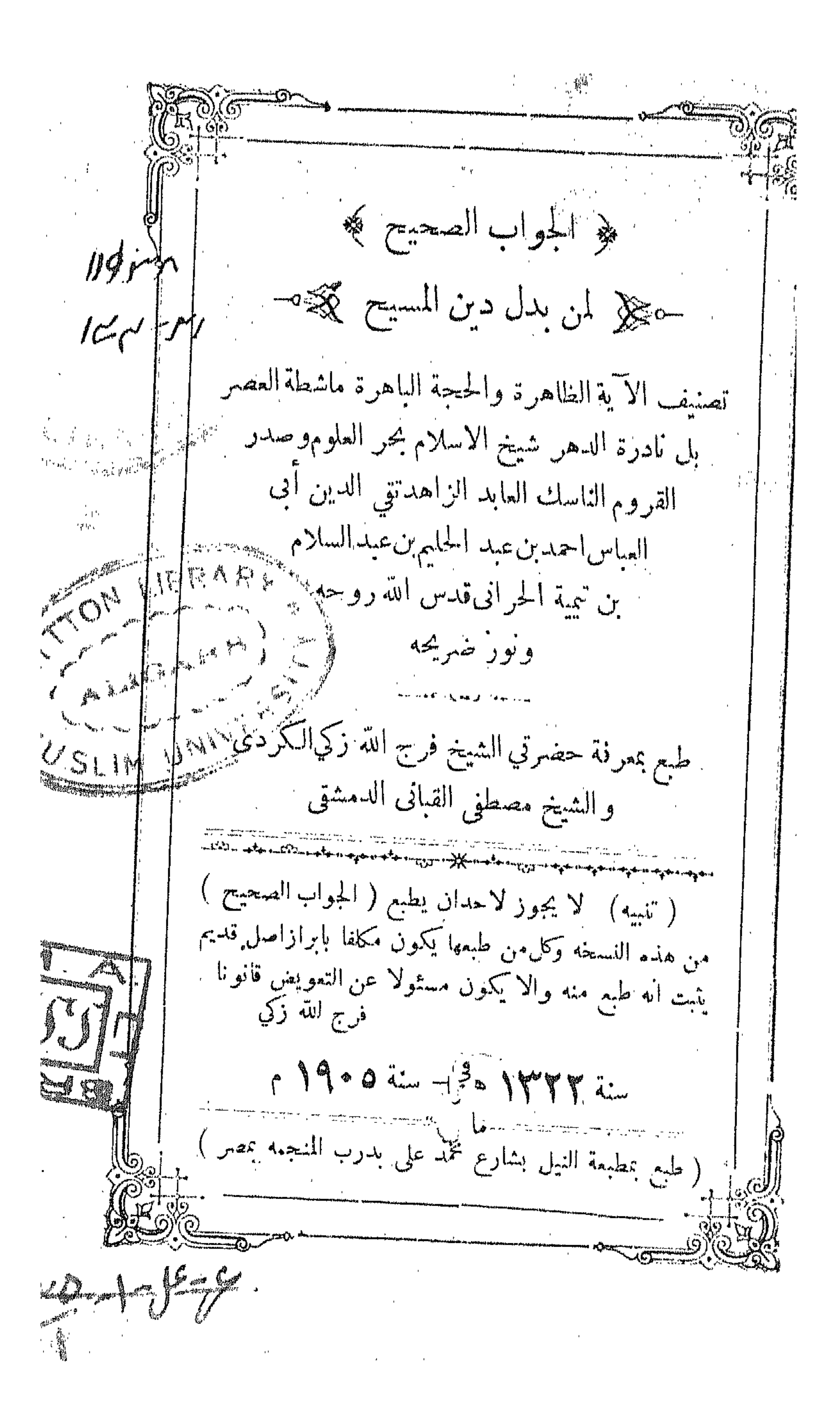


الجواب الصحيح

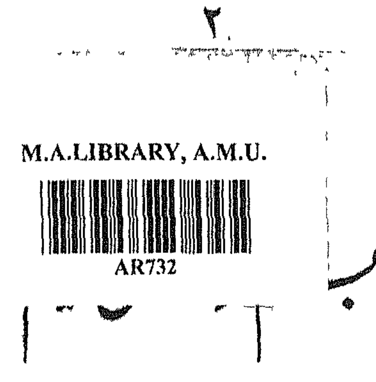
لمن بدل دين المسيح

تصنيف الآية الظاهرة والحجة الباهرة ماشطة العصر
بل نادرة الدهر شيخ الاسلام بحر العلوم وصدر
القروم الناسك العابد الزاهد تقي الدين أبي
العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
بن تيمية الحراني قدس الله روحه
ونور ضريحه

طبع بمعرفة حضرتي الشيخ فرج الله زكي الكردي
والشيخ مصطفى القباني الدمشقي

سنة ١٣٢٣ هجرية سنة ١٩٠٥ م

(طبع بمطبعة النيل بشارع محمد علي بدرب المنجمه بمصر)



لااله الا الله محمد رسول الله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك
يوم الدين الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات
والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الحمد لله الذي لم تخذ ولداً ولم
يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً والله
اكبر الله اكبر لااله الا الله الله اكبرالله اكبر ولله الحمد الله اكبر كبيراً
والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة واصيلا الحمد لله الذى انزل على
عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات إن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً
وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآباءهم كبرت
كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا والحمد لله الذى له ما فى
السموات وما في الارض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم
ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
الرحيم الغفور والحمدلله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا
اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل

بشيء قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل
له من بعده وهو العزيز الحكيم واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض
من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا
يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا
يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفواً أحد الاول الآخر الظاهر الباطن الملك القدوس السلام المؤمن
المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى
يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى
بالله شهيداً أرسله بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله
باذنه وسراجا منيراً أرسله الى جميع الثقلين الجن والانس عربهم
وعجمهم أميهم وكتابيهم وأنزل عليه أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من
هاد كتاب أنزله اليه ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم
ويهديهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في
الارض هداهم به الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات
وما في الارض ألا الى الله تصير الامور وهو الصراط المستقيم صراط
الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو
دين الله الذي بعث به الرسل قبله كما قال تعالى شرع لكم من الدين

ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وانا ربكم فاتقون) كما قال فى الآية الأخرى (وأنا ربكم فاعبدون فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) وقال تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا إله الا أنا فاعبدون وقال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أنزل عليه الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فصدق كتابه مابين يديه من كتب السماء وأمر بالايمان بجميع الانبياء كما قال تعالى قولوا أمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وهيمن على ما بين يديه من الكتاب وذلك يعم الكتب كلها شاهداً وحاكماً ومؤتمناً شهد بمثل ما فيها من الاخبار الصادقة وقرر ما فى الكتب المتقدمة من اصول الدين وشرائعه الجامعة التى اتفقت عليها الرسل كالوصايا المذكورة فى آخر الانعام واول سورة الاعراف وسورة سبحان ونحوها من السور المكية قال تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين

احساناً ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هى احسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وقال تعالى قل امر ربى بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرّم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وان تقولوا على الله ما لا تعلمون وقال تعالى وقضي ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احساناً إما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ربكم أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوآبين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان

الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يُسرف فى القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ اشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش فى الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً ذلك بما أوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً) فدين الانبياء والمرسلين دين واحد وان كان لكل من التوراة والانجيل شرعة ومنهاج ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق على صحته عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انا معاشر الانبياء ديننا واحد وانا اولى الناس بابن مريم لانه ليس بينى وبينه نبي فدين المرسلين بخالف دين المشركين المبتدعين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً قال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا

تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون) وقال تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً اني بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون وقال فى الآية الاخرى فاعبدون فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقد خص الله تبارك وتعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بخصايص ميزه بها على جميع الانبياء والمرسلين وجعل له شرعة ومنهاجاً أفضل شرعة وأكمل منهاج مبين كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها على الله من جميع الاجناس هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه من الحق قبلهم وجعلهم وسطاً عدلا خيارا فهم وسط في توحيد الله واسمائه وصفاته وفى الايمان برسله وكتبه وشرائع دينه من الامر والنهى والحلال والحرام فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث لم يحرم عليهم شيئاً من الطيبات كما حرم على اليهود ولم يحلل لهم شيئاً من الخبايث كما استحلتها النصارى ولم يضيق عليهم باب الطهارة والنجاسة كما ضيق على اليهود ولم يرفع عنهم طهارة الحدث والخبث كما رفعته النصارى فلا يوجبون الطهارة من الجنابة ولا الوضوء للصلاة ولا اجتناب النجاسة فى الصلاة بل يعد كثير

من عبادهم مباشرة النجاسات من انواع القرب والطاعات حتى يقال فى فضائل الراهب له اربعون سنة ما مس الماء ولهذا تركوا الختان مع انه شرع ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واتباعه واليهود عندهم اذا حاضت المرأة لا يواكلونها ولا يشاربونها ولا يقعدون معها فى بيت واحد والنصارى لا يحرمون وطئ الحائض وكان اليهود لا يرون ازالة النجاسة بل اذا اصاب ثوب احد منهم قرضه بالمقراض والنصارى ليس عندهم شيء نجس يحرم اكله او تحرم الصلاة معه وكذلك المسلمون وسط فى الشريعة فلم يجحدوا شرعه الناسخ لاجل شرعه المنسوخ كما فعلت اليهود ولا غيروا شيئاً من شرعه المحكم ولا ابتدعوا شرعاً لم يأذن به الله كما فعلت النصارى ولا غلوا فى الانبياء والصالحين كغلو النصارى ولا بخسوهم حقوقهم كفعل اليهود ولا جعلوا الخالق سبحانه وتعالى متصفاً بخصايص المخلوق ونقايصه ومعايبه من الفقر والبخل والعجز كفعل اليهود ولا المخلوق متصفاً بخصايص الخالق سبحانه التى ليس كمثله فيها شيء كفعل النصارى ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود ولا أشركوا بعبادته أحدا كفعل النصارى وأهلُ السنة والجماعة فى الاسلام كاهل الاسلام فى أهل الملل فهم وسط فى باب صفات الله عز وجل بين أهل الجحد والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله من غير تعطيل ولا تمثيل اثباتاً لصفات الكمال وتنزيهاً له عن ان يكون له فيها انداد وأمثال اثبات بلا تمثيل وتنزيه بلا تعطيل كما قال تعالى ليس كمثله شيءٌ وهو رد على الممثلة وهو السميع البصير رد على المعطلة وقال تعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد

ولم يكن له كفوا أحد فالصمد السيد المستوجب لصفات الكمال والاحد الذى ليس له كفو ولا مثال وهم وسط فى باب أفعال الله عز وجل بين المعتزلة المكذبين بالقدر والجبرية النافين لحكمة الله ورحمته وعدله والمعارضين بالقدر امر الله ونهيه وثوابه وعقابه وفى باب الوعد والوعيد بين الوعيدية الذين يقولون بتخليد عصاة المسلمين فى النار وبين المرجيئة الذين يجحدون بعض الوعيد وما فضل الله به الابرار على الفجار وهم وسط في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الغالى فى بعضهم الذى يقول فيه بالهية اونبوة او عصمة والجافى فيهم الذى يكفر بعضهم او يفسقه وهم خيار هذه الامة والله سبحانه وتعالى ارسل محمداً صلى الله عليه وسلم للناس رحمة وانعم به نعمة يا لها من نعمة قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً. وهم الذين لم يؤمنوا بمحمد صلي الله عليه وسلم فارساله أعظم نعمة أنعم الله بها على عباده فجمع الله لامته بخاتم النبيين وامام المتقين وسيد ولدآدم اجمعين ما فرقه في غيرهم من الفضايل وزادهم من فضله انواع الفواضل بل اتاهم كفلين من رحمته كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يوءتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب ان لايقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وفي الصحيحين عن بن عمر وابى موسى عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال انما اجلكم في اجل من خلا من الامم ما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا

فقال من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين الا فانتم الذين تعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء فقال الله تعالى فهل ظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا لا قال الله تعالى فانه فضلى أعطيه من شئت (أما بعد) فان الله تبارك وتعالى جعل محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وأكمل له ولامته الدين وبعثه على حين فترة من الرسل وظهور الكفر وانطماس السبل فاحيا به ما درس من معالم الايمان وقمع به أهل الشرك والكفر من عبدة الاوثان والنيران والصابئان وأذل به كفار أهل الكتاب أهل الشرك والارتياب وأقام به منار دينه الذى ارتضاه وشاد به ذكر من اجتباه من عباده واصطفاه وأظهر به ما كان مخفياً عند أهل الكتاب وأبان به ما عدلوا فيه عن منهج الصواب وحقق به صدق التوراة والزبور والانجيل واماط به عنها ما لبس بجفها من باطل التحريف والتبديل وكان من سنة الله تبارك وتعالى مواترة الرسل وتعميم الخلق بهم بحيث يبعث فى كل أمة رسولا ليقيم هداه وحجته كما قال تعالى ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت وقال تعالى انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة الا خلا فيها نذير وقال تعالى ثم أرسلنا رسلنا تترى وقال انا أوحينا اليك

كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ولما أهبط آدم الى الارض قال تعالى قلنا اهبطوا منها جميعاً فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال في الآية الاخرى فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وابقى وقال تعالى عن اهل النار كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال تعالى يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون (فصل) وكان دينه الذي ارتضاه لنفسه هو دين الاسلام الذي بعث الله به الاولين والآخرين من الرسل ولا يقبل من احد ديناً غيره لا من الاولين ولا من الآخرين وهو دين الانبياء واتباعهم

كما اخبر الله بذلك عن نوح ومن بعده الى الحواريين قال تعالى واتل
عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري
بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم
عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من أجر
ان اجري الا على الله وامرت أن اكون من المسلمين وقال تعالى عن
ابراهيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم الامن سفه نفسه ولقد اصطفيناه
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت
لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم
الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون وقال تعالى عن يوسف الصديق
رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات
والارض انت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين
وقال تعالى عن موسى انه قال يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا
ان كنتم مسلمين وأخبر تعالى عن السحرة انهم قالوا لفرعون وماتنقم
منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا
مسلمين وقال تعالي عن بلقيس ملكة اليمن رب اني ظلمت نفسي
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين وقال تعالى عن انبياء بني إسرائيل
انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين
هادوا وقال تعالى عن المسيح فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من
انصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بانا
مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين
وقال تعالى واذ أوحيت الى الحواريين ان أمنوا بي وبرسولي

قالوا آمنا وأشهد بانا مسلمون فهذا دين الاولين والآخرين من الانبياء واتباعهم هو دين الاسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له وعبادته تعالى فى كل زمان ومكان بطاعة رسله عليهم السلام فلا يكون عابداً له مَن عَبده بخلاف ما جاءت به رسله كالذين قال تعالى فيهم ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله فلا يكون مؤمناً به الا من عبده بطاعة رسله ولا يكون مؤمناً به ولا عابداً له الا من آمن بجميع رسله واطاع من ارسل اليه فيطاع كل رسول الى ان يأتي الذى بعده فتكون الطاعة للرسول الثانى ومن يطع الرسول فقد اطاع الله قال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ومن فرق بين رسله فآمن ببعض وكفر ببعض كان كافراً كما قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف نؤتيهم اجورهم وكان الله غفوراً رحيما فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ولم يكن بعده رسول ولا من يجدد الدين لم يزل الله سبحانه وتعالى يقيم لتجديد الدين من الاسباب ما يكون مقتضياً لظهوره كما وعد به فى الكتاب فيظهر به محاسن الايمان ومحامده ويعرف به مساوى الكفر ومفاسده ومن اعظم اسباب ظهور الايمان والدين وبيان حقيقة انبأ المرسلين ظهور المعارضين لهم من اهل الافك المبين كما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف

القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون أفغير الله ابتغي حكماً وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وقال تعالى ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيرا . وذلك ان الحق اذا جحد وعورض بالشبهات اقام الله تعالى له مما يحق به الحق ويبطل به الباطل من الآيات البينات بما يظهره من أدلة الحق وبراهينه الواضحة وفساد ما عرضه من الحجج الداحضة فالقرآن لما كذب به المشركون واجتهدوا على ابطاله بكل طريق مع انه تحداهم بالاتيان بمثله ثم بالاتيان بعشر سور ثم بالاتيان بسورة واحدة كان ذلك مما دل ذوى الالباب على عجزهم عن المعارضة مع شدة الاجتهاد وقوة الاسباب ولو اتبعوه من غير معارضة واصرار على التبطيل لم يظهر عجزهم عن معارضته التى بها يتم الدليل وكذلك السحرة لما عارضوا موسى عليه السلام وأبطل الله ما جاءوا به كان ذلك مما بين الله تبارك وتعالى به صدق ما جاء به موسى عليه السلام وهذا من الفروق بين آيات الانبياء وبراهينهم التى تسمى بالمعجزات وبين ما قد يشتبه بها من خوارق السحرة وما للشيطان من التصرفات فان بين هاذين فروقا

متعددة منها ما ذكره الله تعالى فى قوله هل أنبيكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك أثيم ومنها ما بينه فى آيات التحدي من ان آيات الانبياء عليهم السلام لا يمكن ان تعارض بالمثل فضلا عن الاقوى ولا يمكن احدا ابطالها بخلاف خوارق السحرة والشياطين فانه يمكن معارضتها بمثلها وأقوي منها ويمكن ابطالها وكذلك ساير اعداء الانبياء من المجرمين شياطين الانس والجن الذين يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا اذا أظهروا من حججهم ما يحتجون به على دينهم المخالف لدين الرسول ويموهون فى ذلك بما يلفقونه من منقول ومعقول كان ذلك من اسباب ظهور الايمان الذى وعد الله تعالى بظهوره على الدين كله بالبيان والحجة والبرهان ثم بالسيف واليد والسنان قال الله تعالى لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز وذلك بما يقيمه الله تبارك وتعالى من الايات والدلائل التى يظهر بها الحق من الباطل والحالي من العاطل والهدى من الضلال والصدق من المحال والغي من الرشاد والصلاح من الفساد والخطأ من السداد وهذا كالمحنة للرجال التى تميز بين الخبيث والطيب قال الله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وقال تعالى آلم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون • والفتنة

هي الامتحان والاختبار كما قال موسى عليه السلام ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء • اي امتحانك واختبارك تضل بها من خالف الرسل وتهدي بها من اتبعهم والفتنة للانسان كفتنة الذهب اذا ادخل كير الامتحان فانها تميز جيده من رديئه فالحق كالذهب الخالص كلما امتحن ازداد جودة والباطل كالمغشوش المغشى اذا امتحن ظهر فساده فالدين الحق كلما نظر فيه الناظر وناظر عنه المناظر ظهرت له البراهين وقوى به اليقين وازداد به ايمان المؤمنين واشرق نوره في صدور العالمين والدين الباطل اذا جادل عنه المجادل ورام ان يقيم عوده المايل اقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ويبين ان صاحبه الاحمق كاذب مايق وظهر فيه من القبيح والفساد والحلول والاتحاد والتناقض والالحاد والكفر والضلال والجهل والمحال ما يظهر به لعموم الرجال ان اهله من أضل الضلال حتى يظهر فيه من الفساد ما لم يكن يعرفه اكثر العباد ويتنبه بذلك من كان غافلا من سنة الرقاد من كان لا يميز الغي من الرشاد ويحيي بالعلم والايمان من كان ميت القلب لا يعرف معروف الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا ينكر منكر المغضوب عليهم والضالين فان ماذم الله به اليهود والنصارى في كتابه مثل تكذيب الحق المخالف للهوى والاستكبار عن قبوله وحسد اهله والبغي عليهم واتباع سبيل الغي والبخل والجبن وقسوة القلوب ووصف الله سبحانه وتعالى بمثل عيوب المخلوقين ونقايصهم وجحد ما وصف به نفسه من صفات الكمال المختصة به التي لا يماثله فيها مخلوق وبمثل الغلو في الانبياء والصالحين والاشراك في العبادة

لرب العالمين والقول بالحلول والاتحاد الذى يجعل العبد المخلوق هو رب العالمين والخروج فى اعمال الدين عن شرائع الانبياء والمرسلين والعمل بمجرد هوى القلب وذوقه ووجده فى الدين من غير اتباع العلم الذى انزله الله فى كتابه المبين واتخاذ اكابر العلماء والعباد اربابا يتبعون فيما يبتدعونه من الدين المخالف للانبياء عليهم السلام كما قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) ومخالفة صريح المعقول وصحيح المنقول بما يظن انه من التنزلات الالهية والفتوحات القدسية مع كونه من وساويس اللعين حتى يكون صاحبها ممن قال الله فيه (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير) وقال تعالى فيه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل) الى غير ذلك من انواع البدع والضلالات التى ذم الله بها اهل الكتابين فانها مما حذر الله منه هذه الامة الاخيار وجعل ما حل بها عبرة لأولى الابصار وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه لا بد من وقوعها فى بعض هذه الامة وان كان قد اخبر صلى الله عليه وسلم انه لا يزال في امته امة قائمة على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة وان امته لا تجتمع على ضلالة ولا يغلبها من سواها من الامم بل لا تزال ظاهرة منصورة متبعة لنبيها المهدى المنصور ولكن لا بد ان يكون فيها من يتبع سنن اليهود والنصارى والروم والمجوس كما فى الصحيحين عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لتتبعن سنن من

كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا في جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصاري قال فمن وفي الصحيحين أيضاً عن ابي سعيد رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لتأخذن امتي مأخذ الامم قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع قالوا يا رسول الله فارس والروم قال فمن الناس الا اولئك وفي المظهرين للاسلام منافقون والمنافقون في الدرك الاسفل من النار تحت اليهود والنصارى فلهذا كان ماذم الله به اليهود والنصارى قد يوجد في المنافقين المنتسبين للاسلام الذين يظهرون الايمان بجميع ماجاء به الرسول ويبطنون خلاف ذلك كالملاحدة والباطنية فضلا عمن يظهر الالحاد منهم ويوجد بعض ذلك في اهل البدع ممن هو مقر بعموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً لكن اشتبه عليه بعض ما اشتبه على هؤلاء فاتبع المتشابه وترك المحكم كالخوارج وغيرهم من أهل الاهوآء وللنصارى في صفات الله سبحانه وتعالى واتحاده بالمخلوقات ضلال شاركهم فيه كثير من هؤلاء بل من الملاحدة من هو أعظم ضلالا من النصارى • والحلول والاتحاد نوعان عام وخاص فالعام كالذين يقولون ان الله بذاته حال في كل مكان او ان وجوده عين وجود المخلوقات • والخاص كالذين يقولون بالحلول والاتحاد في بعض اهل البيت كعلي وغيره مثل النصيرية وامثالهم او بعض من ينتسب الى اهل البيت كالحاكم وغيره مثل الدرزية وأمثالهم أو بعض من يعتقد فيه المشيخة كالحلاجية وأمثالهم فمن قال ان الله سبحانه وتعالى حل او اتحد باحد من الصحابة او القرابة او المشائخ فهو من هذا الوجه اكفر من النصارى الذين قالوا بالاتحاد والحلول في المسيح فان المسيح عليه السلام افضل من هؤلاء

كلهم ومن قال بالحلول والاتحاد العام فضلا له اعم من ضلال النصارى وكذلك من قال بقدم ارواح بنى آدم أو أعمالهم اوكلامهم أو أصواتهم أو مداد مصاحفهم أو نحو ذلك ففى قوله شعبة من قول النصارى فبمعرفة حقيقة دين النصارى وبطلانه يعرف به بطلان ما يشبه أقوالهم من اقوال أهل الالحادوالبدع فاذا جاءنورالايمان والقرآن اذهق الله به ماخالفه كما قال تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)وابان الله سبحانه وتعالى من فضايل الحق ومحاسنه ما كان به محقوقاً وكان من أسباب نصر الدين وظهوره ان كتاباً ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم وفضلاء ملتهم قديماً وحديثاً من الحجج السمعية والعقلية فاقتضى ان نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب وبيان الخطأ من الصواب لينتفع بذلك اولو الالباب ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب وانا اذكر ما ذكروه بالفاظهم باعيانها فصلا فصلا واتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعاً واصلا وعقداً وحلا وما ذكروه فى هذا الكتاب هو عمدتهم التى يعتمد عليها علماءهم فى مثل هذا الزمان وقبل هذا الزمان وان كان قد يزيد بعضهم على بعض بحسب الاحوال فان هذه الرسالة وجدناهم يعتمدون عليها قبل ذلك ويتناقلها علماءهم بينهم والنسخ بها موجودة قديمة وهى مضافة الى بولص الراهب اسقف صيدا الانطاكي كتبها الى بعض اصدقائه وله مصنفات فى نصر النصرانية وذكر انه لما سافر الى بلاد الروم والقسطنطينية وبلاد الملافطة وبعض اعمال الافرنج وروميه واجتمع باجلاء أهل تلك الناحية وفاوض افاضلهم وعلماءهم وقدعظم

هذه الرسالة وسماها الكتاب المنطيقي الدولة خاني المبرهن عن الاعتقاد الصحيح والرأي المستقيم • ومضمون ذلك ستة فصول (الفصل الاول) دعواهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم بل الى اهل الجاهلية من العرب ودعواهم ان فى القرآن ما يدل على ذلك والعقل يدل على ذلك (الفصل الثانى) دعواهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم اثنى فى القرآن على دينهم الذى هم عليه ومدحه بما اوجب لهم ان يثبتوا عليه (الفصل الثالث) دعواهم ان نبوات الانبياء المتقدمين كالتوراة والزبور والانجيل وغير ذلك من النبوات يشهد لدينهم الذى هم عليه من الاقانيم والتثليث والاتحاد وغير ذلك بانه حق وصواب فيجب التمسك به ولا يجوز العدول عنه اذ لم يعارضه شرع يرفعه ولا عقل يدفعه (والفصل الرابع) فيه تقرير ذلك بالمعقول وان ما هم عليه من التثليث ثابت بالنظر المعقول والشرع المنقول موافق للاصول (والفصل الخامس) دعواهم انهم موحدون والاعتذار عما يقولونه من ألفاظ يظهر منها تعدد الآلهة كالفاظ الاقانيم بان ذلك من جنس ما عند المسلمين من النصوص التى يظهر منها التشبيه والتجسيم (والفصل السادس) ان المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال فلا حاجة بعد النهاية الى شرع مزيد على الغاية بل يكون ما بعد ذلك شرعا غير مقبول • ونحن ولله الحمد والمنة نبين ان كلما احتجوا به من حجة سمعية من القرآن أو من الكتب المتقدمة على القرآن أو عقلية فلا حجة لهم فى شيء منها بل الكتب كلها مع القرآن والعقل حجة عليهم لا لهم بل عامة ما يحتجون به من نصوص الانبياء ومن المعقول فهو نفسه حجة عليهم ويظهر منه

فساد قولهم مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية والموازين التي هي مقاييس عقلية وهكذا يوجد عامة ما يحتج به أهل البدع من كتب الله عز وجل ففي تلك النصوص ماتبين انه لا حجة لهم فيها بل هي بعينها حجة عليهم كما ذكر امثال ذلك في الرد على أهل البدع والاهوآء وغيرهم من اهل القبلة وانما عامة ما عند القوم الفاظ متشابهة تمسكوا بها ظنوها تدل عليه وعدلوا عن الالفاظ المحكمة الصريحة المبينة مع ما يقترن بذلك من الاهوآء وهذه حال جميع أهل الباطل كما قال تعالى فيهم • ان يتبعون الا الظن وماتهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدي فهم في جهل وظلم كما قال تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيما) فالمؤمنون الذين تاب الله عليهم من الجهل والظلم هم اتباع الانبياء عليهم السلام فان الانبياء بعثوا بالعلم والعدل كما قال تعالى (والنجم اذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) فبين سبحانه وتعالى انه ليس ضالا جاهلا ولا غاوياً متبعاً هواه ولا ينطق عن هواه انما نطقه وحي اوحاه الله سبحانه وتعالى وقال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) فالهدى يتضمن العلم النافع ودين الحق يتضمن العلم الصالح ومبناه على العدل كما قال تعالى (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) واصل العدل في حق الله تعالى هو عبادة الله وحده لا شريك له فان الشرك ظلم عظيم كما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك

بالله ان الشرك لظلم عظيم وفى الصحيحين عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو كما تظنون انما هو الشرك الم تسمعوا الى قول العبد الصالح ان الشرك لظلم عظيم ولما كان اتباع الانبياء هم أهل العلم والعدل كان كلام اهل الاسلام والسنة مع الكفار واهل البدع بالعلم والعدل لا بالظن وماتهوى الانفس ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاضيان فى النار وقاض فى الجنة رجل علم الحق وقضى به فهو فى الجنة ورجل علم الحق وقضي بخلافه فهو فى النار ورجل قضي للناس على جهل فهو فى النار رواه ابو داوود وغيره فاذا كان من يقضى بين الناس فى الاموال والدماء والاعراض اذا لم يكن عالماً عادلا كان فى النار فكيف بمن يحكم فى الملك والاديان واصول الايمان والمعارف الآلهية والمعالم الكلية بلا علم ولا عدل كحال اهل البدع والاهواء الذين يتمسكون بالمتشابه المشكوك ويدعون المحكم الصريح من نصوص الانبياء ويتمسكون بالقدر المشترك المتشابه فى المقاييس والآراء ويعرضون عما بينهما من الفروق المانعة من الالحاق والاستواء كحال الكفار وسائر اهل البدع والاهواء الذين يمثلون المخلوق بالخالق والخالق بالمخلوق ويضربون لله المثل السوء بالقول الهزء وذلك ان دين النصارى الباطل انما هو دين مبتدع ابتدعوه بعد المسيح عليه السلام وغيروا به دين المسيح فضل منهم من عدل عن شريعة المسيح الى ما ابتدعوه ثم لما بعث الله تعالى محمداً عليه افضل

الصلاة والسلام كفروا به فصار كفرهم وضلالهم من هذين الوجهين تبديل دين الرسول الاول وتكذيب الرسول الثاني كما كان كفر اليهود بتبديلهم احكام التوراة قبل مبعث المسيح ثم تكذيبهم المسيح عليه السلام وتبين ان شاء الله تعالى ان ما عليه النصارى من التثليث والاتحـاد لم يدل عليه شيء من كتب الله لا الانجيل ولا غيره بل دلت على نقيض ذلك ولا دل على ذلك عقل بل العقل الصريح مع نصوص الانبيـاء تدل على نقيض ذلك بل وكذلك عامة شرائع دينهم محدثة مبتـدعة لم يشرعها المسيح عليه السلام • ثم التكذيب لمحمد صلى الله تعالى عليـه وسلم هو كفرهم المعلوم لـكل مسلم مثـل كفر اليهود بالمسيح عليه السلام وابلغ وهم يبالغون فى تكفير اليهود باعظم ممـا يستحقه اليهود من التكفير اذ كان اليهود يزعمون ان المسيح ساحر كذاب بل يقولون انه ولد بغية كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله سبحانه وقوله على مريم بهتاناً عظيما) والنصارى يدعون ان الله الذي خالق الاولين والآخرين وانه ديان يوم الدين فكانت الامتان فيه على غاية التنـاقض والتعادى والتقابل ولهذا كل امة تذم الاخرى باكثر مما تستحقه كما قال الله تعالى(وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصاري ليست اليهود على شيء وهم يتلون الـكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيـه يختلفون) ذكر محمـد بن اسحق عن محمد ابن ابى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة او سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه انه لما قدم وفد نجران من النصارى على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اتتهم احبار يهود

فتنازعوا عند رسول الله صلي الله تعالى عليه وسلم فقال ربيع ابن حرملة ما انتم على شيء وكفر بعيسي والانجيل جميعاً فقال رجل من اهل نجران من النصارى لليهود ما انتم على شيء وجحد بنبوة موسى وكفر بالتوراة فانزل الله تعالى ذلك فى قولهما (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب) قال كل يتلو فى كتابه تصديق ما كفر به أى تكفير اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما اخذ الله تعالي عليهم على لسان موسي بالتصديق بعيسى عليه السلام وفى الانجيل باجابة عيسي بتصديق موسي عليه السلام وبما جاء به من التوراة من الله تعالى وكل يكفر بما في يدى صاحبه قال قتادة وقالت اليهود ليست النصارى على شيء قال بلى قد كان اوائل النصارى على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا وقالت النصارى ليست اليهود على شيء قال بلى قد كان اوائل اليهود على شيء ولكنهم ابتدعوا وتفرقوا فاليهود كذبوا بدين النصارى وقالوا ليسوا على شيء والنصارى كذبوا بجميع ما يتميز به اليهود عنهم حتى فى شرائع التوراة التى لم ينسخها المسيح بل امرهم بالعمل بها وكذبوا بكثير من الذى تميزوا به عنهم حتى كذبوا بما جاء به عيسى عليه السلام من الحق لكن النصارى وان بالغوا في تكفير اليهود ومعاداتهم على الحد الواجب عما ابتدعوه من الغلو والضلال فلا ريب ان اليهود لما كذبوا المسيح صاروا كفاراً كما قال الله تعالى للمسيح انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) وقال تعالى قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بنى

اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) وكفر النصاري بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وبمخالفة المسلمين اعظم من كفر اليهود بمجرد تكذيب المسيح فان المسيح لم ينسخ من شرع التوراة الا قليلا وسائر شرعه احالة على التوراة ولكن عامة دين النصارى أحدثوه بعد المسيح فلم يكن فى مجرد تكذيب اليهود له من مخالفة شرع الله ما فى تكذيب النصاري لمحمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بكتاب مستقل من عند الله لم يحل شيء من شرعه على شرع غيره قال تعالى (اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) والقرآن أصل كالتوراة وان كان اعظم منها ولهذا كان علماء النصارى يقرنون بين موسي ومحمد صلى الله عليهما وسلم كما قال النجاشي ملك النصارى لما سمع القرآن ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وكذلك قال ورقة بن نوفل وهو من احبار نصارى العرب لما سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال انه يأتيك الناموس الذى يأتي موسى يا ليتنى فيها جزعاً حين يخرجك قومك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اومخرجي هم؟ قال نعم لم يأتِ احد بمثل ما اتيت به الا عودى وان يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً ولهذا يقرن سبحانه وتعالى بين التوراة والقرآن في مثل قوله فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتي موسى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا يعنى التوراة والقرآن وفي القرآءة الاخرى قالوا ساحران أى موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من

عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين) فلم ينزل كتاب من
عند الله اهدى من التوراة والقرآن ثم قال تعالى فان لم يستجيبوا لك
فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدي من الله ان الله
لا يهدى القوم الظالمين) وهؤلاء النصارى ذكر كاتب كتابهم فى كتابه
انه لما سأله ان يفحص له فحصاً بيناً عما يعتقده النصارى المسيحيون المختلفة
السنتهم المتفرقة فى اربع زوايا العالم من المشرق الى المغرب ومن الجنوب
الى الشمال والقاطنون بجزائر البحر والمقيمون بالبر المتصل الى مغيب
الشمس • فان الاسقف ديان الملك الرومي اجتمع بمن اجتمع به من
اجلائهم ورؤسائهم وفاوض من فاوض من افاضلهم وعلمائهم فيما علمه
من رأى القوم الذين رآهم بجزائر البحر قبل دخوله الى قبرص وخاطبهم
فى دينهم وما يعتقدونه ويحتجون به عن انفسهم قال الكاتب على لسان
الاسقف انهم يقولون انا سمعنا ان قد ظهر انسان من العرب اسمه محمد
ويقول انه رسول الله واتي بكتاب فذكر انه منزل عليه من الله فلم
نزل الى ان حصل الكتاب عندنا • قال فقلت لهم اذا كنتم قد سمعتم
بهذا الكتاب وهذا الانسان واجتهدتم على تحصيل هذا الكتاب
الذى اتي به عندكم فلأي حال لم تتبعوه ولا سيما وفى هذا الكتاب
يقول ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من
الخاسرين) اجابوا قائلين لاحوال شتى • قال فقلت وما هي؟ قالوا منها ان
الكتاب عربي وليس بلساننا حسب ما جاء فيه يقول انا انزلناه قرآناً
عربياً وقال بلسان عربى مبين وقال فى سورة الشعراء ولو نزلناه على
بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين وقال في سورة البقرة

كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون وقال فى سورة آل عمران لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) وقال تعالى فى سورة القصص لتنذر قوماً ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون) وقال فى سورة يس لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون) قالوا فلما رأينا هذا علمنا انه لم يأت الينا بل الى جاهلية العرب الذين قالوا انه لم يأتهم رسول ولا نذير من قبله وانه لا يلزمنا اتباعه لاننا نحن قد اتانا رسل من قبله خاطبونا بالسنتنا وانذرونا بديننا الذى نحن متمسكون به يومنا هذا وسلموا الينا التوراة والانجيل بلغاتنا على ما يشهد لهم هذا الكتاب الذى اتى به هذا الرجل حيث يقول فى سورة ابراهيم وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) وقال فى سورة النحل ولقد بعثنا فى كل امة رسولا وقال فى سورة الروم ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات) فقد صح فى هذا الكتاب انه لم يأت الا الى الجاهلية من العرب وأما قوله ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) فيريد بحسب مقتضى العدل قومه الذين اتاهم بلغتهم لا غيرهم ممن لم يأتهم بما جاء فيه ونعلم ان الله عدل وليس من عدله ان يطالب يوم القيامة امة من الامم باتباع انسان لم يأت اليهم ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم ولا من جهة داع من قبله وهذه الفاظهم باعيانها فى الفصل الاول وهذا الفصل لم يتعرضوا فيه لا لتصديقه ولا

لتكذيبه بل زعموا انه فى نفس هذا الكتاب انه لم يقل انه مرسل اليهم بل الى جاهلية العرب وان العقل أيضاً يمنع ان يرسل اليهم ٠ فنحن نبدأ بالجواب على هذا ونبين انه صلى الله عليه وسلم اخبر انه مرسل اليهم والى جميع الانس والجن وانه لم يقل قط انه لم يرسل اليهم ولا فى كتابه ما يدل على ذلك وانما احتجوا به من الآيات التى غلطوا فى معرفة معناها فتركوا النصوص الكثيرة الصريحة فى كتابه التى تبين انه مرسل اليهم من جنس ما فعلوه فى التوراة والانجيل والزبور وكلام الانبياء حيث تركوا النصوص الكثيرة الصريحة وتمسكوا بقليل من المتشابه الذي لم يفهموا معناه ومعلوم ان الكلام فى صدق مدعى الرسالة وكذبه متقدم على الكلام فى عموم رسالته وخصوصها وان كان قد يعلم احدهما قبل الآخر لكن هؤلاء القوم ادعوا خصوص رسالته وذكروا ان القرآن يدل على ذلك ٠ فنجيب عما ذكروه على حسب ترتيبهم فصلا فصلا فنقول وبالله التوفيق ٠ الكلام فيمن خاطب الخلق بانه رسول الله اليهم كما فعل محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ممن قال انه رسول الله كابراهيم وموسى ونحوهما من الانبياء الصادقين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وآل كل من الصالحين وكمسيلمة الكذاب والاسود العنسي ونحوهما من المتنبئين الكاذبين ينبنى على اصلين ٠ احدهما ان يعرف ما يقوله فى خبره وامره فيعرف ما يخبر به ويأمر به وهل قال انه رسول الله الى جميع الناس او قال انه لم يرسل الا الى طائفة معينة لا الى غيرها ٠ والثانى ان نعرف هل هو صادق او كاذب وبهذين الاصلين يتم الايمان المفصل وهو معرفة صدق الرسول ومعرفة ما جاء به ٠ واما الايمان المجمل ٠

فيحصل بالاول وهو معرفة صدقه فيما جاء به كاتيانا بالرسل المتقـدمة وقد يعلم صدقه او كذبه قبل أن يعلم مايذكره وقد يعلم مايذكره قبل ان يعلم صدقه او كذبه وهاؤلاء بدأوا فى كتابهم هذا ماذكره الرسول مما زعموا انه حجة لهم على عدم وجوب اتباعه وعلى مدح دينهم الذى هم اليوم عليه بعد النسخ والتبديل ثم ذكروا حججا مستقلة على صحة دينهم ثم ذكروا مايقدح فيه وفى دينه فلهذا قدمنا الجواب عما احتجوا به من القرآن كما قدموه فى كتابهم (فصل) ودلايل صدق النبي الصادق وكذب المتنبي الكاذب كثيرة جـداً فان من ادعى النبوة وكان صادقا فهو من افضل خلق الله تعالى واكملهم فى العلم والدين فانه لا احد افضل من رسل الله وانبياءه صلوات الله عليهم وسلامه وان كان بعضهم افضل من بعض كما قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض • وقال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وان كان المدعي للنبوة كاذباً فهو من اكفر خلق الله وشرهم كما قال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء ومن قال سأنزل مثـل ما انزل الله وقال تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه اليس فى جهنم مثوى للكافرين والذى جاء بالصدق وصـدق به اولئك هم المتقون لهم مايشاؤن عنـد ربهم ذلك جزاء المحسنين) وقال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة اليس فى جهنم مثوى للمتكبرين) فالكذب اصل للشر واعظمه الكذب على الله عز وجل والصدقُ اصل للخير واعظمه الصدق على الله تبارك وتعالى وفى الصحيحين عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال عليكم بالصـــدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر
يهدي الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصـــدق حتى يكتب
عند الله صـــديقاً واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان
الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى
يكتب عند الله كذاباً • ولما كان هذا في اعلا الدرجات وهذا في اسفل
الدركات كان بينهما من الفروق والدلايل والبراهين التي تدل على صدق
احدهما وكذب الآخر ما يظهر لكل من عرف حالهما ولهذا كانت دلايل
الانبياء واعلامهم الدالة على صدقهم كثيرة متنوعة كما ان دلايل كذب
المتنبئين كثيرة متنوعة كما قد بسط في موضع آخر (فصل) اذا عرف هذا
فهاؤلاء القوم في هذا المقام ادعوا ان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يرسل
اليهم بل الى اهل الجاهلية من العرب فهذه الدعوى على وجهين • اما ان
يقولوا انه بنفسه لم يدع انه ارسل اليهم ولكن امته ادعوا له ذلك • واما
ان يقولوا انه ادعى انه ارسل اليهم وهو كاذب في هذه الدعوى وكلامهم
في صدر هذا الكتاب يقتضي الوجه الاول وفي آخره قد يقال انهم قد
اشاروا الى الوجه الثاني لكنهم في الحقيقة لم ينكروا رسالته الى العرب
وانما انكروا رسالته اليهم • واما رسالته الى العرب فلم يصرحوا بتصديقه
فيها ولا بتكذيبه وان كان ظاهر لفظهم يقتضي الاقرار برسالتـــه الى
العرب بل صدقوا بما وافق قولهم وكذبوا بما خالف قولهم • ونحن
نبـــين انه لا يصح احتجاجهم بشيء مما جاء به النبي صلي الله عليـــه
وسلم ثم نتكلم على الوجهين جميعاً ونبين انه لا يصح احتجاجهم بشيء
من القرآن على صحة دينهم بوجه من الوجوه ونبين ان القرآن لا حجة

فيه لهم ولا فيه تناقض وكذلك كتب الانبياء المتقدمين التى يحتجون بها هى حجة عليهم ليس فى شىء منها حجة لهم ولو لم يبعث محمد صلى الله عليه وسلم . فكيف والكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم موافق لساير كلام الانبياء عليهم السلام فى ابطال دينهم وقولهم فى التثليث والاتحاد وغير ذلك مع العقل الصريح فهم احتجوا فى كتابهم هذا بالقرآن وبما جاءت به الانبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم مع العقل . ونحن نبين انه لا حجة لهم فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا فيما جاءت به الانبياء قبله ولا فى العقل بل ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءت به الانبياء قبله مع صريح العقل كلّها براهين قطعية على فساد دينهم ولكن نذكر قبل ذلك ان احتجاجهم بما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يصح بوجه من الوجوه وانه لايجوز ان يحتج بمجرد المنقول عن محمد صلى الله عليه وسلم من يكذبه فى كلمة واحدة مما جاء به . وكذلك كلام ساير الانبياء عليهم السلام بخلاف الاحتجاج بكلام غير الانبياء فان ذلك يمكن موافقة بعضه دون بعض . واما مااخبرت به الانبياء عليهم السلام او من قال انه نبي فلا يمكن الاحتجاج ببعضه دون بعض سواء قدر صدقهم او كذبهم فيقال لهم على كل تقدير سواء ان اقروا بنبوته الى العرب او الى غيرهم او كذبوه فى قوله انه رسول الله مطلقاً او سكتوا عن هذا وهذا او صدقوه فى البعض دون البعض ان احتجاجهم على صحة مايخالفون فيه المسلمين مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لايصح بوجه من الوجوه فاحتجاجكم على انه لم يرسل اليكم اوعلى صحة دينكم بشىء من القرآن حجة داحضة على كل تقدير مع انا سنبين ان شاء الله

تعالى ان الكتب الالهية كلها مع المعقول لاحجة لكم فى شيء منها
بل كلها حجة عليكم وهذا بخلاف المسلمين فانه يصح احتجاجهم
على اهل الكتاب • اليهود والنصارى بما جاءت به الانبياء قبل محمد صلى
الله عليه وسلم واهل الكتاب لايصح احتجاجهم بما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم وذلك ان المسلمين مقرون بنبوة موسى وعيسى وداود
وسليمان وغيرهم من الانبياء عليهم السلام وعندهم يجب الايمان بكل
كتاب انزله الله وبكل نبي ارسله الله وهذا اصل دين المسلمين فمن
كفر بنبي واحد او كتاب واحد فهو عندهم كافر بل من يسب نبياً
من الانبياء فهو عندهم كافر مباح الدم كما قال الله تعالى قولوا امنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق
بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما امنتم به فقد اهتدوا
وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم (وقال
تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا
غفرانك ربنا واليك المصير) وقال تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب
والنبيين (والكتاب) اسم جنس لكل كتاب انزله الله يتناول التوراة
والانجيل كما يتناول القرآن كقوله تعالى وقل امنت بما انزل الله من
كتاب وامرت لاعدل بينكم (وقوله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من
ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد

من رسله وفى القرآة الاخرى وكتابه كقوله تعالى وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم وقوله تعالى (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) فذكر ان هذا الكتاب الذي أنزل عليه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة والذين يؤمنون بما انزل اليه وما انزل من قبله وبالآخرة هم يوقنون ثم اخبر تعالى ان هؤلاء هم المفلحون فحصر الفلاح فى هؤلاء فلا يكون مفلحاً الا من كان من هؤلاء وقوله تعالى (والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هو صفة للمذكورين ليس هؤلاء صنفاً آخر فان عطف الشيء على الشيء قد يكون لتغاير الصفات وان كانت الذات واحدة هذا هو الصحيح هنا وان كان قد قيل ان الصنف الثانى مؤمن اهل الكتاب والاول هم المسلمون فهذا ضعيف وافسد منه قول هؤلاء النصارى ان الكتاب المراد به الانجيل كما سيأتى الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى • والعطف لتغاير الصفات كقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذى اخرج المرعى فجعله غثاء احوى) وهو سبحانه الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غثاء احوى وقوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الى آخر الايات وكذلك قوله والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك هم

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون وهم الذين على هدى من ربهم وهم المفلحون ولكن فصّل ايمانهم بعد ان اجمله لئلا يظن ظان ان مجرد دعوى الايمان بالغيب ينفع وان لم يؤمن بما انزل الى محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل الى من قبله فلو قال احد من الناس انا اومن بالغيب وهو مع ذلك لايؤمن ببعض ما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم او ببعض ما انزل على من قبله لم يكن مؤمناً حتى يؤمن بجميع ما انزل اليه وما انزل الى من قبله ولو كانوا صنفاً آخر لكان المفلحون قسمين قسماً يؤمنون بالغيب ولا يؤمنون بما انزل اليه وما انزل الى من قبله وقسماً يؤمنون بما انزل اليه وما انزل الى من قبله ولا يؤمنون بالغيب وهذا باطل عند جميع الامم المؤمنين واليهود والنصارى فان الايمان بما انزل اليه والى من قبله يتضمن الايمان بالغيب والايمان بالغيب لايتم الا بأن يؤمن بالايمان بجميع ما انزله الله تبارك وتعالى والمسلمون لايستجيز احد منهم التكذيب بشيء مما انزل على من كان قبل محمد صلي الله عليه وسلم لكن الاحتجاج بذلك عليهم يحتاج الى ثلاث مقدمات • احدها ثبوت ذلك عن الانبياء عليهم السلام • والثانية صحة الترجمة الى اللسان العربي او اللسان الذى يخاطب به كالرومي والسرياني فان لسان موسى وداود والمسيح وغيرهم من انبياء بنى اسرائيل كان عبرانياً ومن قال ان لسان المسيح كان سريانياً اورومياً فقد غلط • والثالثة تفسير ذلك الكلام ومعرفة معناه فلهذا كان المسلمون لايردون شيئاً من الحجج بتكذيب أحد من الانبياء في شيء قاله ولكن قد يكذبون الناقل عنهم او يفسرون المنقول عنهم بما ارادوه بمعنى آخر على وجه الغلط

وان كان بعض المسلمين قد يغلط في تكذيب بعض النقل او تأويل بعض المنقول عنهم فهو كما يغلط من يغلط منهم ومن ساير اهل الملل في التكذيب على وجه الغلط ببعض ماينقل عمن يقرّ بنبوته او في تأويل المنقول عنه وهذا بخلاف تكذيب نفس النبي فانه كفر صريح بخلاف أهل الكتاب فانه لايتم مرادهم الا بتكذيبهم ببعض ماانزل الله ومتى كذب بكلمة واحدة مما اخبر به من قال انه رسول الله بطل احتجاجه بسائر كلامه فكانت حجتهم التي يحتجون بها داحضة وذلك ان الذي يقول انه رسول الله اما ان يكون صادقاً في قوله اني رسول الله وفي جميع ما يخبر به عن الله واما ان يكون كاذباً ولو في كلمة واحدة عن الله فان كان صادقاً في ذلك أمتنع ان يكذب على الله في شيء مما يبلغه عن الله فان من كذب على الله ولو في كلمة واحدة كان ممن افترى على الله الكذب ولم يكن رسولا من رسل الله ٭ ومن افترى على الله الكذب تبين انه من المتنبئين الكذابين ومثل هذا لايجوز ان يحتج بخبره عن الله فانه قد علم ان الله لم يرسله واذا قال هو قولا وكان صدقاً كان كما يقوله غيره يقبل لا لانه بلّغه عن الله ولا لانه رسول عن الله بل كما يقبل من المشركين وساير الكفار مايقولونه من الحق فان عباد الاوثان اذا قالوا عن الله ماهو حق مثل اقرار مشركي العرب بان الله خالق السموات والارض لم نكذبهم في ذلك وان كانوا كفاراً ٭ وكذلك اذا قال الكافر ان الله حي قادر خالق لم نكذبه في هذا القول فمن كذب على الله في كلمة واحدة قال ان الله انزلها عليه ولم يكن الله انزلها عليه فهو من الكذابين الذين لايجوز ان يحتج بشيء من اقوالهم التي يقولون انهم يبلغونها عن الله

تبارك وتعالي وما قالوه غير ذلك فهم فيه كسائر الناس بل كامثالهم من الكذابين أن عرف صحة ذلك القول من جهة غيرهم قبل لقيام الدليل على صحته لا لكونهم قالوه وان لم يعرف صحته من جهة غيرهم لم يكن في قولهم له مع ثبوت كذبهم على الله حجة وحينئذ فهؤلاء ان اقروا برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وانه صادق فيما بلغه عن الله من الكتاب والحكمة وجب عليهم الايمان بكل ماثبت عنه من الكتاب والحكمة كما يجب الايمان بكل ماجاءت به الرسل * وان كذبوه في كلمة واحدة او شكوا في صدقه فيها أمتنع مع ذلك أن يقروا بانه رسول الله واذا لم يقروا بانه رسول الله كان احتجاجهم بما قاله كاحتجاجهم بسائر مايقوله من ليس من الانبياء بل من الكذابين او من المشكوك في صدقهم ومعلوم ان من عرف كذبه على الله فيما يقول انه يبلغه عن الله او شك في صدقه لم يعلم انه رسول الله ولا انه صادق في كل مايقوله ويبلغه عن الله واذا لم يعلم ذلك منه لم يعرف ان الله انزل اليه شيئاً بل اذا عرف كذبه عُرف ان الله لم ينزل اليه شيئاً ولا ارسله كما عرف كذب مسيلمة الكذاب والاسود العنسي وطليحة الاسدى وكما عرف كذب مانى وامثاله من المتنبئين الكذابين واذا شك في صدقه في كلمة واحدة بل جوز ان يكون كذبها عمداً او خطأ لم يجز تصديقه مع ذلك في سائر مايبلغه عن الله لان تصديقه فيما يخبر به عن الله انما يكون اذا كان رسولا صادقاً لا يكذب عمداً ولا خطأ فان كل من ارسله الله لابد ان يكون صادقاً في كل مايبلغه عن الله لا يكذب فيه عمداً ولا خطأ * وهذا امر اتفق عليه الناس كلهم المسلمون واليهود والنصارى وغيرهم اتفقوا على ان الرسول

لا بد ان يكون صادقاً معصوماً فيما يبلغه عن الله لايكذب على الله خطأً ولا عمداً فان مقصود الرسالة لاتحصل بدون ذلك كما قال موسى عليه السلام لفرعون (يافرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لااقول على الله الا الحق)وفي القرأة المشهورة يخبر انه جدير وحرى وثابت ومستقر على ان لايقول على الله الا الحق وعلى القرآءة الاخرى اخبرانه واجب عليه أن لايقول على الله الا الحق وقال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين) وقال تعالى (ام يقولون افترى على الله الكذب فان يشاء الله يختم على قلبك ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) وقال تعالى (واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين وقال تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا قال الذين لا يرجون لقآءنا ايت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا مايوحى الى) الآية وهذا لبسطه موضع آخر وانما المقصود هنا ان احتجاجهم بكلمة واحدة مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح بوجه من الوجوه فانه ان كان رسولا صادقاً في كل مايخبر به عن الله عز وجل فقد علم كل واحد انه جاء بما يخالف دين النصارى فيلزم اذا كان رسولا صادقاً ان يكون دين النصارى باطلا وان قالوا في كلمة واحدة مما جاء به أنها باطلة لزم ان لا يكون عندهم رسولا صادقاً مبلغاً عن الله وحينئذ فسواء قالوا هو ملك عادل او هو عالم من العلماء او هو رجل صالح من الصالحين او جعلوه

قديساً عظيماً من اعظم القداديس فهما عظموه به ومدحوه به لما رأوه من محاسنه الباهرة وفضايله الظاهرة وشريعته الطاهرة متى كذبوه فى كلمة واحدة مما جاء به او شكوا فيها كانوا مكذبين له فى قوله انه رسول الله وأنه بلغ هذا القرآن عن الله • ومن كان كاذباً فى قوله انه رسول الله لم يكن من الانبياء والمرسلين ومن لم يكن منهم لم يكن قوله حجة البتة لكن له اسوة امثاله فان عرف صحة مايقوله بدليل منفصل قبل القول لانه عرف صدقه من غير جهته لا لانه قاله وان لم يعرف صحة القول لم يقبل • فتبين انه ان لم يقر المقر لمن ذكر انه رسول الله بانه صادق فى كل مايبلغه عن الله معصوم عن استقرار الكذب خطأ او عمداً لم يصح احتجاجهم بقوله وهذا الاصل يبطل قول عقلاء اهل الكتاب وهو لقول جهالهم اعظم ابطالا • فان كثيراً من عقلاء أهل الكتاب او اكثرهم يعظمون محمداً صلى الله عليه وسلم لما دعى اليه من توحيد الله تعالى ولما نهى عنه من عبادة الاوثان ولما صدق التوراة والانجيل والمرسلين قبله ولما ظهر من عظمة القرآن الذى جاء به ومحاسن الشريعة التى جاء بها وفضايل أمته التى آمنت به ولما ظهر عنه وعنهم من الآيات والبراهين والمعجزات والكرامات لكن يقولون مع ذلك انه بعث الى غيرنا أو انه ملك عادل له سياسة عادلة وانه مع ذلك حصل علوماً من علوم أهل الكتاب وغيرهم ووضع لهم ناموساً بعلمه ورتبه كما وضع اكابرهم لهم القوانين والنواميس التى بايديهم ومهما قالوه من هذا فانهم لايصيرون به مؤمنين به ولا يسوغ لهم بمجرد ذلك الاحتجاج بشيء مما قاله لانه قد عرف بالنقل المتواتر الذي يعلمه جميع

الامم من جميع الطوايف انه قال انه رسول الله الى جميع الناس وان الله انزل عليه القرآن فان كان صادقاً فى ذلك فمن كذبه فى كلمة واحدة فقد كذب رسول الله ومن كذب رسول الله فهو كافر ٭ وان لم يكن صادقاً فى ذلك لم يكن رسولا لله بل كان كاذباً ومن كان كاذباً على الله يقول الله أرسلنى بذلك ولم يرسله به لايجوز ان يحتج بشىء من اقواله ٭ واما من كان من جهال أهل الكتاب الذين يقولون انه كان ملكا مسلطاً عليهم وانه رسول غضب ارسله الله ارسالا كونياً لادينياً لينتقم به منهم كما ارسل بخت نصر وسنجاريب على بنى اسرائيل وكما ارسل جنكس خان وغيره من الملوك الكافرين والظالمين مما ينتقم الله به ممن عصاه فهؤلاء أعظم تكذيباً له وكفراً به من اولئك فان هؤلاء الملوك لم يقل احدهم ان الله انزل عليه كتاباً ولا ان هذا الكلام الذي ابلغه اليكم هو كلام الله ولا ان الله امركم أن تصدقونى فيما اخبرتكم به وتطيعونى فيما امرتكم به ومن لم يصدقنى باطناً وظاهراً فان الله يعذبه فى الدنيا والآخرة بل هؤلاء ارسلهم ارسالا كونياً قدره وقضاه كما يرسل الريح بالعذاب وكما يرسل الشياطين قال الله تعالى (انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تأزهم أزّا) وقال تعالى (وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علواً كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا اولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا) وهذا بخلاف قوله (انا ارسلنا نوحاً الى قومه وقوله انا ارسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا) وقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل

واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان واتينا داود زبورا ورسلا قدقصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)فان هذا يعنى به الارسال الديني الذى يحبه تعالى ويرضاه الذي هدى به من اتبعهم وادخله في رحمته وعاقب من عصاهم وجعله من المستوجبين للعذاب وهو الارسال الذي أوجب الله به طاعة من ارسله كما قال تعالى (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وهذه الرسالة التى أقام الله بها الحجة على الخلق كما قال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس)وهذا كما اصطفى روح القدس جبرئيل عليه السلام انزوله بالقرآن على من اصطفاه من البشر وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى (قل من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) وقال تعالى واذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر بل اكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) فاخبر انه نزل به جبريل وسماه الروح الامين وسماه روح القدس وقد ذكره ايضاً في قوله انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين ثم قال وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول

شيطان رجيم فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤون الا ان يشاء الله رب العالمين) فهذا الرسول جبريل عليه السلام وقال تعالى (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين) فهذا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم • واما الارسال الكوني الذي قدره وقضاه مثل ارسال الرياح وارسال الشياطين فذلك نوع آخر قال تعالى (انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّا) وقال تعالى وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته والله تعالى له الخلق والامر) فلفظ الارسال والبعث والارادة والامر والاذن والكتاب والتحريم والقضاء والكلام ينقسم الى خلقي وامري وكوني وديني وقد ذكرنا الارسال • واما البعث فقال تعالى في البعث الديني (هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) وقال في الكوني (فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد) وقال تعالى (فبعث الله غرابا يبحث في الارض) واما الارادة • فقال تعالى في الكونية (فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كانما يصعد في السماء) وقال نوح عليه السلام (فما ينفعكم نصحي ان أردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم) وقال تعالى في الارادة الدينية (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) وقال تعالى (يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد

ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم) وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ان يطهركم وليتم نعمته عليكم) وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) وقال تعالى في الامر الكوني (انما أمره اذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) وكذلك في اظهر القولين قوله تعالى (واذا اردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول) وأما الامر الديني مثل قوله (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها) وأما الاذن الكوني مثل قوله في السحرة (وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله) والديني مثل قوله (انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً) والكتاب الكوني مثل قوله (كتب الله لاغلبن انا ورسلي) وقوله (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) والديني مثل قوله (كتاب الله عليكم) وقوله (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم كتب عليكم القصاص) والقضاء الكوني كقوله (فقضاهن سبع سموات) والديني كقوله (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) أي أمر . والتحريم الكوني مثل قوله (وحرمنا عليه المراضع من قبل) وقوله (انها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض وحرام على قرية أهلكناها انهم لايرجعون) والديني مثل قوله (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم) والكلمات الكونية مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم . اعوذ بكلمات الله التامات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر ومنه قوله تعالى (وصدقت

بكلمات ربها وكتبه) والدينية مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ومنه قوله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الاّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله) وهذا مبسوط في موضع آخر والمقصود هنا تفرُّق أهل الكتاب في النبي صلى الله عليه وسلم كل يقول فيه قولا هو نظير تفرق ساير الكفار فان الكفار بالانبياء من عادتهم ان تقول كل طائفة فيه قولا يناقض قول الطايفة الاخرى وكذلك قولهم في الكتاب الذى أنزل عليه واقوالهم كلها اقوال مخالفة باطلة وهذا هو الاختلاف المذموم الذي ذكره الله تعالى في قوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) وفي قوله (انكم لفي قول مختلف يوءفك عنه من افك) وقوله تعالى (وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) وقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وقوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة) ومثال اقوال الكفار في الانبياء ما ذكره تعالى في قوله تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون فقد

جاءوا ظلماً وزوراً وقالوا اساطير الاولين اكتتبها فهي تملاعليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفوراً رحيما وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيراً او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان يتبعون الا رجلا مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) فبين سبحانه ان الكفار ضربوا له امثالا كلها باطلة ضلوا فيها عن الحق فلا يستطيعون مع الضلال سبيلا الى الحق وضرب الامثال له يتضمن تمثيله باناس آخرين وجعله في تلك الانواع التي ليس هو منها ولا مماثلا لافرادها مثل قولهم (ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون) مثلوه بالكاذب المستعين بمن يعينه على ما يفتريه ومثلوه بمن يستكتب اساطير الاولين من غيره فيقرأ عليه طرفي النهار وهو يتعلم من اولئك مايقوله ومثلوه بالمسحور وكذلك قوله تعالى (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفوراً نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان يتبعون الا رجلا مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقال تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني انا النذير المبين كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن

عضين فو ربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الهاً آخر فسوف يعلمون) قال كثير من السلف الذين جعلوا القرآن عضين هم الذين عضهوه. فقالوا سحر وشعر وكهانة ونحو ذلك كما قال تعالى (فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) وقال تعالى (فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أفبعذابنا يستعجلون أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين (ثم قال تعالى (وما تنزلت به

الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون فلا
تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذبين وانذر عشيرتك الأقربين
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني بريء
مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك
فى الساجدين انه هو السميع العليم هل أنبئكم على من تنزل الشياطين
تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء
يتبعهم الغاوون ألم تر انهم فى كل وادٍ يهيمون وانهم يقولون مالا
يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا
من بعد ماظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وقال
تعالى ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هي أحسن الا الذين ظلموا
منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم وآلهنا وآلهكم واحد
ونحن له مسلمون وكذلك أنزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون
وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل
هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وقالوا
لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين
اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى
لقوم يؤمنون قل كفى بالله بينى وبينكم شهيداً يعلم مافى السموات والارض
والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون
يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب

من فوقهم ومن تحت ارجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون) وقال تعالى ام يقولون تقوله بل لايؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وقال تعالى (ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون) وقال تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وقال تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر اني لكم منه نذير مبين) وقد اخبر سبحانه وتعالى ان هذه سنة الكفار فى الانبياء قبله كما قال (وكذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر اومجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون) وقال تعالى مايقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقد أخبر سبحانه ان الكفار قالوا عن موسى عليه السلام انه ساحر وانه مجنون فقال فرعون انّ رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون وقالوا ياأيها الساحر ادع لنا ربك وقال انه لكبيركم الذى علمكم السحر وكذلك قالوا عن المسيح ابن مريم كما قال تعالى (وقال المسيح يابنى اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى

اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) وذكر تعالى عن اليهود انهم قالوا على مريم بهتاناً عظيما • فقول اليهود فى المسيح من جنس اقوال الكفار فى الانبياء وكذلك قول كفار اهل الكتاب فى خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم تسليما وان قالوا نحن مقصودنا بيان تناقضه وان كلامه ينقض بعضه بعضاً • قيل فهذا ايضاً يستلزم انه ليس رسولا صادقاً فلا يصح لكم الاحتجاج بشيء من قوله على هذا التقدير وان كنا نحن نبين انه ولله الحمد قوله يصدق بعضه بعضاً وكذلك يصدق قول الانبياء قبله وان قول الانبياء كلهم يوافق صريح العقل فلا يتناقض شيء من الحق المعلوم بسمع او عقل فاذا علم هذا فنقول بعد ذلك لمن قال انه رسول ارسل الى العرب الجاهلية دون اهل الكتاب انه من المعلوم بالضرورة لكل من علم احواله وبالنقل المتواتر الذى هو اعظم تواتراً مما ينقل عن موسى وعيسى وغيرهما وبالقرآن المتواتر عنه وسننه المتواترة عنه وسنة خلفائه الراشدين من بعده انه صلى الله عليه وسلم ذكر انه ارسل الى اهل الكتاب اليهود والنصارى كما ذكر انه أرسل الى الاميين رسولا بل ذكر انه ارسل الى جميع بنى آدم عربهم وعجمهم من الروم والفرس والترك والهند والبربر والحبشة وسائر الامم بل انه ارسل الى الثقلين الجن والانس جميعاً وهذا كله من الامور الظاهرة المتواترة عنه التى اتفق على نقلها عنه اصحابه مع كثرتهم وتفرق ديارهم واحوالهم وقد صحبه عشرات الوف لا يحصى عددهم على الحقيقة الا الله تعالى ونقل ذلك عنهم التابعون وهم أضعاف الصحابة عدداً ثم ذلك منقول قرناً بعد قرن الى زمننا مع كثرة المسلمين وانتشارهم فى

مشارق الارض ومغاربها كما أخبر بذلك قبل ان يكون فقال فى الحديث الصحيح زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى مازوى لى منها وكان كما أخبر فبلغ ملك امته طرفي العمارة مشرقاً ومغرباً وانتشرت دعوته فى وسط الارض كالاقاليم الثالث والرابع والخامس لانهم اكمل عقولاً واخلاقاً واعدل امزجة بخلاف طرفي الجنوب والشمال فان هؤلاء نقصت عقولهم واخلاقهم وانحرفت امزجتهم • اما طرف الجنوب فانه لقوة الحرارة احترقت اخلاطهم فاسودت الوانهم وتجعدت شعورهم • واما أهل طرف الشمال فلقوة البرد لم تنضج اخلاطهم بل صارت فجة فافرطوا فى سبوطة الشعر والبياض البارد الذى لا يستحسن ولهذا لما ظهر الاسلام غلب أهله على وسط المعمورة وهم اعدل بنى آدم واكملهم • والنصارى الذين تربوا تحت ذمة المسلمين اكمل من غيرهم من النصارى عقولا واخلاقاً واما النصارى المحاربون للمسلمين الخارجون عن ذمتهم من أهل الجنوب والشمال فهم انقص عقولا واخلاقاً ولما فيهم من نقص العقول والاخلاق ظهرت فيهم النصرانية دون الاسلام والمقصود ان محمداً صلى الله عليه وسلم هو نفسه دعى أهل الكتاب من اليهود والنصارى الى الايمان به وبما جاء به كما دعى من لا كتاب له من العرب وساير الامم وهو الذى أخبر عن الله تبارك وتعالى بكفر من لم يؤمن به من أهل الكتاب وغيرهم وبانهم يصلون جهنم وساءت مصيرا وهو الذى أمر بجهادهم ودعاهم بنفسه ونوابه وحينئذ فقولهم فى الكتاب لم يأت الينا بل الى الجاهلية من العرب سواء ارادوا به ان الله بعثه الى العرب ولم يبعثه الينا او ارادوا انه ادعى انه أرسل الى

العرب لا الينا فانه قد علم جميع الطوائف ان محمداً دعى اليهود والنصارى الى الايمان به وذكر ان الله أرسله اليهم وامره بجهاد من لم يؤمن به منهم فاذا قيل مع هذا أنه قال لم أبعث الا الى العرب كان كذباً ظاهراً عليه سواء صدقه الانسان أو كذبه فان المقصود هنا انه نفسه دعى جميع أهل الارض الى الايمان به فدعى أهل الكتاب كما دعى الاميين • اما اليهود فانهم كانوا جيرانه في الحجاز وبالمدينة وما حولها وخيبر فان المهاجرين والانصار كلهم آمنوا به من غير سيف ولا قتال بل لما ظهر لهم من براهين نبوته ودلايل صدقه آمنوا به وقد حصل من الاذى فى الله لمن آمن بالله ماهو معروف فى السيرة وقد آمن به فى حياته كثير من اليهود والنصارى بعضهم بمكة وبعضهم بالمدينة وكثير منهم كانوا بغير مكة والمدينة فاما قدم المدينة عاهد لمن لم يؤمن به من اليهود ثم نقضوا العهد فاجلى بعضهم وقتل بعضهم لمحاربتهم لله ورسوله وقد قاتلهم مرة بعد مرة قاتل بنى النضير وانزل الله تعالى فيهم سورة الحشر وقاتل قريظة عام الاحزاب وذكرهم الله فى سورة الاحزاب وقاتل قبلهم بنى قينقاع وبعد هولاء غزي خيبر هو واهل بيعة الرضوان الذين بايعوه تحت الشجرة وكانوا الفاً واربعماية • ففتح الله عليهم خيبر واقر اليهود فيها فلاحين وانزل الله تعالى سورة الفتح يذكر فيها ذلك فكيف يقال انه لم يذكر انه أرسل الا الى مشركى العرب وهذه حال اليهود معه • واما النصارى فان أهل نجران التي باليمن كانوا نصارى فقدم عليه وفدهم ستون راكباً وناظرهم فى مسجده وانزل الله فيهم صدر سورة آل عمران ولما ظهرت حجته عليهم وتبين لهم انه رسول الله اليهم امره

الله ان لم يجيبوه ان يدعوهم الى المباهلة فقال تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابنأنا وابنأكم ونسأنا ونسأكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فلما دعاهم الى المباهلة طلبوا ان يمهلهم حتى يشتوروا فاشتوروا فقال بعضهم لبعض تعلموا انه نبي وانه ما باهل قوم نبيا الا نزل بهم العذاب فاستعفوا من المباهلة فصالحوه واقروا له بالجزية عن يد وهم صاغرون لما خافوا من دعائه عليهم لعلمهم انه نبي فدخلوا تحت حكمه كما يدخل اهل الذمة الذين فى بلاد المسلمين تحت حكم الله ورسوله وادوا اليه الجزية عن يد وهم صاغرون هم اول من ادى الجزية من النصارى واستعمل عليهم وعلى من اسلم منهم عمرو بن حزم الانصارى وكتب له كتاباً مشهوراً يذكر فيه شرايع الدين فكانوا فى ذمة المسلمين تحت حكم الله ورسوله ونايب رسوله عمرو بن حزم الانصارى رضى الله عنه وقصتهم مشهورة متواترة نقلها اهل السير واهل التفسير واهل الحديث واهل الفقه واصل حديثهم معروف فى الصحاح وفى السنن كما سنذكره ان شاء الله تعالى ووفد نجران لما قدموا انزل الله تبارك وتعالى بسبب ماجرى صدر سورة آل عمران وذكر تعالى فرض الحج بقوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وهذا انزل اما سنة تسع واما سنة عشر كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء منهم القاضى ابو يعلى وغيره قالوا وجوب الحج ثبت بقوله (ولله على الناس حج البيت) روى انه نزل في سنة عشر وروى انه نزل فى سنة تسع وهذا قول جمهور العلماء قالوا ان فرض الحج انما ثبت بهذه

الآية وقال بعضهم بل ثبت ذلك بقوله تعالى وأتموا الحج والعمرة لله وهذه الآية نزلت سنة ست عام الحديبية لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت وصالحهم ذلك العام وبايع المسلمين تحت الشجرة وانزل الله فيها سورة الفتح ثم رجع الى المدينة وفتح الله عليهم خيبر سنة سبع وفيها قدم عليه جعفر ابن ابى طالب مع وفد الحبشة ثم أرسل جعفرا وزيدا وعبد الله ابن رواحة لغزو النصارى لموتة ثم فتح مكة سنة ثمان فى رمضان ثم فى اثناء سنة تسع غزى النصارى الى تبوك وفيها حج ابو بكر الصديق رضى الله عنه وامر ان لايحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان واردفه بعلي ابن ابى طالب رضى الله عنه لنبذ العهود وانزل الله آية السيف المطلقة بجهاد المشركين وجهاد اهل الكتاب فقال تعالى (فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وهذه الاشهر عند جمهور العلماء هى المذكورة فى قوله تعالى (فسيحوا فى الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزى الكافرين) فان المشركين كانوا نوعين نوعاً لهم عهد مطلق غير موقت وهو عقد جايز غير لازم ونوعاً لهم عهد موقت فامر الله رسوله ان ينبذ الى المشركين اهل العهد المطلق لان هذا العهد جايز غير لازم وامره ان يسيرهم اربعة اشهر ومن كان له عهد موقت فهو عهد لازم فامره الله ان يوفى له اذا كان هو موقتا وقد ذهب بعض الفقهاء الى ان الهدنة لاتجوز الا موقتة وذهب بعضهم الى انه يجوز للامام ان

يفسخ الهدنة الموقتة مع قيامهم بالواجب والصواب هوالقول الثالث وهو انها تجوز مطلقة وموقتة • فاما المطلقة فجايزة غير لازمة يخير بين امضائها وبين نقضها • والموقتة لازمة قال تعالى (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا لهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون) كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة واوليك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الايات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم

لا ايمان لهم لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوماً نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم موءمنين) والمقصود هنا ذكر قدوم وفد نجران النصارى السيد والعاقب ومن معهما • قال ابو الفرج بن الجوزى ثم دخلت سنة عشر من الهجرة فمن الحوادث فيها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالد ابن الوليد الى بنى الحارث بن كعب فروى بن اسحق قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالداً فى ربيع الآخر او جمادى الاولى من سنة عشر الى بنى الحارث بن كعب بنجران وامره ان يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم وذكر القصة ثم قال وفيها قدم وفد الازد وفيها قدم وفد غسان وفيها قدم وفد زبيد وفيها قدم وفد عبد القيس قال ابن اسحق قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو فى وفد عبد القيس وكان نصرانياً فاسلموا وفيها قدم وفد كندة فاسلموا وفيها قدم وفد بنى حنيفة وفيها قدم وفد بجيلة قال وفيها قدم العاقب والسيد من نجران فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب صلح • وذكر محمد بن سعد فى الطبقات قدومهم فى ذكر الوفود فقال بعث النبى صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الاول سنة عشر الى بنى الحارث بن كعب ذكره باسناده انباءنا محمد بن عمر حدثنى ابرهيم بن موسى المخزومى عن عبد الله بن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث عن ابيه ثم ذكر قدوم نصارى نجران من طريق على بن محمد فقال انباءنا على بن محمد القرشى وهو المداينى المشهور فقال اخبرنا على بن محمد عن ابى معشر

عن يزيد بن رمان ومحمد بن كعب قال انباءنا على بن مجاهد عن محمد بن اسحاق عن الزهرى وعكرمة بن خالد وعاصم بن عمر بن قتادة وانباءنا يزيد بن عياض بن جعدبة عن عبد الله بن ابي بكر بن حزم وعن غيرهم من أهل العلم يزيد بعضهم على بعض قالوا ووفد فلان وفلان فى رجال من خثعم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ماهدم جرير بن عبد الله رضى الله عنه ذا الخلصة وقتل من قتل من خثعم فقالوا آمنا بالله ورسوله فاكتب انا كتاباً وذكروا القصة وقدوم وفود متعددة قالوا وقدم وفد الاشعريون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم خمسون رجلا فيهم ابو موسى وذكر قصتهم قالوا وقدم وفد حضر موت مع وفد كندة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصتهم قالوا وقدم وفد ازدعمان قالوا وقدم وفد غافق قالوا وقدم وفد دوس وقدم وفد حزام ووفد حمير قالوا وقدم وفد نجران وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهل نجران فخرج اليه اربعة عشر من اشرافهم نصارى وفيهم ثلاثة نفر يتولون امورهم • العاقب واسمه عبد المسيح رجل من كندة وهو اميرهم وصاحب مشورتهم والذي يصدرون عن رأيه •• وابو حارثة اسقفهم وامامهم وصاحب مدارسهم • والسيد وهو صاحب رحاتهم فدخلوا المسجد وعليهم ثياب الحبرة واردية مكفوفة بالحرير فقاموا يصلون فى المسجد نحو المشرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهم فلم يكلمهم فقال لهم عثمان ذلك من اجل زيكم هذا فانصرفوا يومهم ذلك ثم غدوا عليه بزي الرهبان فسلموا عليه فرد عليهم ودعاهم الى الاسلام فابوا وكثر

الكلام والحجاج بينهم وتلا عليهم القرآن وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انكرتم ما اقول فهلم اباهلكم فانصرفوا على ذلك فغدا عبد المسيح ورجلان من ذوى رأيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا قد بدى لنا ان لا نباهلك فاحكم علينا بما أحببت نعطك ونصالحك فصالحهم على الفى حلة فى رجب والف فى صفر أو قيمة كل حلة من الأواقي وعلى عارية ثلاثين درعا وثلاثين رمحاً وثلاثين بعيراً وثلاثين فرساً ان كان باليمن كيد ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على انفسهم وملتهم وارضهم واموالهم وغايبهم وشاهدهم وبيعهم لا يغير اسقف من سقيفاه ولا راهب من رهبانيته ولا واقف من وقفانيته واشهد على ذلك شهوداً منهم ابو سفيان بن حرب والاقرع بن حابس والمغيرة بن شعبة فرجعوا الي بلادهم فلم يلبث السيد والعاقب الا يسيرا حتى رجعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما وانزلهما دار ابى أيوب الانصارى واقام اهل نجران على ما كتب لهم به النبي صلى الله عليه وسلم حتى قبضه الله صلوات الله عليه وسلم ورحمته ورضوانه ثم ولى ابو بكر الصديق رضى الله عنه فكتب بالوصاة بهم عند وفاته ثم اصابوا ربا فاخرجهم عمر بن الخطاب من ارضهم وكتب لهم هذا ما كتب عمر امير المؤمنين لنجران انه من سار منهم انه آمن بامان الله لا يضرهم احد من المسلمين ووفا لهم بما كتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر فمن وقعوا به من امراء الشام وامراء العراق فليوسعهم من خراب الارض فما اعتملوا من ذلك فهو لهم صدقة وعقبة لهم فكان ارضهم لا سبيل عليهم فيه لاحد ولا مغرم اما بعد فمن حضرهم

من رجل مسلم فاينصرهم على من ظلمهم فانهم اقوام لهم الذمة وجزيتهم عنهم متروكة اربعة وعشرين شهراً بعد ان تقدموا ولا يكلفوا الامن ضيعتهم التي اعتملوا غير مظلومين ولا معسوف عليهم بشهد عثمان بن عفان ومعيقيب بن ابى فاطمة فوقع ناس منهم العراق فنزلوا النجرانية التى بناحية الكوفة وما ذكره بن سعد عن على بن محمد المداينى عن اشياخه فى حديث وفد نجران فهو يوافق ما ذكره ابن اسحق فان قوله اربعة عشر من اشرافهم يوافق قول بن اسحاق عن محمد بن جعفر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نجران ستون راكباً فيهم اربعة عشر من اشرافهم فى الاربعة عشر ثلاثه نفر اليهم يؤول امرهم ٠ العاقب امير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح ٠ والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم ونجعتهم واسمه الايهم ٠ وابو حارثة ابن علقمة اخو بنى بكر بن وايل اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان ابو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه فى دينهم فكانت ملوك الروم من اهل النصرانية قد شرفوه ومولوه واخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا له الكرامات لما بلغهم عنه من علمه واجتهاده فى دينهم فلما وجهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران جلس ابو حارثة على بغلة له موجهاً والى جنبه اخ له يقال له كرز بن علقمة فعثرت بغلة ابي حارثة فقال كرز تعس الابعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو حارثة بل انت تعست فقال لم يا اخى ؟ قال والله انه للنبي الذي كنا ننتظره فقال له كرز فما منعك

منه وانت تعلم هذا قال ما صنع بنا هؤلآء القوم شرفونا ومولونا واكرمونا وقد ابوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمر عليها منه اخوه كرز بن علقمة حتى اسلم بعد ذلك وهو كان يحدث عنه هذا الحديث فيما بلغنى قال بن هشام وبلغنى ان رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتبا عندهم فكلما مات رئيس منهم فافضت الرياسة الى غيره ختم على تلك الكتب خاتما مع الخواتم التى قبله ولم يكسرها فخرج الرئيس الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى فعثر فقال ابنه تعس إلا بعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابوه لاتفعل فانه نبيّ واسمه فى الوضايع يعنى الكتب فلما مات لم يكن لابنه همة الا ان شد فكسر الخواتم فوجد فيها ذكر النبى صلى لله عليه وسلم فاسلم فحسن اسلامه وحج وهو يقول ٠
اليك تغدو قلقا وضينها ٠ معترضا فى بطنها جنينها ٠ مخالفا دين النصارى دينها ٠
قال بن اسحاق وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير قال قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية فى جمال رجل بنى الحارث بن كعب قال يقول بعض من رآهم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يومئذ ما رأينا بعدهم وفداً مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعوهم فصلوا الى المشرق قال ابن اسحاق وكان تسمية الاربعة عشر الذين يؤول اليهم امرهم ٠ العاقب وهو عبد المسيح ٠ والسيد وهو الايهم ٠ وابو حارثة بن علقمة اخو بكر بن وايل ٠ واوس ٠ والحارث وزيد ٠ وقيس ٠ ويزيد ٠ ونبيه ٠ وخويلد ٠ وعمرو وخالد ٠ وعبد الله ٠

ويحانس • في ستين راكباً فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ابو حارثة بن علقمة • والعاقب عبد المسيح • والايهم السيد • وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلافهم في امرهم يقولون هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة . وكذلك قول النصارى فهم يحتجون في قولهم هو الله بانه كان يحيي الموتى ويبرىء الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيراً وذلك كله بامر الله وليجعله آية للناس ويحتجون في قولهم انه ولد الله فانهم يقولون لم يكن له اب يعلم وقد تكلم في المهد وهذا شيء لم يصنعه احد من ولد آدم ويحتجون في قولهم ثالث ثلاثة بقول الله فعلنا وامرنا وخلقنا وقضينا فيقولون لو كان واحداً ماقال الا فعلت وقضيت وامرت وخلقت ولكنه هو وعيسى ومريم ففي كل ذلك من اقوالهم قد نزل القرآن فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قال انكما لم تسلما فاسلما قالا بل قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولداً وعبادتكما للصليب واكلكما الخنزير قالا فمن ابوه يامحمد فصمت رسول لله صلى الله عليه وسلم عنهما فلم يجبهما فانزل الله في ذلك من قولهم واختلافهم في امرهم كله صدراً من سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية وذكر نزول الايات بسببهم غير واحد مثلما ذكره محمد بن جرير الطبري في تفسيره قال حدثنا المثنى حدثنا اسحاق حدثنا بن ابي جعفر يعني عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه عن الربيع في قوله تعالى (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم) قال ان النصارى اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاصموه في عيسى بن

مريم وقالوا له من أبوه وقالوا على الله الكذب والبهتان لا اله الا هو لم يتخذ صاحبة ولا ولدا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولدا الاوهو يشبه اباه قالوا نعم؟ قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يكلاءه ويحفظه ويرزقه؟ قالوا بلى. قال فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء؟ قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيأ الا ما علم؟ قالوا لا. قال فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء. قال الستم تعلمون ان ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟ قالوا بلى. قال الستم تعلمون ان عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يتغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟ قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم قال فعرفوا ثم ابوا الا جحودا فانزل الله (آلم الله لا اله الا هو الحي القيوم) وقد ثبت في الصحاح حديث وفد نجران ففي البخاري ومسلم عن حذيفة واخرجه مسلم عن سعد بن ابي وقاص قال لما نزلت هذه الآية قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هولاء اهلي وفي البخاري عن حذيفة بن اليمان قال جاء السيد والعاقب صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان ان يلاعناه فقال احدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا. قالا انما نعطيك ما سالتنا

وابعث معنا رجلا اميناً فلا تبعث معنا الا اميناً قال لا بعثن معكم رجلا اميناً حق امين • قال فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا امين هذه الامة وفى سنن ابي داود وغيره قال ابو داود اخبرنا مصرف بن عمرو اليامي حدثنا يونس يعني بن بكير حدثنا اسباط بن نصير الهمداني عن اسمعيل بن عبد الرحمن القرشي عن بن عباس قال صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل نجران على الفى حلة النصف فى صفر والنصف فى رجب يؤدونها الى المسلمين وعارية ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً وثلاثين من كل صنف من اصناف السلاح يغزون بها والمسلمون ضامنون لها حتى يردوها عليهم ان كان باليمن كيد ذات عذر على ان لا يهدم لهم بيعة ولا يخرج لهم قس ولا يفتنون عن دينهم مالم يحدثوا حدثاً او يأكلوا الربى قال اسمعيل فقد أكلوا الربى قال ابو داود اذا نقضوا بعض ماشرط عليهم فقد احدثوا وما ذكره ابو داود وأهل السير من مصالحته لاهل نجران على الجزية المذكورة معروف عند أهل العلم وقد ذكر ذلك ابو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب الاموال ذكره من طريقين قال ابو عبيد رحمه الله حدثنا ابو أيوب الدمشقي قال حدثني سعدان بن يحيي عن عبد الله بن ابى حميد عن ابي المليح الهذلى ان رسول الله صلي الله عليه وسلم صالح اهل نجران فكتب لهم كتاباً بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما كتب محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل نجران اذ كان حكمه عليهم ان فى كل سوداء وبيضاء وصفراء وحمراء او ثمرة ورقيق وافضل عليهم وترك ذلك

لهم الفى حلة فى كل صفر الف حلة وفى كل رجب الف حلة كل حلة ارقية مازاد الخراج او نقص فعلى الاواقي فليحسب وماقضوا من ركاب او خيل او دروع اخذ منهم بالحساب وعلى اهل نجران ان يقروا رسلي عشرين ليلة فما دونها وعليهم عارية ثلثين فرساً وثلثين بعيراً وثلثين درعاً اذا كان كيد باليمن ذو معذرة وماهلك مما اعاروا رسلى فهو ضامن على رسلى حتى يؤدوه اليهم ولنجران وحاشيتها ذمة الله وذمة رسوله على دمائهم واموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانهم واساقفتهم وشاهدهم وغائبهم وكل ماتحت أيديهم من قليل او كثير وعلى ان لايغيروا اسقفاً من سقيفاه ولاواقها من وقيهاه ولا راهباً من رهبانيته وعلى ان لايحشروا ولا يعشروا ولا يطأ ارضهم جيش ومن سأل منهم حقاً فالنصف بينهم نجران على ان لايأكلوا الربا فمن أكل الربى من ذي قبل فذمتي منه بريئة وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ولا معسوف عليهم شهد عثمان بن عفان ومعيقيب قال ابو عبيد الواقه ولى العهد فى لغة بلحارث بن كعب يقول اذا مات هذا الاسقف قام الآخر مكانه قال ابو عبيد قال ابو أيوب وحدثني عيسى بن يونس عن عبد الله بن أبي حميد عن أبى المليح عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزاد فى حديثه قال فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوا ابا بكر فوفى لهم بذلك وكتب لهم كتاباً نحواً من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصابوا الربى فى زمانه فاجلاهم عمر وكتب لهم اما بعد فمن وقعوا به من أمراء الشام او العراق فليوسعهم من خراب الارض وما اعتملوا من شيء فهو لهم لوجه الله وعقبى من

ارضهم قال فاتوا العراق فاتخذوا النجرانية قال ابو عبيد وهي قرية بالكوفة وكتب عثمان الى الوليد بن عقبة • اما بعد فان العاقب والاسقف وسرات أهل نجران اتوني بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واروني شرط عمر رضي الله عنه وقد سألت عثمان بن حنيف فانبأني أنه قد كان بحث على ذلك فوجده صار للدهاقين فنزعهم عن ارضهم واني قد وضعت عنهم من جزيتهم مائتين حلة لوجه الله وعقبي لهم من ارضهم واني اوصيك بهم فانهم قوم لهم ذمة قال ابو عبيد وحدثنا عثمان بن صالح عن عبد الله بن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لاهل نجران من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحو هذه النسخة وليس في حديثه قصة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وفي اخره شهد ابو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك من عوف من بني نضر والاقرع بن حابس الحنظلي والمغيرة بن شعبة قال ابو عبيد حدثني سعيد بن عفير عن يحي بن ايوب عن يونس بن يزيد الايلي عن بن شهاب قال اول من اعطى الجزية اهل نجران وكانوا نصارى • فان قيل قوله تعالى قل يااهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لانعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً) وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى هرقل مع دحية الكلبي مدة هدنته للمشركين وكان ابو سفيان اذ ذاك لم يسلم وقد حضر عند هرقل وسأله هرقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وابو سفيان اسلم عام الفتح فدل ذلك على ان هذا الكتاب كان قبل الفتح ونزول آية الجزية كان بعد الفتح سنة تسع

فدل ذلك على ان هذه الآية نزلت قبل آية الجزية وقبل آية المباهلة وقدوم وفد نجران قبل آية المباهلة قد علم يقينا انها نزلت في قصة قدوم وفد نجران والمفسرون واهل السير ذكروا ان آل عمران نزلت بسبب مناظرة اهل نجران وقد ذكرناه من نقل اهل الحديث بالاسناد المتصل ونقل اهل المغازى والسير ان وفد نجران صالحهم على الجزية وهم اول من ادّاها فعلم ان قدومهم كان بعد نزول آية الجزية . وآية الجزية نزلت بعد فتح مكة فعلم ان قدوم وفد نجران كان بعد آية السيف التى هى آية الجزية قال الزهرى اهل نجران اول من ادّى الجزية وقوله تعالى (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم) بعدها آيات نزلت قبل ذلك كقوله (يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله وانتم تشهدون) يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون فيكون هذا مما تقدم نزوله وتلك مما تأخر نزوله وجمع بينهما للمناسبة كما فى نظايره فان الايات كانت اذ انزلت يامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يضعها فى مواضع تناسبها وان كان ذلك مما تقدم ومما يبين ذلك ان هذه الآية وهى قوله تعالى (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم) لفظها يعم اليهود والنصارى وكذلك ذكر اهل العلم انها دعاء للطائفتين وان النبى صلى الله عليه وسلم دعى بها اليهود فدل ذلك على ان نزولها متقدم فان دعاءه لليهود كان قبل نزول آية الجزية ولهذا لم يضرب الجزية على اهل خيبر وغيرهم من يهود الحجاز ولكن لما بعث معاذاً لليمن وكان كثير من اهلها يهوداً امره ان يأخذ من كل حالم ديناراً او عدله معافراً وهذا كان متأخره

بعد غزوة تبوك وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ باليمن قال ابن ابي حاتم في تفسيره حدثنا ابي حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد حدثنا الضحاك بن عبد الرحمن بن حوشب وغيره ان عمر بن عبد العزيز كتب الى (اليون) طاغية الروم قال فيما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم (قل يا أهل الكتاب) يعني اليهود والنصاري (تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم) وروى باسناده عن بن جريج في قوله تعالى تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم قال بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم دعى يهود اهل المدينة فابوا عليه فجاهدهم وكذلك ساير الايات التى فيها خطاب للطايفتين كقوله تعالى (قل يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هولآء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلما وما كان من المشركين) ومما ينبغى ان يعلم أن اهل نجران المذكورة نجران اليمن لانجران الشام واهل نجران كان منهم نصارى اهل ذمة وكان منهم مسلمون وهم الاكثرون والنبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا عبيدة لهؤلآء وهؤلآء واستعمل عمر بن حزم على هؤلاء وهؤلاء كما اخرجا في الصحيحين عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل امة امينا وان اميننا ايها الامة ابو عبيدة بن الجراح وعن انس ايضاً ان اهل اليمن قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ابعث معنا رجلا امينا يعلمنا السنة والاسلام فاخذ بيد ابي عبيدة

بن الجراح فقال هذا امين هذه الامة وفى الصحيحين عن حذيفة بن
اليمان قال جاء اهل نجران الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول
الله ابعث الينا رجلا اميناً فقال لابعثن اليكم رجلا امينا حق امين قال
فاستشرف لها الناس قال فبعث ابا عبيدة بن الجراح وللبخارى عن
حذيفة قال جاء السيد والعاقب صاحبا نجران الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريدان ان يلاعناه قال فقال احدهما الآخر لاتفعل فوالله
لان كان نبياً فلاعناه لانفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا قالا انا نعطيك
ماسألتنا وابعث معنا رجلا اميناً فقال لابعثن معكم رجلا اميناً حق
امين فاستشرف لها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم
يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا امين هذه الامة وكذلك استعمل النبي صلى الله عليه وسلم عليهم
عمرو بن حزم وكتب له الكتاب المشهور الذي فيه الفرايض والسنن
وقد رواه النسآى بطوله وروى الناس بعضه مفرقاً ومحمد بن سعد
لم يذكر بعد وفد نجران الا وفد جيشان فدل على ان قدومهم كان
متأخراً ومحمد بن اسحق ذكر قدومهم فى اوائل السيرة مع قصة
اليهود ليجمع بين خبر اليهود والنصارى وذكر فى سنة عشر فتح
نجران وارسال النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وارسال خالد
ذكروا انه كان متأخراً قبل وفاته صلى الله عليه وسلم باربعة اشهر
وانه قدم وفد منهم بالاسلام وهذا انما كان بعد قدوم وفد النصارى فانه
قد ذكره بن سعد ان العاقب والسيد أسلما بعد ذلك والعهد بالجزية
انما كان مع النصارى وآية الجزية هى قوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون

بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وهذه آية السيف مع اهل الكتاب وقد ذكر فيها قتالهم اذا لم يؤمنوا حتى يعطوا الجزية والنبي صلي الله عليه وسلم لم يأخذ من احد الجزية الا بعدهذه الآية بل قالوا ان اهل نجران اول من اخذت منهم الجزية كما ذكر ذلك اهل العلم كالزهري وغيره فانه باتفاق اهل العلم لم يضرب النبي صلى الله عليه وسلم الجزية على احد قبل نزول هذه الآية لامن الاميين ولا من اهل الكتاب ولهذا لم يضربها على يهود قينقاع والنضير وقريظة ولا ضربها على اهل خيبر فانها فتحت سنة سبع قبل نزول آية الجزية واقرهم فلاحين وهادنهم هدنة مطلقة قال فيها نقركم ما اقركم الله فاذا كان اول ما اخذها من وفد نجران علم ان قدومهم عليه ومناظرته لهم ومحاجته اياهم وطلبه المباهلة معهم كانت بعد آية السيف التى فيها قتالهم وعلم بذلك ان ماذكره الله تعالى من مجادلة اهل الكتاب بالتى هي احسن الا الذين ظلموا منهم محكم لم ينسخه شيء وكذلك ماذكره تعالى من مجادلة الخلق مطلقا بقوله (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي احسن) فان من الناس من يقول آيات المجادلة والمحاجة للكفار منسوخات بآية السيف لاعتقاده ان الامر بالقتال المشروع ينافي المجادلة المشروعة وهذا غلط فان النسخ انما يكون اذا كان الحكم الناسخ مناقضاً للحكم المنسوخ كمناقضة الامر باستقبال المسجد الحرام فى الصلاة للامر باستقبال بيت المقدس بالشام ومناقضة الامر بصيام رمضان للمقيم للتخيير

بين الصيام وبين اطعام كل يوم مسكيناً ومناقضة نهيه عن تعدى الحدود التى فرضها للورثة للامر بالوصية للوالدين والاقربين ومناقضة قوله لهم كفوا ايديكم عن القتال لقوله قاتلوهم كما قال تعالى (الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية) فامره لهم بالقتال ناسخ لامره لهم بكف ايديهم عنهم فاما قوله تعالى (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن) وقوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن الا الذين ظلموا منهم) فهذا لايناقضه الامر بجهاد من امر بجهاده منهم ولكن الامر بالقتال يناقض النهي عنه والاقتصار على المجادلة . فاما مع امكان الجمع بين الجدال المأمور به والقتال المأمور به فلا منافاة بينهما واذا لم يتنافيا بل امكن الجمع لم يجز الحكم بالنسخ ومعلوم ان كلا منهما ينفع حيث لاينفع الآخر وان استعمالهما جميعاً ابلغ فى اظهار الهدى ودين الحق ومما يبين ذلك وجوه (احدها) ان من كان من أهل الذمة والعهد والمستأمن منهم لايجاهد بالقتال فهو داخل فيمن امر الله بدعوته ومجادلته بالتى هى أحسن وليس هو داخلا فيمن امر الله بقتاله (الثانى) انه قال (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا) فالظالم لم يؤمر بجداله بالتى هي أحسن فمن كان ظالماً مستحقاً للقتال غير طالب للعلم والدين فهو من هؤلاء الظالمين الذين لايجادلون بالتى هى أحسن بخلاف من طلب العلم والدين ولم يظهر منه ظلم سواء كان قصده الاسترشاد او كان يظن انه على حق يقصد نصر مايظنه حقاً . ومن كان قصده العناد يعلم أنه على باطل ويجادل

عليه فهـذا لم يؤمر بمجادلته بالتي هي أحسن لكن قد نجادله بطرق اخرى نبين فيها عناده وظلمه وجهله جزاءً له بموجب عمله (الثالث) انه سبحانه وتعالى قال (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه) فهذا مستجير مستأمن وهو من أهل الحرب أمره الله باجارته حتى تقوم حجة الله عليه ثم يبلغه مأمنه وهذا فى سورة برآءة التى فيها نقض العهود وفيها آية السيف وذكر هذه الآية فى ضمن الامر بنقض العهود ليبين سبحانه ان مثل هذا يجب امانه حتى تقوم عليه الحجة لاتجوز محاربته كمحاربة من لم يطلب ان يبلغ حجة الله عليه قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ثم أبلغـه مأمنه ان لم يوافقه ماتقص عليه وتخبر به فابلغه مأمنه قال وليس هذا بمنسوخ وقال مجاهد من جاءك واستمع ماتقول واستمع ما أنزل اليك فهو آمن حتى يأتيك وقال عطاء فى الرجل من أهل الشرك يأتى المسلمين بغير عهد قال خيره اما ان تقره واما ان تبلغه مأمنه وقوله تعالى (فاجره حتى يسمع كلام الله) قد علم ان المراد انه يسمعه سمعاً يتمكن معـه من فهم معنـاه اذ المقصود لايقوم بمجرد سمع لفظ لايتمكن معه من فهم المعـنى فلو كان غير عربى لوجب ان يترجم له ماتقوم به عليه الحجة ولو كان عربياً وفى القرآن الفاظ غريبة ليست من لغته وجب ان نبين له معناها ولو سمع اللفظ كما يسمعه كثير من الناس ولم يفقه المعنى وطلب منا ان نفسره له ونبين له معناه فعلينا ذلك • وان سألنا عن سؤال يقدح فى القرآن اجبناه عنه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اورد عليه بعض المشركين او اهل الكتاب او المسلمين سؤالا يوردونه على القرآن فانه كان يجيبهم عنه كما

اجاب بن الزبعرى لما قاس المسيح على آلهة المشركين وظن ان العلة في الاصل بمجرد كونهم معبودين وان ذلك يقتضي ان كل معبود غير الله فانه يعذب فى الآخرة فجعل المسيح مثلا لآلهة المشركين قاسهم عليه قياس الفرع على الاصل قال تعالى (ولما ضرب بن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير ام هو ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون) فبين سبحانه الفرق المانع من الالحاق بقوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون) وبين ان هؤلاء القايسين ما قاسوه الا جدلا محضاً لايوجب علماً لان الفرق حاصل بين الفرع والاصل فان الاصنام اذا جعلوا حصباً لجهنم كان ذلك اهانة وخزيا لعابديها من غير تعذيب من لايستحق التعذيب بخلاف ما اذا عذب عباد الله الصالحون بذنب غيرهم فان هذا لايفعله الله تعالى لاسيما عند جماهير المسلمين وسائر اهل الملل سلفهم وخلفهم الذين يقولون ان الله لايخلق ويأمر الا لحكمة ولا يظلم احداً فينقصه شيئاً من حسناته ولا يحمل عليه سيئات غيره بل ولا يعذب احداً الا بعد ارسال رسول اليه كما قال تعالى (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) وقال تعالى (ومن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقا) وقال تعالى (هل تجزون الا ما كنتم تعملون) وقال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ومن قال من المسلمين وغيرهم من اهل الملل انه يجوز منه تعالى فعل كل شيء وان الظلم هو الممتنع الذى لايدخل تحت القدرة فهؤلاء يقولون انما يعلم مايفعله ومالا يفعله بدلالة خبر الصادق او بالعادة وان كان الجمهور يستدلون بخبر الصادق وبغيره على مايمتنع من الله وقد

أخبر الله تعالى ان عباده الصالحين في الجنة لا يعذبهم في النار بل يتقبل عنهم أحسن ماعملوا ويتجاوز عن سيآتهم في اصحاب الجنة فضلا ان يعاقبهم بذنب غيرهم مع كراهته لفعلهم ونهيهم عن ذلك ومن زعم ان لفظ ما كانت تتناول المسيح وآخر بيان العام أو اجاب بان لفظ ما لايتناول الا مالا يعقل والقولان ضعيفان كما قد بسط في موضعه وانما المشركون عارضوا النص الصحيح بقياس فاسد فبين الله تعالى فساد القياس وذكر الفرق بين الاصل والفرع وكذلك لما اورد بعض النصارى على قوله تعالى (يا اخت هارون) ظناً منه ان هارون هذا هو هارون اخو موسى بن عمران وان عمران هذا هو عمران ابو مريم ام المسيح فسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك • أجاب بان هارون هذا ليس هو ذاك ولكنهم كانوا يسمون باسماء الانبياء والصالحين • وبعض جهال النصارى يقدح في القرآن بمثل هذا ولا يعلم هذا المفرط في جهله ان آحاد الناس يعلمون ان بين موسى وعيسى مدة طويلة جداً يمتنع معها ان يكون موسى وهارون خالى المسيح وان هذا مما لايخفى على اقل اتباع محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن ان يخفى على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا السؤال مما اورده اهل نجران كما ثبت عن المغيرة بن شعبة قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهل نجران فقالوا الستم تقرأون يا اخت هارون وقد علمتم مابين موسى وعيسي فلم ادر ما اجيبهم فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال الا اخبرتهم انهم كانوا يسمون باسماء انبيائهم والصالحين قبلهم؟ وهذا السؤال الذي هو سوآل الطاعن في القرآن لما اورده اهل نجران الكفار على

المغيرة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم عنه اجاب عنه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقل لهم ليس لكم عندى الا السيف ولا قال قد نقضتم العهد ان كانوا قد عاهدوه وقد عرف ان اهل نجران لم يرسل اليهم رسولا الا والجهاد مامور به وكان المسلمون يوردون الاسئلة عليه كما اورد عليه عمر عام الحديبية لما صالح المشركين ولم يدخل مكة فقال له الم تكن تحدثنا انا نأتي البيت ونطوف به قال بلى أقلت لك انك تأتيه في هذا العام قال لا . قال فانك اتيه ومطوف به وكذلك اجابه ابو بكر ولم يكن سمع جواب النبي صلى الله عليه وسلم له ومعلوم انه ليس فى ظاهر اللفظ توقيت ذلك بعام ولكن السائل ظن مالا يدل اللفظ عليه وكذلك لما قال من نوقش الحساب عذب قالت له عائشة الم يقل الله (فامامن اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا) فقال ذلك العرض ومن نوقش الحساب عذب ومعلوم ان الحساب اليسير لا يتناول من نوقش وقد زادها بياناً فاخبر انه العرض لا المقابلة المتضمنة للمناقشة وكذلك لما قال انه لايدخل النار احد بايع تحت الشجرة قالت له حفصة (الم يقل الله وان منكم الا واردها) فاجابها انه قال (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) فبين صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء هم الذين يدخلون جهنم وهذا الدخول هو الذى نفاه عن اهل الحديبية واما الورود فهو مرور الناس على الصراط كما فسره فى الحديث الصحيح حديث جابر بن عبد الله وهذا المرور لايطلق عليه اسم الدخول الذى تجزى به العصاة وينفى عن المتقين ومثل هذا كثير واما ما فى القرآن من ذكر اقوال الكفار وحججهم وجوابها فهذا كثير

جداً فانه يجادلهم تارة في التوحيد وتارة فى النبوات وتارة في المعاد وتارة فى الشرايع بأحسن الحجج واكملها كما قال تعالى (وقالوا لولا انزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا ياتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا) وقد اخبر الله تبارك وتعالى عن اولى العزم من الرسل بمجادلة الكفار فقال تعالى عن قوم نوح (وقالوا يانوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا) وقال عن الخليل (وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وقد هدانى الى قوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشأ) وامر تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم بالمجادلة بالتى هى احسن وذم سبحانه من جادل بغير علم او فى الحق بعد ماتبين ومن جادل بالباطل فقال تعالى (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون) وقال تعالى (ويجادلونك فى الحق بعد ماتبين) وقال تعالى (وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب) وهذا هو الجدال المذكور فى قوله (ما يجادلك فى آيات الله الا الذين كفروا) واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يحاجّ الكفار بعد نزول الامر بالقتال وقد امره الله تعالى ان يجير المستجير حتى يسمع كلام الله ثم يبلغه مأمنه والمراد بذلك تبليغه رسالات الله واقامة الحجة عليه وذلك قد لايتم الا بتفسيره له الذى تقوم به الحجة ويجاب به عن المعارضة وما لايتم الواجب الا به فهو واجب • علم بطلان قول من ظن ان الامر بالجهاد ناسخ للامر بالمجادلة مطلقا (الوجه الرابع) ان القائل اذا قال ان آية مجادلة الكفار او غيرها مما يدعى نسخه منسوخة بآية السيف • قيل

له ما تعنى بآية السيف؟ اتعنى آية بعينها ام تعنى كل اية فيها الامر بالجهاد؟
فان اراد الاول كان جوابه من وجهين ٠ احدهما ان الآيات التى فيها
ذكر الجهاد متعددة فلا يجوز تخصيص بعضها ٠ وان قال اريد قوله تعالى
(فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) قيل له
هذه فى قتال المشركين وقد قال بعدها فى قتال اهل الكتاب (قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله
ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد
وهم صاغرون) فلو لم تكن آية السيف الا واحدة لم تكن هذه اولى
من هذه ٠ وان قال كل اية فيها ذكر الجهاد ٠ قيل له الجهاد شرع على
مراتب فاول ما انزل الله تعالى فيه الاذن فيه بقوله اذن للذين يقاتلون بانهم
ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) فقد ذكر غير واحد من العلماء ان
هذه اول آية نزلت فى الجهاد ثم بعد ذلك نزل وجوبه بقوله (كتب
عليكم القتال) ولم يؤمروا بقتال من طلب مسالمتهم بل قال (فان تولوا
فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيرا الا
الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اوجاؤكم حصرت صدورهم
ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان
اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا)
وكذلك من هادنهم لم يكونوا مأمورين بقتاله وان كانت الهدنة عقداً
جائزا غير لازم ثم انزل الله فى براءة الامر بنبذ العهود وامرهم بقتال
المشركين كافة وامرهم بقتال اهل الكتاب اذا لم يسلموا حتى يعطوا
الجزية عن يدا وهم صاغرون ولم يبح لهم ترك قتالهم وان سالموهم

وهادنوهم هدنة مطلقة مع امكان جهادهم ٠ فان قيل آية السيف التى نسخت المجادلة هى آية الاذن ٠ قيل فآية الأذن نزلت فى اول مقدمه المدينة قبل ان يبعث شيئاً من السرايا وقد جادل بعد هذا الكفار وكذلك ان قيل آيات فرض القتال قيل كقوله (كتب عليكم القتال) نزلت فى البقرة أول الامر قبل بدر وقيل لا ريب ان الجهاد كان واجباً يوم احد والخندق وفتح خيبر ومكة وقد ذكر الله آيات فرض الجهاد فى هؤلاء المغازي كما ذكر ذلك فى سورة آل عمران والاحزاب فان قيل بل الجدال انما نسخ لما امر بجهاد من سالم ومن لم يسالم ٠ قيل هذا باطل فان الجدال إن كان منافياً للجهاد فهو مناف لاباحته ولا يجابه ولو للمسالم وان لم ينافِ الجهاد لم ينافِ ايجاب الجهاد للمسالمين كما لم ينافِ ايجاب جهاد غيرهم ٠ فان المسالم قد لا يجادل ولا يجالد وقد يجادل ولا يجالد كما ان غيره قد يجادل ويجالد وقد يفعل احدهما فاذا كان اجابه لجهاد المحارب المبتدى بالقتال لا ينافى مجادلته فلان يكون جهاد من لا يبدأ بالقتال لا ينافي مجادلته اولى واحرى ٠ فان من كان ابعد عن القتال كانت مجادلته اقل منافاة للقتال ممن يكون اعظم قتالا يبين هذا (الوجه الخامس) وهو ان يقال المنسوخ هو الاقتصار على الجدال فكان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الامر مأموراً ان يجاهد الكفار بلسانه لا بيده فيدعوهم ويعظهم ويجادلهم بالتى هى أحسن ويجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيرا قال تعالى فى سورة الفرقان وهي مكية (ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيرا) وكان ماموراً بالكف عن قتالهم لعجزه وعجز المسلمين عن ذلك ثم

لماهاجر الى المدينة وصار له بها اعوان اذن له في الجهاد ثم لما قووا كتب عليهم القتال ولم يكتب عليهم قتال من سالمهم لانهم لم يكونوا يطيقون قتال جميع الكفار فلما فتح الله مكة وانقطع قتال قريش ملوك العرب ووفدت اليه وفود العرب بالاسلام امره الله تعالى بقتال الكفار كلهم الا من كان له عهد موقت وامره بنبذ العهود المطلقة فكان الذى رفعه ونسخه ترك القتال • واما مجاهدة الكفار باللسان فما زال مشروعاً من اول الامر الى آخره فانه اذا شرع جهادهم باليد فباللسان اولى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم جاهدوا المشركين بايديكم والسنتكم واموالكم وكان ينصب لحسان منبراً في مسجده يجاهد فيه المشركين بلسانه جهاد هجو وهذا كان بعد نزول آيات القتال واين منفعة الهجو من منفعة اقامة الدلائل والبراهين على صحة الاسلام وابطال حجج الكفار من المشركين واهل الكتاب (الوجه السادس) انه من المعلوم ان القتال انما شرع للضرورة ولو ان الناس آمنوا بالبرهان والآيات لما احتيج الى القتال فبيان ايات الاسلام وبراهينه واجب مطلقاً وجوباً اصلياً • واما الجهاد فمشروع للضرورة فكيف يكون هذا مانعاً من ذلك فان قيل الاسلام قد ظهرت اعلامه وآياته فلم تبق حاجة الى اظهار آياته وانما يحتاج الى السيف • قيل معلوم ان الله وعد باظهاره على الدين كله ظهور علم وبيان وظهور سيف وسنان فقال تعالى (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وقد فسر العلماء ظهوره بهذا وهذا ولفظ الظهور يتناولهما فان ظهور الهدى بالعلم والبيان وظهور الدين باليد والعمل والله تعالى ارسل رسوله بالهدى

ودين الحق ليظهره على الدين كله ومعلوم ان ظهور الاسلام بالعلم والبيان قبل ظهوره باليد والقتال فان النبي صلى الله علية وسلم مكث بمكة ثلاث عشر سنة يظهر الاسلام بالعلم والبيان والايات والبراهين فآمنت به المهاجرون والانصار طوعاً واختياراً بغير سيف لما بان لهم من الآيات البينات والبراهين والمعجزات ثم اظهره بالسيف فاذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداء ودفعاً فلان يجب علينا بيان الاسلام واعلامه ابتداء ودفعاً لمن يطعن فيه بطريق الاولى والاحرى ٠ فان وجوب هذا قبل وجوب ذاك ومنفعته قبل منفعته ومعلوم انه يحتاج كل وقت الى السيف فكذلك هو محتاج الى العلم والبيان واظهاره بالعلم والبيان من جنس اظهاره بالسيف وهو ظهور مجمل علا به على كل دين مع ان كثيراً من الكفار لم يقهره سيفه فكذلك كثير من الناس لم يظهر لهم اياته وبراهينه بل قد يقدحون فيه ويقيمون حججهم على بطلانه ولاسيما والمقهورون بالسيف فيهم منافقون كثيرون فهؤلاء جهادهم بالعلم والبيان دون السيف والسنان يؤكد هذا (الوجه السابع) وهو ان القتال لا يكون الا لظالم فان من قاتل المسلمين لم يكن الا ظالماً متعدياً ومن قامت عليه الحجة فشاق الرسول من بعد ماتبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين لم يكن الا ظالماً ٠ واما المجادلة فقد تكون لظالم اما طاعن فى الدين بالظلم واما من قامت عليه الحجة الظاهرة فامتنع من قبولها ٠ وقد يكون لمسترشد طالب حق لم يبلغه ٠ اما من بلغه بعض اعلام نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلايل نبوته ولكن عورض ذلك عنده بشبهات تنافى ذلك فاحتاج الى جواب تلك المعارضات واما طالب لمعرفة دلائل النبوة على

الوجه الذي يعلم به ذلك فاذا كان القتال الذى لا يكون الا لدفع ظلم المقاتل مشروعاً فالمجادلة التى تكون لدفع ظلمه ولا نتفاعه وانتفاع غيره مشروعة بطريق الاولى قال مجاهد (ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هي أحسن الا الذين ظلموا منهم) قال الذين ظلموا من قاتلك ولم يعطك الجزية وفى لفظ آخر عنه قال الذين ظلموا منهم اهل الحرب من لا عهد لهم المجادلة لهم بالسيف وفى رواية عنه قال لا تقاتلوا الا من قاتلكم ولم يعط الجزية وفى رواية عنه قال من ادى منهم الجزية فلا تقولوا لهم الا خيرا وعن مجاهد الا بالتى هي أحسن فان قالوا شراً فقولوا خيرا فهذا مجاهد لا يجعلها منسوخة وهو قول اكثر المفسرين قال عبد الرحمن ابن زيد بن اسلم (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى احسن ليست منسوخة ولكن عن قتادة قال نسختها (اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ولا مجادلة اشد من السيف والاول اصح لان هؤلاء من الذين ظلموا فلا نسخ ومما يعجب منه ان بعض المنكرين لمجادلة الكفار بناء على ظهور دلايل النبوة نجده هو ومن يعظمه من شيوخه الذين يعتمد فى اصول الدين على نظرهم ومناظرتهم ويزعمون انهم قرروا دلايل النبوة قد اوردوا من الشبهات والشكوك والمطاعن على دلائل النبوة ما يبلغ نحو ثمانين سؤالا واجابوا عنه باجوبة لا تصلح ان تكون جواباً فى المسائل الظنية بل هى الى تقرير شبه الطاعنين اقرب منها الى تقرير أصول الدين وهم كما مثلهم الغزالى وغيره بمن يضرب شجرة ضرباً يزلزلها به وهو يزعم انه يريد ان يثبتها وكثير من أئمة هؤلاء مضطرب فى الايمان بالنبوة اضطرابا ليس هذا موضع بسطه وهم مع ذلك يدعون انه قد ظهر عند اهل الكتاب

مالم يظهر عند شيوخ هولاء النظار و ينهون عن اظهار آيات الله و براهينه
التي هى غاية مطالب مشايخهم وهم لم يعطوها حقها اما عجزا واما تفريطا
(الوجه الثامن) ان كثيراً من اهل الكتاب يزعم ان محمداً صلى الله عليه
وسلم وامته انما اقاموا دينهم بالسيف لا بالهدى والعلم والايات فاذا طلبوا
العلم والمناظرة فقيل لهم ليس لكم جواب الا السيف كان هذا مما
يقرر ظنهم الكاذب وكان هذا من اعظم مايحتجون به عند
انفسهم على فساد الاسلام وانه ليس دين رسول من عند
الله وانما هو دين ملك اقامه بالسيف (الوجه التاسع) انه من المعلوم
ان السيف لاسيما سيف المسلمين واهل الكتاب هو تابع للعلم والحجة
بل وسيف المشركين هو تابع لآرائهم واعتقادهم والسيف من جنس
العمل والعمل ابداً تابع للعلم والرأى • وحينئذ فبيان دين الاسلام بالعلم
و بيان ان ماخالفه ضلال وجهل هو تثبيت لاصل دين الاسلام واجتثاب
لاصل غيره من الاديان التي يقاتل عليها اهلها ومتى ظهر تصحته وفساد
غيره كان الناس احد رجلين • اما رجل تبين له الحق فاتبعه فهذا هو
المقصود الاعظم من ارسال الرسل • واما رجل لم يتبعه فهذا رجل
قامت عليه الحجة اما لكونه لم ينظر في اعلام الاسلام او نظر وعلم
فاتبع هواه او قصر واذا قامت عليه الحجة كان ارضى لله ولرسوله
وانصر لسيف الاسلام واذل لسيف الكفار واذا قدر ان فيهم من
يعجز عن فهم الحجة فهذا اذاً لم يكن معذوراً مع عدم قيامها فهو مع
قيامها اولى ان لايعذر • وان كان معذوراً مع قيامها فهو مع عدمها
اعذر فعلى التقديرين قيام الحجة انصر واعذر وقد قال تعالى (وما كنا

معذبين حتى نبعث رسولا قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقال تعالى فالملقيات ذكراً عذراً (او نذراً وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما احد احب اليه العذر ومن الله من اجل ذلك ارسل الرسل مبشرين ومنذرين (فصل) وكان قبل قصة نجران قد آمن بالنبي كثير من اليهود والنصارى رؤساهم وغير رؤساهم لما تبين لهم انه رسول الله اليهم كما آمن به النجاشي ملك الحبشة وكان نصرانياً هو وقومه وكان ايمانه به في اول امر النبي صلى الله عليه وسلم لما كان اصحابه مستضعفين بمكة وكان الكفار يظلمونهم ويؤذونهم ويعاقبونهم على الايمان بالله ورسوله فهاجر منهم طايفة مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وجعفر بن ابى طالب وغيرهم من الرجال والنساء الى بلده وكان ملكا عادلا فارسل الكفار خلفهم رسلا الى ارض الحبشة ارض النجاشي بهدايا ليردهم اليهم فامتنع من عدله ان يسلمهم اليهم حتى يسمع كلامهم فلما سمع كلامهم وما اخبروه به من امر النبي صلى الله عليه وسلم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وآواهم ولما سمع القرآن قال ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ولما سألهم عن قولهم فى المسيح عليه السلام قالوا نشهد انه عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول التى لم يمسها رجل فقال النجاشي لجعفر ابن ابى طالب والله مازاد عيسى بن مريم على ما قلت هذا العود فنخرت اصحابه فقال وان نخرتم وان نخرتم وبعث ابنه وطايفة من اصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم مع جعفر بن ابى طالب وقدم جعفر

على النبي صلى الله عليه وسلم عام خيبر وقد ذكر قصتهم جماعة من العلماء والحفاظ كاحمد بن حنبل في المسند وابن سعد في الطبقات وابي نعيم في الحلية وغيرهم وذكرها اهل التفسير والحديث والفقه وهي متواترة عند العلماء قال احمد حدثني يعقوب بن ابراهيم بن سعيد عن ابيه قال حدثنا محمد بن اسحق حدثني محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري عن ابي بكر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي عن ام سلمة بنت ابي امية بن المغيرة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها قالت لما نزلنا ارض الحبشة جاورنا بها خير جار (النجاشي) آمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا ان يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين جلدين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان اعجب ما يأتيه منها اليه الادم فجمعوا له ادما كثيرا • ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا اهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك عبد الله بن ابي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص بن وايل السهمي وامروهما امرهم وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هديته قبل ان تكلموا النجاشي فيهم ثم قدموا الى النجاشي هداياه ثم اسألوه ان يسلمهم اليكم قبل ان يكلمهم قالت فخرجا فقدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته قبل ان يكلما النجاشي ثم قالا لكل بطريق منهم انه قد صبا الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قومهم من آبائهم واعمامهم وعشائرهم ليردهم اليهم فاشيروا

عليه ان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم اعلا بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم • ثم انهما قربا هداياهما الى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له ايها الملك انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجآءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا انت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم . من آبائهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم اعلا بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه • قالت ولم يكن شيء ابغض الى عبدالله بن ابي ربيعة وعمرو بن العاص من ان يسمع النجاشي كلامنا • فقالت بطارقته حوله صدقوا ايها الملك قومهم اعلا بهم عيناً واعلم بما عابوا عليهم فاسلمهم اليهما فليردّاهم الى بلادهم • وقومهم قالت فغضب النجاشي ثم قال لاهاً ايم الله اذاً لا اسلمهم اليهما ولا اكاد قوماً جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى ادعوهم فاسألهم ما يقول هاذان في امرهم فان كانوا كما يقولون اسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهما واحسنت جوارهم ما جاوروني • قالت ثم ارسل الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فلما جآءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا اجئتموه قال نقول والله ما علمنا وما جاء به نبينا كائن في ذلك ما هو كائن فلما جآءوه زاد ابو نعيم وقد دعى النجاشي اساقفته ومعهم مصاحفهم حوله فلما جآءوه فسألهم فقال ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا في دين احد من هذه الامم • قالت فكان الذي كلمه جعفر بن ابي طالب فقال ايها الملك كنا قوماً اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة

ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباءنا من دونه من الحجارة والاوثان وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وامرنا ان نعبد الله لا نشرك به شيئاً وامرنا بالصلاة والزكاة والصيام • قالت فعدد عليه امور الاسلام قال فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ماحرم علينا واحللنا ما أحل لنا فعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان عن عبادة الله وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك ايها الملك • قالت فقال له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء؛ قالت فقال له جعفر نعم فقال له النجاشي فاقرأه علي فقرأ عليه صدراً من سورة مريم (كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداءً خفيا قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا واني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا قال كذلك قال ربك هو عليّ هين وقد خلقتك من قبل ولم

تك شيئا قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال
سويا فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
يايحي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكاة وكان
تقيا وبرا بوالديه ولم يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت
ويوم يبعث حيا واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا
شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا
سويا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما أنا رسول ربك
لاهب لك غلاما زكيا قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك
بغيا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا
وكان أمرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض الى جذع
النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها
الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط
عليك رطبا جنيا فكلى واشربي وقري عينا فاما ترين من البشر أحدا
فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا فاتت به قومها
تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئا فريا يااخت هارون ما كان ابوك امرأ
سوء وما كانت أمك بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد
صبيا قال انى عبدالله آتاني الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت
وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلنى جبارا
شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا ذلك عيسى
ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه
اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وان الله ربى وربكم فاعبدوه

هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا
من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم
لايؤمنون انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون) قالت أم
سلمة رضي الله عنها فبكى والله النجاشي حتى اخضل لحيته وبكت اساقفته
حتى اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ماتلي عليهم ثم قال النجاشي ان هذا
والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ثم قال لعبد الله ابن ابي
ربيعة وعمرو بن العاص انطلقا فوالله لا اسلمهم اليكما ابداً ولا اكاد
قالت ام سلمة فلما خرج من عنــده قال عمرو بن العاص والله لا تينه
غداً أعيبهم عنده ثم استأصل به خضراهم قالت فقال له عبدالله ابن ابي
ربيعــة وكان اتقى الرجلين فينا لا تفعل فان لهم ارحاماً وان كانوا قد
خالفونا قال والله لاخبرنه انهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد قالت
ثم غدا عليه الغد فقال له ايها الملك انهم يقولون في عيسى بن مريم قولا
عظيما فارسل اليهم فاسألهم عما يقولون فيه ٠ قالت فارسل اليهم يسألهم عنه
قالت ولم ينزل بنا مثلها فاجتمع القوم فقــال بعضهم لبعض ماتقولون في
عيسى اذا سألكم عنه ؟ قالوا نقول والله فيه ماقاله الله وما جاء به نبينا
كائناً في ذلك ماهو كائن فلما دخلوا عليه قال لهم ما تقولون في عيسى
بن مريم فقال له جعفر بن ابي طالب نقول فيه الذي جاء به نبينا هو
عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول ٠ قالت
فضرب النجاشي يده على الارض فاخذ منها عوداً ثم قال ماعدى عيسى
بن مريم ما قلت هذا العود فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال

فقال وإن نخرتم والله اذهبوا فانتم سيوم بارضى والسيوم الآمنون • من سبكم غرّم ثم من سبكم غرم ثم من سبكم غرم فما احب ان لي ديراً ذهباً واني آذيت رجلا منكم والدبر بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بها فوالله ما اخذ الله مني الرشوة حين ردّ على ملكي فاخذ الرشوة فيه وما اطاع الناس في فاطيعهم فيه • قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردود عليهما ما جاءا به واقمنا عنده بخير دار مع خير جار • قالت فوالله انا على ذلك اذ نزل به يعني من ينازعه في ملكه قالت فوالله ما علمنا حزناً قط كان اشد من حزن حزناه عند ذلك تخوفنا ان يظهر ذلك على النجاشي فيأتي رجلا لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه وروى عبد الله بن عامر بن الزبير عن ابيه قال لما نزل بالنجاشي عدوه من ارضه جاء المهاجرون فقالوا انا نحن نخرج اليهم فنقاتل معك وترى حربنا ونجزيك بما صنعت بنا • فقال ذو ينصره الله خير من الذي ينصره الناس يقول الذي ينصره الله خير من الذي ينصره الناس فأبى ذلك عليهم (رجعنا الى) حديث ام سلمة قالت وسار النجاشي وبينهما عرض النيل قالت فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر قالت فقال الزبير بن العوام انا • قالت وكان من احدث القوم سنا قالت فنفخنا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم • قالت ودعونا الله للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده قالت فوالله انا لعلى ذلك متوقعين لما هو كائن اذ طلع الزبير بن العوام يسعى ويلوح بثوبه ويقول الا

ابشروا قد ظهر النجاشي وقد اهلك الله عدوه . قالت فوالله ما علمت فرحنا فرحة مثلها قط قالت فرجع النجاشي وقد اهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوسق عليه امر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد روى جمل هذه القصة ابو داود في سننه من حديث ابي موسى وفي الصحيحين من حديث ابي موسى قال بلغنا مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن نخرجنا مهاجرين اليه انا واخوان لي انا اصغرهما في اثنين وخمسين رجلاً من قومي فركبنا سفينة فالقتنا سفينتنا الى النجاشي بالحبشة فوافقنا جعفر بن ابي طالب واصحابه عنده قال جعفر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا وامرنا يعني بالاقامة فاقيموا معنا قال فاقمنا معه حتى قدمنا جميعاً قال فوافقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر فاسهم لنا منها وما قسم لاحد غائب عن فتح خيبر غيرنا الا لمن شهد معنا اصحاب سفينتنا مع جعفر واصحابه قسم لهم معهم قال فلما رأى ناس من الناس يقولون لنا (يعني اهل السفينة) سبقناكم بالهجرة قال ودخلت اسماء بنت عميس وهي ممن قدم معنا على حفصة زايرة وقد كانت هاجرت الى النجاشي فيمن هاجر اليه فدخل عمر على حفصة واسماء عندها فقال عمر حين رأى اسماء من هذه ؟ قالت اسماء بنت عميس فقال عمر الحبشية هذه البحرية هذه قالت اسماء نعم . فقال عمر سبقناكم بالهجرة نحن احق برسول الله صلى الله عليه وسلم منكم فغضبت وقالت يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جايعكم ويعظ جاهلكم وكنا في ارض البعد البغضاء بالحبشة وذلك في الله تبارك

وتعالى وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لا اطعم طعاماً ولا اشرب شراباً حتى اذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسأله والله لا اكذب ولا ازيغ ولا ازيد على ذلك • فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قالت يارسول الله ان عمر قال كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فماذا قلت له؟ قالت قلت كذا وكذا قال ليس باحق بي منكم وله ولاصحابه هجرة واحدة ولكم انتم اهل السفينة هجرتان • قالت فلقد رأيت ابا موسى واصحاب السفينة ياتوني ارسالا يسألوني عن هذا الحديث مامن الدنيا شيء هم به افرح ولا اعظم في انفسهم مما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بردة قالت اسماء فلقد رأيت ابا موسى وانه ليستعيد هذا الحديث مني • اخرجاه في الصحيحين البخاري ومسلم • واخرجاه في الصحيحين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نعى لهم النجاشي صاحب الحبشة في اليوم الذى مات فيه قال استغفروا لاخيكم • وعنه رضى الله عنه قال نعى النبي صلى الله عليه وسلم النجاشي يوم توفي وقال استغفروا لاخيكم ثم خرج بالناس الى المصلى فصفوا وراءه وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات اخرجاه • وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على اصحمة النجاشي فكبر عليه اربعاً اخرجاه في الصحيحين •

(فصل) وكان اول ما انزل الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم الوحي عرضت خديجة امرأته امره على عالم كبير من علماء النصارى يقال له ورقة بن نوفل وكان من العرب المتنصرة فقال هـذا هو الناموس

الذی کان یأتی موسی بن عمران یالیتنی اکون فیها جذعاً حین یخرجك قومك یعنی لیتنی اکون شاباً فانه کان شیخاً کبیراً قد کف بصره فقال له النبی صلی الله علیه وسلم اومخرجي هم؟ قال نعم لم یأت احد بمثل ما اتیت به الا عودي وان یدرکنی یومك انصرك نصراً موزراً رواه اصحاب الصحیح وقدم الیه بمکة طایفة من اهل الکتاب من النصاری فآمنوا به فآذاهم المشرکون فصبروا واحتملوا اذاهم فأنزل الله فیهم (الذین آتیناهم الکتاب من قبله هم به یؤمنون واذا یتلی علیهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا کنا من قبله مسلمین اولیك یؤتون اجرهم مرتین بما صبروا ویدرؤن بالحسنة السیئة ومما رزقناهم ینفقون واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولکم اعمالکم سلام علیکم لانبتغي الجاهلین) وقصتهم مشهورة فی کتب التفسیر وغیرها وروی البیهقی في کتاب دلائل النبوة واعلام الرسالة فقال انباءنا ابو عبدالله الحافظ انباءنا ابو العباس محمد بن یعقوب انباءنا احمد بن عبدالجبار انباءنا یونس عن بن اسحاق قال ثم قدم علی رسول الله صلی الله علیه وسلم عشرون رجلا وهو بمکة او قریب من ذلك من النصاری حین ظهر خبره فی الحبشة فوجدوه فی المجلس فکلموه وسائلوه ورجال من قریش فی اندیتهم حول الکعبة فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله صلی الله علیه وسلم عما ارادوا دعاهم رسول الله صلی الله علیه وسلم وتلی علیهم القرآن فلما سمعوا فاضت اعینهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما کان یوصف لهم فی کتابهم من امره فلما قاموا من عنده اعترضهم ابو جهل فی نفر من قریش فقالوا خیبکم الله من رکب بعثکم

من وراءكم من اهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ما نعلم ركباً احمق منكم او كما قال لهم فقالوا سلام عليكم لا نجاهلكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا نألوا لانفسنا الا خيراً ويقال والله اعلم ان فيهم نزلت هؤلاء الآيات (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون الى قوله تعالى لا نبتغي الجاهلين) ولما كان بعد عام الحديبية ومهادنة قريش ارسل رسله الى جميع الطوائف فارسل الى النصاري نصارى الشام ومصر فارسل الى هرقل ملك الروم وقد قيل ان هرقل هذا هو الذى زادت النصارى له في صومهم عشرة ايام لما اقتتلت الروم والفرس وقتل اليهود بعد ان كان قد آمنهم فطلبت منه النصارى قتلهم وضمنوا له ان يكفروا له خطيئته بما زادوه فى الصوم وكانت الفرس مجوساً والروم نصارى وكانت المجوس الفرس غلبت النصاري اولا وكان هذا فى اوائل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة واتباعه قليل ففرح المشركون بانتصار الفرس لانهم اقرب اليهم من اهل الكتاب وساء المسلمين ذلك لان اهل الكتاب اقرب اليهم فدخل ابو بكر الصديق رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بانتصار الفرس على الروم فانزل الله تعالى (آلم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء) وكان هذا مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يكون فكان كما اخبر ولما ذكر ذلك ابو بكر الصديق رضى الله عنه كذبوه فراهنهم ابو بكر الصديق

رضي الله عنه على ذلك كما ذكر هذا المفسرون والمحدثون قال سفيان
بن سنيد فى تفسيره وهو شيخ البخارى حدثنا حجاج عن ابى الزناد
عن ابيه عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الاسلمى انه قال لما
انزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (الٓمٓ غلبت الروم فى ادنى الارض)
الى قوله وهو العزيز الرحيم خرج ابو بكر وهو يقرأها بمكة رافعاً
بها صوته (بسم الله الرحمن الرحيم الٓمٓ غلبت الروم فى ادني الارض وهم
من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) فقال له رؤوس اهل مكة ما
هذا ياابن ابي قحافة لعله مما يأتى به صاحبك • قال لا والله ولكنه كلام
الله وقوله تبارك وتعالى قالوا فذلك بيننا وبينك ان ظهرت الروم على
فارس فى بضع سنين فراهنهم ابو بكر ففتح الله للروم على فارس دون
التسع فاسلم عند ذلك خلق كثير من المشركين قال ابن مكرم وانما كانت
قريش تستفتح يومئذ بالفرس لانهم واياهم اهل تكذيب بالبعث واهل اصنام
وانما كان المؤمنون يستفتحون يومئذ بالروم لانهم واياهم اهل نبوة
وتصديق بالبعث فانزل الله تعالى (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من
يشاء) وهذا الحديث رواه الترمذى فى جامعه فقال حدثنا محمد بن اسماعيل
حدثنا اسماعيل بن ابى اويس قال حدثنى ابن ابى الزناد عن ابى الزناد عن
عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الاسلمى قال لما نزلت (الٓمٓ غلبت
الروم فى ادني الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين) فكانت
فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم وكان المسلمون يحبون ظهور
الروم عليهم لانهم واياهم اهل كتاب وذلك قوله تعالى (ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) وكانت قريش

تحب ظهور فارس لانهم واياهم ليسوا باهل كتاب ولا ايمان ببعث فاما
انزل الله هذه الآية خرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه
يصيح في نواحي مكة (آلم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد
غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد) قال ناس
من قريش لابي بكر فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبكم ان الروم ستغلب
فارساً في بضع سنين افلا نراهنك على ذلك؟ فارتهن ابو بكر والمشركون
فظهرت الروم على فارس في بضع سنين واسلم عند ذلك ناس كثير من
المشركين قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب لانعرفه الامن
حديث عبد الرحمن بن ابي الزياد يعني غريباً من هذا الوجه والا فهو
مشهور متواتر عن اهل التفسير والمغازي والحديث والفقه والقصة
متواترة عند الناس وقال ابو جعفر بن جرير في تفسيره عن سفيان عن
حبيب بن ابي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قل كان
المسلمون يحبون ان تغلب الروم على فارس لانهم أهل كتاب وكان
المشركون يحبون ان تغلب اهل فارس لانهم اهل اوثان قال فذكروا
ذلك لابي بكر فذكره ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله (آلم
غلبت الروم في أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين
لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) فذكره
ابو بكر للمشركين فقالوا اجعل بيننا وبينك اجلا فان غلبوا كان لك
كذا وكذا وان غلبوا كان لنا كذا وكذا فجعلوا بينهم اجلا خمس سنين
فذكر ذلك ابو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له هلا احتطت افلا
جعلته دون العشر قال سعيد بن جبير والبضع مادون العشرة قال فغلبت

الروم ثم غلبت فذلك قوله (آلم غلبت الروم) الآية وهذا أيضاً اخرجه
الترمذي حدثنا حسن بن حريث انباءنا معاوية بن عمرو عن ابي اسحاق
الفزاري عن سفيان عن حبيب بن ابي عمرة عن سعيد بن جبير عن
ابن عباس وقال هذا حديث حسن صحيح غريب انما نعرفه من حديث
سفيان الثوري عن حبيب بن ابي عمرة ورواه أيضاً من حديث الزهري
عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس وقال هذا حديث غريب
من هذا الوجه ورواه أيضاً من حديث الاعمش عن عطية عن ابي سعيد
وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وذهبت طائفة من العلماء
الى ان الخبر جاء بظهور الروم على فارس يوم بدر وذهب آخرون انه
يوم الحديبية وهـذا هو الصحيح وهرقل كان قد مشى شكراً لله من
حمص الى بيت المقدس لما نصره الله على الفرس فوافاه كتاب النبي صلي
الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام عقب نصر الله للروم على فارس ففرح
النبي صلى الله عليـه وسلم ومن معه من المؤمنين قال علماء السير فلما
انتصرت الروم وخرج هرقل ملك الروم من منزله من حمص ماشياً
على قدميه الى بيت المقدس متشكراً لله عز وجل حين رد عليه مارد
ليصلي فيه فلما انتهى الى بيت المقدس وصلى فيه قدم عليه حينئذ كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية الكلبي يدعوه الى الاسلام قال
ابن اسحاق حـدثني الزهري عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن
مسعود عن عبد الله بن عباس قال حدثني ابو سفيان قال كنا قوماً تجاراً
وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حصرتنا حتى
هلكت أموالنا فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم

يعنى التى عقدت يوم الحديبية فلما عقدت المدنة آمنا فخرجت فى نفر من قريش تاجراً الى الشام وكان وجه متجرنا فقدمتها حين ظهر هرقل على من كان عارضه من فارس فاخرجهم منها وانتزع له صليبه الاعظم وقد كانوا سلبوه اياه فلما بلغه ذلك منهم وبلغه ان صليبه قد استنقذله وكانت حمص منزله فخرج منها على قدميه متشكراً لله عز وجل حين رد عليه ما رد ليصلى فى بيت المقدس وبسط له الطريق بالبسط ويلقى عليها الرياحين فلما انتهى الى ايليا وقضى فيها صلاته ومعه بطارقته واساقفته الروم وقدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفة الكلبي فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم السلام على من اتبع الهدى اما بعد فاسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين يعنى الاكارين قال ابن اسحاق وقال بن شهاب حدثنى أسقف النصارى فى زمان عبدالملك بن مروان زعم لي انه ادرك ذلك من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر هرقل وعقله قال لما قدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية اخذه فجعله على خاصرته ثم كتب الى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية مايقرأ يذكر له امره ويصف له شأنه ويخبره ماجاء منه قال فكتب اليه صاحب رومية انه النبي الذي ننتظره لاشك فيه فاتبعه وصدقه فامر هرقل ببطارقة الروم فجمعوا له فى دسكرة ملكه وامر بها فاسترخت عليهم ابوابها ثم طلع عليهم من علية وخافهم على نفسه وقال يامعشر الروم انى قد جمعتكم لخير انه قد اتانى كتاب هذا الرجل يدعونى الى دينه وانه والله للرجل الذى كنا ننتظره

ونجده في كتبنا فهلم فلنتبعه ولنصدقـه فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا . فنخروا نخرة رجل واحد ثم ابتدروا ابواب الدسكرة ليخرجوا منها فوجدوها قد اغلقت دونهم فقال كروهم على وخافهم على نفسه فكروا عليه وقال يامعشر الروم انما قلت لكم هـذه المقالة التي قلت لكم لانظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الامر الذى حدث فقد رأيت منكم الذي اسر به فوقعوا سجوداً وامر بابواب الدسكرة ففتحت لهم فانطلقوا وهذا حديث مشهور من حديث محمد بن اسحق وهوذو علم وبصيرة بهذا الشأن حفظ مالا يحفظه غيره قال ابن اسحق واخـذ هرقل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعله فى قصبة من ذهب وامسكها عنده تعظيما له وهذه القصة مشهورة ذكرها اصحاب الصحاح ففى البخارى ومسلم والسياق للبخاري عن الزهري قال اخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ان عبدالله بن عباس اخبره ان ابا سفيان بن حرب اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً بالشام فى المدة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفيان بن حرب وكفار قريش فاتوه وهو بايليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعاهم بالترجمان فقال ايكم اقرب نسباً بهذا الرجل الذى يزعم انه نبي فقال أبوسفيان فقلت انا أقربهم نسبا فقال ادنوه وقربوا اصحابه فاجعلوهم عنـد ظهره ثم قال لترجمانه انى سائل هذا عن هذا الرجل فان كذبنى فكذبوه . قال ابو سفيان فوالله لولا الحياء من ان يأثروا عليّ الكذب لكذبت عليه ثم كان اول ما سألنى عنه ان قال كيف نسبه فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال فهل قال هذاالقول منكم احد قبله قط قلت لا قال

فهل كان من آبائه من ملك قلت لا • قال فاشراف الناس اتبعوه ام ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم • فقال ايزيدون ام ينقصون • قلت بل يزيدون قال فهل يرتد منهم احد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه قلت لا قال فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ماقال قلت لا قال فهل يغدر قلت لا ونحن منه فى مدة لا ندري ماهو فاعل فيها قال ولم يمكني كلمة ادخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة • قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف كان قتالكم اياه قلت الحرب بيننا و بينه سجال ينال منا و ننال منه • قال فماذا يأمركم • قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا مايقول آباءكم ويامرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة • فقال للترجمان قل له سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وسألتك هل قال احد منكم هذا القول قبله فذكرت ان لا • فقلت لو كان احد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتأسى بقول قيل قبله وسألتك هل كان من ابائه من ملك فذكرت ان لا • فقلت لو كان فى ابائه من ملك قلت رجل يطلب ملك ابيه • وسالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ماقال فذكرت ان لا فقد اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله وسالتك اشراف الناس اتبعوه ام ضعفاؤهم فذكرت ان ضعفاءهم اتبعوه وهم اتباع الرسل وسألتك هل يزيدون أم ينقصون • فذكرت انهم يزيدون وكذلك امر الايمان حتى يتم • وسألتك ايرتد احد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فذكرت ان لا • وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه احد وسالتك هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر وسالتك بم يأمركم فذكرت انه يأمركم ان تعبدوا الله

ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الاوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت اعلم انه خارج ولم اكن اظنه انه منكم فلو اعلم اني اخلص اليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ثم دعي بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الكلبي الى عظيم بصرى فدفعه عظيم بصري الى هرقل فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدي أما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم أسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فان عليك اثم الاريسين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوآء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال ابو سفيان فلما قال ما قال وفرغ من قرآءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الاصوات واخرجنا فقلت لاصحابي حين اخرجنا لقد امر ابن ابي كبشة انه ليخافه ملك بني الاصفر فما زلت موقنا انه سيظهر حتى ادخل الله على الاسلام وكان ابن الناطور صاحب ايليا اسقفاً على نصارى اهل الشام يحدث ان هرقل حين قدم ايليا اصبح يوماً خبيث النفس فقال له بعض بطارقته قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناطور وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم فقال لهم حين سألوه اني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ان ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من هذه الامة؟ قالوا ليس يختتن الا اليهود فلا يهمنك شأنهم واكتب الى مداين ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود فبينما هم على

امرهم اتى هرقل برجل ارسل به ملك غسان يخبر عن رســول الله صلى الله عليه وسلم فلما استخبره هرقل قال اذهبوا فانظروا أمختتن هوام لا؟ فنظروا اليه فحدثوه انه مختتن وسأله عن العرب قال هم يختتنون فقال هرقل هذا ملك هذه الامة قد ظهر ثم كتب هرقل الى صاحب له برومية وكان هرقل نظيره فى العلم وسار هرقل الى حمص فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبى صلى الله عليه وسلم وانه نبي فاذن هرقل لعظماء الروم فى دسكرة له بحمص ثم امر بابوابها فغلقت ثم اطلع عليهم فقال يامعشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبي فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد غلقت دونهم فلما رأى هرقل نفرتهم ويئس من الايمان منهم قال ردوهم على وقال اني قلت مقالتى آنفاً اختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عليه فكان هذا آخر شأن هرقل قلت وكان هرقل من اجل ملوك النصارى فى ذلك الوقت وقد اخبر غير واحد ان هذا الكتاب الى الآن باق عند ذرية هرقل فى ارفع صوان واعز مكان يتــوارثونه كابرا عن كابر واخبر غير واحد ان هذا الكتاب باق الآن عند الفنش صاحب قشتالة وبلاد الاندلس يفتخرون به وهذا امر مشهور معروف وقد روى سنيد وهو شيخ البخارى فى تفسيره قال حدثنا هشام قال اخبرنا حصين عن عبدالله ابن شداد بن الهاد قال لمــا كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل فقرأ كتابه وجمع الروم فابوا عليه قال فلما كان يوم الاحد لم يحضر اسقفهم الكبير وتمارض فارسل اليه فابى ثم ارسل اليه فابى ثلاث

مرات فركب اليه فقال له اليس قد عرفت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال اليس قد رأيت ماركبوا منى فانت اطوع فيهم منى فتعال فادعهم • قال او تأذن لى فى ذلك قال نعم • قال اذهب هو ذا اجيء قال فجاء بسواده الى كنيستهم العظمى فلما راوه خروا له سجداً الملك وغيره فقام في المذبح فقال ياابناء الموتى هذا النبي الذي بشر به عيسى وانا اشهد ان لااله الا الله وان محمــداً رسول الله فنخروا ووثبوا اليه فعضوه بافواههم حتى قتلوه قال وجعلوا يخرجون اضلاعه بالكلبتين حتى مات

(فصل) وارسل النبي صلى الله عليه وسلم رسولا ايضاً الى ملك مصر المقوقس ملك النصارى فى ذلك الوقت بالاسكندرية وكان رسوله اليه حاطب بن ابى بلتعة رضى الله عنه قال حاطب قدمت على المقوقس واسمه جريج بن مينا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له انه كان قبلك رجل يزعم انه الرب الاعلا فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك • قال هات قلت ان لك ديناً لن تدعه الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافى بعد ما سواه ان هــذا النبي دعى الناس الى الله فكان اشدهم عليه قريش واعداهم له اليهود واقربهم منه النصارى ولعمرى مابشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل من ادرك نبياً فهو من امته فالحق عليهم ان يطيعوه فانت ممن ادرك هذا النبي ولسنا نهاك عن دين المسيح ولكننا نأمرك به ثم ناوله كتاب رسول الله صلى الله عليــه وسلم فلما قرأه قال خيراً قد نظرت فى هــذا فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهي عن مرغوب

فيه ولم اجده بالساحر الضال ولا الكاهن الكاذب ووجدت معه
آلة النبوة ثم جعل الكتاب في حق من عاج وختم عليه ودفعه
الى خازنه وكتب جوابه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علمت
ان نبياً قد بقي وقد اكرمت رسلك واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم
جاريتين وبغلة تسمي الدلدل فقبل النبي صلى الله عليه وسلم هديته
واصطفى الجارية الواحدة واسمها مارية القبطية لنفسه فولدت منه
ابراهيم واعطى الاخرى لحسان بن ثابت فولدت منه عبد الرحمن
وعاشت البغلة الى زمان معاوية فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضن الخبيث
بملكه ولا بقاء لملكه قال محمد بن سعد حدثنا محمد بن عمر قال حدثنا
عبد الحميد بن جعفر عن ابيه قال لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من
الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة بعث حاطب ابن ابى بلتعة
الي المقوقس القبطى صاحب الاسكندرية وكتب اليه معه كتاباً يدعوه
فيه الى الاسلام فلما قرأ الكتاب قال له خيراً واخذ الكتاب وكان
مختوماً فجعله فى حق من عاج وختم عليه ودفعه الى خازنه وكتب الى
النبى صلى الله عليه وسلم جواب كتابه ولم يسلم واهدى الى النبي صلى
الله عليه وسلم ما تقدم ذكره فكل من الملكين عظم امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتواضع له ولكتابه واعترف بانه الرسول المنتظر
الذي بشرت به الانبياء عليهم السلام وقد كان المقوقس يعرف انه حق
بما يسمع من صفاته من اهل الكتاب ولكن ضن بملكه ولم يؤمن
وكان قد خرج اليه المغيرة بن شعبة قبل اسلام المغيرة فحدثه بذلك قال
محمد بن عمر الواقدى حدثنى محمد بن سعد الثقفى وعبد الرحمن بن عبد

العزيز بن عبدالله بن عثمان بن سهل بن حنيف وعبـد الملك بن عيسى
وعبد الله بن عبد الرحمن ومحمد بن يعقوب بن عتبة عن ابيه وغيرهم
كل قد حدثني من هذا الحديث بطائفة منه قالي قال المغيرة بن شعبة
في خروجه الى المقوقس مع بني مالك وانهم لما دخلوا على المقوقس قال
كيف خلصتم الي من طائفتكم ومحمد واصحابه بيني و بينكم؟ قالوا الصقنا
بالبحر وقد خفنـاه على ذلك قال فكيف صنعتم فيما دعاكم اليه قالوا ما
تبعه منا رجل واحد ٠ قال ولم ذلك ؟قالوا جاءنا بدين مجدد لا تدين به
الآباء ولا يدين به الملك ونحن على ما كان عليه آباؤنا قال فكيف صنع
قومه قالوا تبعه احداثهم وقد لاقاه من خالفه من قومه وغـيرهم من
العرب في مواطن مرة تكون عليهـم الدائرة ومرة تكون له قال الا
تخبروني الى ما ذا يدعو اليه قالوا يدعونا الى ان نعبـد الله وحده لا
شريك له ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ويدعو الى الصلاة والزكاة قال وما
الصلاة والزكاة ألها وقت يعرف وعدد تنتهي اليه ؟قالوا يصلون في اليوم
والليلة خمس صلوات كلها لمواقيت وعدد سموه له ويؤدون من كل ما
بلغ عشرين مثقالا نصف مثقال واخبروه بصدقة الاموال كلها قال افرأيتم اذا
اخذها اين يضعها؟ قالوا يردها على فقرائهم ويأمر بصلة الرحم ووفاء
العهـد وتحريم الزنا والخمر ولا يأ كل مما ذبح لغير الله ٠ فقال المقوقس
هذا نبي مرسل الى الناس ولو اصاب القبط والروم اتبعوه وقد امرهم
بذلك عيسى بن مريم وهذا الذي تصفون منه بعث به الانبياء من قبله
وسيكون له العاقبة حتى لا ينازعه احد ويظهر الى منتهى الخف والحافر
ومنقطع البحور ويوشك قومه ان يدافعوه بالراح ٠ قالوا فلو دخل الناس

كلهم معه ما دخلنا • قال المغيرة فانغض المقوقس رأسه وقال انتم فى اللعب
ثم قال كيف نسبه في قومه ؟ قلنا هو اوسطهم نسباً • قال كذلك والمسيح
الانبياءُ تبعث في نسب قومها ثم قال فكيف صدق حديثه قال قلنا ما
يسمى الا الامين من صدقه قال انظروا فى امركم اترونه يصدق فيما
بينكم و بينه ويكذب على الله قال فمن تبعه قلنا الاحداث قال هم والمسيح
اتباع الانبياء قبله • قال فما فعلت يهود يثرب فهم اهل التوراة قلنا خالفوه
فاوقع بهم فقتلهم وسباهم وتفرقوا فى كل ناحية • قال هم قوم حسدة
حسدوه أما انهم يعرفون من امره مثل مانعرف • قال المغيرة فقمنا من
عنده وقد سمعنا كلاماً ذللنا لمحمد صلى الله عليه وسلم وخضعنا له وقلنا
ملوك العجم يصدقونه ويخافونه فى بعد ارحامهم منه ونحن اقرباؤه
وجيرانه ولم ندخل معه وقد جاءنا داعياً الى منازلنا قال المغيرة فرجعت
الى منزلنا فأقمت بالاسكندرية لا ادع كنيسة الا دخلتها وسألت اساقفها
من قبطها وروميها عما يجدون من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكان اسقف
من القبط هو رأس كنيسة يوحنس كانوا يأتونه بمرضاهم نيدعو لهم لم
ارقط اشد اجتهادا منه فاتيته فقلت هل بقي احد من الانبياء قال نعم
هو آخر الانبياء ليس بينه وبين عيسى بن مريم احد وهو نبي مرسل
وقد امرنا عيسى باتباعه وهو النبي الامى العربى اسمه احمد ليس بالطويل
ولا بالقصير فى عينيه حمرة وليس بالابيض ولا بالادم يعفى شعره ويلبس
ما غلظ من الثياب ويجتزي بما لقي من الطعام • سيفه على عاتقه ولا
يبالي بمن لاقى يباشر القتال بنفسه ومعه اصحابه يفدونه بانفسهم هم له
اشد حباً من اولادهم وآبائهم يخرج من ارض حرم ويأتي الى حرم

يهاجر الى ارض سباخ ونخل يدين بدين ابراهيم عليه السلام • قال المغيرة فقلت له زدني في صفته • قال يأتزر على وسطه ويغسل اطرافه ويخص بما لا تخص به الانبياء قبله وكان النبي يبعث الى قومه ويبعث هو الى النـــاس كافة وجعلت له الارض مسجداً وطهوراً اينما ادركته الصلاة تيمم وصلى ومن كان قبله كان مشدداً عليهم لا يصلون الا في الكنائس والبيع • قال المغيرة بن شعبة فوعيت ذلك كله من قوله وقول غيره وما سمعت من ذلك فذكر الواقدي حديثا طويلا في رجوعه واسلامـــه وما اخبر به من صفات النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك مما يعجب النبي صلى الله عليه وسلم ويحب ان يسمعه اصحابه قال المغيرة فكنت احدثهم بذلك وهذا امر معروف عند علماء اهل الكتاب وعظمائهم وقـــد اخرج ابو حاتم في صحيحه عن عمرو بن العاص انه قال خرج جيش من المسلمين انا اميرهم حتى نزلنا الاسكندرية فقال عظيم من عظمائهم اخرجوا الي رجلاً يكلمني واكلمه • فقلت لا يخرج اليه غيري • قال فخرجت اليه ومعي ترجماني ومعه ترجمانه • فقال ما انتم ؟ فقلت نحن العرب ونحن اهل الشوك ونحن اهل بيت الله الحرام كنا اضيق الناس ارضاً واجهدهم عيشاً نأكل الميتة والدم ويغير بعضنا على بعض حتى خرج فينا رجل ليس باعظمنا يومئذ ولا باكثرنا مالا فقال انا رسول الله اليكم فامرنا بما لا نعرف ونهانا عما كنا عليه وكان عليه اباءنا فكذبناه ورددنا عليه مقالته حتى خرج اليه قوم غيرنا فقتلنا وظهر علينا وغلبنا وتناول من يليه من العرب فقاتلهم حتى ظهر عليهم ولو يعلم من ورائي من العرب ما انتم فيه من العيش لم يبق احد الا جاءكم حتى يشرككم فيما انتم

فيه من العيش فضحك ثم قال ان رسولكم قد صدق قد جآتنا رسلنا بمثل الذي جاء به رسولكم فان انتم اخذتم بامر نبيكم لم يقاتلكم احد الا غلبتموه ولن يشارركم احد الا ظهرتم عليه وان فعلتم مثل الذي فعلنا وتركتم امر نبيكم لم تكونوا اكثر عدداً منا ولا اشد منا قوةً (فصل) ثم بعد الارسال الى الملوك اخذ صلى الله عليه وسلم في غزو النصارى فارسل اولا زيد بن حارثة وجعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة في جيش فقاتلوا النصارى بموتة من ارض الكرك وقال لاصحابه اميركم زيد فان قتل فجعفر فان قتل فعبد الله بن رواحة فقتل الثلاثة واخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الثلاثة في اليوم الذي قتلوا فيه واخبر انه اخذ الراية خالد بن الوليد ففتح الله على يديه ثم انه بعد هذا غزى النصارى بنفسه وامر جميع المسلمين ان يخرجوا معه في الغزاة ولم يأذن في التخلف عنه لاحد وغزا في عشرات الوف غزوة تبوك فقدم تبوك واقام بها عشرين ليلة ليغزو النصارى عربهم ورومهم وغيرهم واقام ينتظرهم ليقاتلهم فسمعوا به واحجموا عن قتاله ولم يقدموا عليه وانزل الله تعالى في ذلك اكثر سورة برآءة وذم تعالى الذين تخلفوا عن جهاد النصارى ذماً عظيماً والذين لم يروا جهادهم طاعة جعلهم منافقين كافرين لا يغفر الله لهم اذا لم يتوبوا وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (سوآء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم) وقال تعالى (ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره) فاذا كان هذا حكم الله ورسوله فيمن تخلف عن جهادهم اذ لم يره طاعة ولا يرآه واجباً فكيف حكمه فيهم انفسهم حتى قاله

تعالى (قل ان كان اباآؤكم وابناآؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ; ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره)

ثم عند موته صلى الله عليه وسلم امرنا باخراج اليهود والنصاري من جزيرة العرب ففى صحيح مسلم ان عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع الا مسلما • وروى الامام احمد وابو عبيد عن ابى عبيدة بن الجراح رضى الله عنه قال آخر ماتكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخرجوا يهود اهل الحجاز ونصاري اهل نجران من جزيرة العرب وقام خلفاؤه رضى الله عنهم بعده بدينه صلى الله عليه وسلم فارسل ابو بكر الصديق الجيوش لغزو النصارى بالشام وجرت بين المسلمين وبينهم عدة غزوات ومات ابو بكر وهم محاصروا دمشق ثم ولى عمر بن الخطاب ففتح عامة الشام ومصر والعراق وبعض خراسان في خلافته وقدم الى الشام فى خلافته وسلم اليه النصارى بيت المقدس لما رأوه من صفته عندهم قال ابو عبد الله محمد بن عائذ • فى كتاب الفتوح قال قال عطاء الخراسانى لما نزل المسلمون بيت المقدس قال لهم رؤسأهم انا قد اجمعنا لمصالحتكم وقد عرفتم منزلة بيت المقدس وانه المسجد الذي اسرى بنبيكم اليه ونحن نحب ان يفتحها ملككم وكان الخليفة عمر بن الخطاب فبعث المسلمون وفداً وبعث الروم ايضاً وفداً مع المسلمين حتى اتوا المدينة فجعلوا يسألون عن أمير المؤمنين فقال الروم لترجمانهم عمن يسألون؟ قالوا عن امير المؤمنين فاشتد عجبهم وقالوا هذا الذي غاب

فارس والروم واخذ كنوز كسرى وقيصر وليس له مكان يعرف به
بهذا غلب الامم فوجدوه قد القى نفسه حين اصابه الحر نائماً فازدادوا
تعجبا فلما قرأ كتاب ابي عبيدة اقبل حتى نزل بيت المقدس وفيها
اثنى عشر الفاً من الروم وخمسون الفاً من أهل الارض فصالحهم وكان
من جملة المصالحة ان لا يدخل عليهم من اليهود احد ثم دخل المسجد
فوجد زبالة عظيمة على الصخرة فامر بكنس الزبالة وتنظيف المسجد
وامر ببنائه وجعل مصلاه فى مقدمه ثم رجع الى المدينة وقصته مشهورة
فى كتاب الفتوحات ثم قدم مرة ثانية الى ارض الشام لما تم فتحه فشارط
بوضع الخراج وفرض الاموال وشارط اهل الذمة على شروط فأتمّ بها
المسلمون بعده وقد ذكرها أهل السير وغيرهم فروي سفيان الثورى
عن مسروق عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبت لعمر بن الخطاب رضى
الله عنه حين صالح نصارى الشام وشرط عليهم فيه ان لا يحدثوا فى مدينتهم
ولا ماحولها ديراً ولا كنيسة ولا قلاية ولا صومعة راهب ولا يجددوا
ماخرب ولا يمنعوا كنائسهم ان ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال
يطعمونهم ولا يأووا جاسوساً ولا يكتموا غشاً للمسلمين ولا يعلموا
اولادهم القرآن ولا يظهروا شركا ولا يمنعوا ذوي قرابتهم من الاسلام
ان ارادوه وان يوقروا المسلمين وان يقيموا لهم اذا ارادوا الجلوس ولا
يتشبهوا بالمسلمين بشىء من لباسهم فى قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا
فرق شعر ولا تسموا باسماء المسلمين ولا يكتنوا بكناهم ولا يركبوا
سرجا ولا يتقلدوا سيفاً ولا يتخذوا شيئاً من سلاح ولا ينقشوا خواتيمهم
بالعربية ولا يبيعوا الخمور وان يجزوا مقادم رؤسهم وان يلزموا زيهم

حيث ما كانوا وان يشدوا الزنانير ولا يجاوروا المسلمين بموتاهم ولا، يضربوا بالناقوس الا ضرباً خفياً ولا يرفعوا اصواتهم بالقراءة فى كنائسهم فى شيء من حضرة المسلمين ولا يخرجوا سعانين ولا يرفعوا مع موتاهم اصواتهم ولا يظهروا النيران معهم ولا يشتروا من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين فان خالفوا فى شيء مما شرطوه فلا ذمة لهم وقد حل للمسلمين منهم ما يحل من اهل المعاندة والشقاق • اخرجه ابو داوود فى سننه وقال ابو عبيد فى كتاب الاموال حدثنا النضر بن اسماعيل عن عبد الرحمن بن اسحاق عن خليفة بن قيس قال كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يامر فاكتب الى اهل الامصار فى اهل الكتاب ان يجزوا نواصيهم وان يربطوا الكستيجات في اوساطهم ليعرف زيهم من زي اهل الكتاب • وحدثنا ابو المنذر ومصعب بن المقدام كلاهما عن سفيان عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن اسلم قال كتب عمر الى امراء الاجناد ان يختموا رقاب اهل الذمة قال ابو عبيد حدثنا عبد الرحمن عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن اسلم ان عمر امر فى اهل الذمة ان يجزوا نواصيهم وان يركبوا على الاكف وان يركبوا عرضاً لا يركبوا كما يركب المسلمون وان يوثقوا المناطق قال ابو عبيد يعنى الزنانير ولما كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه على اهل الذمة هذه الشروط والزموها اوصى بهم نوابه ومن يأتي بعده من الخلفاء وغيرهم وهذا هو العدل الذي امر الله به ورسوله ففى صحيح البخارى عن عمر بن الخطاب انه قال فى خطبته عند وفاته واوصى الخليفة من بعدى بذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ان يوفى لهم بعهدهم

وان يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا الا طاقتهم وهذا امتثال لقول النبي صلى الله عليه وسلم ألا من ظلم معاهداً اوانتقصه من حقه اوكلفه فوق طاقته او اخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فانا حجيجه يوم القيامة • رواه ابو داوود فكان هذا في النصارى الذين ادوا اليه الجزية وعمر بن الخطاب لما فتح الشام وادوا اليه الجزية عن يد وهم صاغرون اسلم منهم خلق كثير لا يحصي عددهم الا الله تبارك وتعالى فان العامة والفلاحين وغيرهم كان عامتهم نصارى ولم يكن فى المسلمين من يعمل فلاحة ولم يكن للمسلمين فى دمشق مسجد يصلون فيه الامسجد واحد اقلتهم ثم صار اكثر اهل الشام وغيرهم مسلمين طوعاً لا اكرهاً فان اكراه اهل الذمة على الاسلام غير جائز كما قال تعالي (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغىّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) قال ابو عبيد فى كتاب الاموال عن ابن الزبير قال كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى اهل اليمن انه من اسلم من يهودي او نصراني فانه من المؤمنين له مالهم وعليه ماعليهم ومن كان على يهودية او نصرانية فانه لا يفتن عنها وعليه الجزيه (فصل) وقاتل عمر بن الخطاب الفرس المجوس وفتح ارضهم وظهر تصديق خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذى نفسي بيده لتنفقن كنوزهما فى سبيل الله عز

وجل اخرجاه في الصحيحين وهذا بعد ان بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم رسوله الى المجوس وكتب كتاباً الى كسرى ملك الفرس كما
كتب الى ملوك النصارى كما تقدم عن قيصر والمقوقس ولكن ملوك النصارى
تأدبوا معه وخضعوا له فبقي ملكهم • واما ملك الفرس فمزق كتابه فدعى
عليهم فقال اللهم مزق ملكهم كل ممزق فلم يبق لهم ملك • قال ابن عباس بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة بكتابه الى كسرى
يدفعه الى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين الى كسرى فلما قرأه
يعني كسرى خرقه فدعى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يمزقوا كل ممزق وقال ابن اسحق كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى كسرى وقيصر فاما كسرى فلما قراء الكتاب مزقه • واما قيصر فلما
قرأ الكتاب طواه ووضعه عنده فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اما هؤلاء يعني كسرى فيمزقون واما هؤلاء فستكون لهم
بقية قال ابن اسحق بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن
حذافة بن قيس السهمي الى كسرى بن هرمز ملك الفرس وكتب
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس
سلام على من اتبع الهدى آمن بالله ورسوله واشهد ان لا اله الا الله
وحده لاشريك له وان محمداً عبده ورسوله فاني ادعوك بدعاية الله
فاني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على
الكافرين فاسلم تسلم وان ابيت فان اثم المجوسية عليك • فلماقرأ كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم شققه وقال يكتب الي بهذا الكتاب

وهو عبدي • قلت وسبب قول كسرى هذا واستعلائه ان الحبشة كانوا قدملكوا اليمن وملكهم سار الى مكة بالفيل ليخرب البيت وكانوا نصارى فارسل الله عليهم من ناحية البحر طيراً ابابيل وهي جماعات فى تفرقة تحمل حجارة من طين فالقتها على الحبشة النصارى فاهلكتهم وكان هذا آية عظيمة خضعت بها الامم للبيت وجيران البيت وعلم العقلاء ان هذا لم يكن نصراً من الله لمشركي العرب فان دين النصارى خير من دينهم وانما كان نصراً للبيت وللامة المسلمة التي تعظمه وللنبي المبعوث من البيت وكان ذلك عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله في ذلك (الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الم يجعل كيدهم فى تضليل وارسل عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأ كول) ثم ان سيف ابن ذي يزن ذهب الى كسرى وطلب منه جيشاً يغزو به الحبشة فأرسل معه عسكراً من الفرس المجوس فاخرجوا الحبشة من اليمن وصارت اليمن بيد العرب وبها نائب كسرى وسيف بن ذي يزن هذا ممن بشر بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره واخبر بذلك جدّه عبد المطلب لما وفد عليه • فلما كانت اليمن مطيعة لكسرى لهذا ارسل الى نائبه باليمن ان يأتيه بالنبي صلى الله عليه وسلم لان عسكر اليمن فى العادة يقهر اهل مكة والمدينة • قال ابن اسحق فبلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مزق الله ملكه حين بلغه انه شقق كتابه • ثم كتب كسرى، الى باذان وهو على اليمن ان ابعث الى هذا الرجل الذي بالحجاز من عندك رجلين جلدين فلياتيانى به قال فبعث باذان قهرمانه وهو بانويه وقال غيره فيروز الديلمى وكان حاسباً كاتباً وبعث معه برجل من الفرس وكتب معهما

الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامره ان ينصرف معهما الى كسرى
وقال لبانويه ويلك انظر ما الرجل وكلمه وأتيني بخبره • قال فخرجا حتى
قدما الى الطائف فسألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هو بالمدينة
واستبشروا يعني الكفار وقالوا قد نصب له كسرى كفيتم الرجل فخرجا
حتى قدما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه بانويه فقال
ان شاهنشاه ملك الملوك كسرى كتب الى الملك باذان يأمره ان يبعث
اليك من يأتيه بك وقد بعثني اليك فانطلق معي فان فعلت كتبت معك
الى ملك الملوك بكتاب ينفعك ويكف عنك به وان ابيت فهو من قد
علمت وهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك وكانا قد دخلا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا قد حلقا لحاهما وابقيا شواربهما
فكره النظر اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ويلكما
من امركما بهذا • قالا امرنا بهذا ربنا يعنيان كسرى • فقال لهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم لكن ربي عز وجل امرني باعفاء لحيتي وبقص
شاربي ثم قال لهما ارجعا حتى تأتياني الغد • قال وجاء الخبر من السماء
ان الله عز وجل سلط على كسرى ولده شيرويه فقتله في شهر كذا
في ليلة كذا في ساعة كذا فلما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لهما ان ربي قتل ربكما ليلة كذا في شهر كذا بعد ما مضى من
الليل كذا سلط عليه ابنه شيرويه فقتله • فقالا له هل تدري ما تقول
انا قد نقمنا منك ما هو ايسر من هذا فنكتب بهذا عنك ونخبر
الملك به • قال نعم اخبراه ذلك عني وقولا له ان ديني وسلطاني
سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وينتهي الى منتهى الخف والحافر وقولا له

انك ان اسلمت اعطيتك ما تحت يديك وملكتك على قومك من
الابناء واعطى رفيقه منطقة من ذهب وفضة كان اهداها له بعض الملوك
فخرجا من عنده حتى قدما على باذان واخبراه الخبر • فقال والله ما هذا
بكلام ملك واني لارى الرجل نبياً كما يقول ولننظرن ما قد قال فلان
كان ما قد قال حقاً ما بقي فيه كلام انه لنبي مرسل وان لم يكن فسنرى
فيه رأينا فلم يلبث باذان ان قدم عليه كتاب شيرويه • اما بعد فاني قد
قتلت كسرى ولم اقتله الا غضباً لفارس لما كان قد استحل من قتل اشرافهم
وتجهيزهم في بعوثهم فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك
وانظر الرجل الذي كان كسري كتب اليك فيه فلا تهجه حتى يأتيك
امري فيه فلما انتهى الكتاب كتاب شيرويه الى باذان قال ان هذا
الرجل لرسول الله واسلم لله واسلمت ابناء فارس من كان منهم باليمن
وقال ابو معشر حدثني المقبري قال جاء فيروز الديلمي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان كسرى كتب الى باذان بلغني ان في
ارضك رجلا تنبأ تنبئاً فاربطه وابعث به الي • فقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ربي غضب على ربك فقتله فدمه بنحره سخن الساعة
فخرج من عنده فسمع الخبر فاسلم وحسن اسلامه وكان رجلا صالحاً
له في الاسلام آثار جميلة منها قتل الاسود العنسي الكذاب الذي ادعى
النبوة على عهد رسول الله عليه وسلم وكان الاسود جباراً استدعى
بابي مسلم الخولاني فقال له اتشهداني رسول الله فقال ابو مسلم ما اسمع
فقال له اتشهدان محمداً رسول الله قال نعم فردد ذلك عليه مرارا فامر
بنار عظيمة فاضرمت ثم امر بالقاء ابي مسلم فيها فلم تضره فاخمدها

الله تعالى حين القى فيها فقيل له اخرج هذا عنك من ارضك لئلا يفسد عليك اتباعك فاخرجه • فقدم ابو مسلم المدينة وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر فاناخ راحلته بباب المسجد ثم دخل المسجد فقام يصلى الى سارية فبصر به عمر فقام اليه فقال ممن الرجل قال من اهل اليمن قال مافعل الذي حرقه الكذاب ؟ قال ذلك عبد الله ابن ثوب قال نشدتك بالله انت هو ؟ قال اللهم نعم فاعتنقه ثم بكي ثم ذهب به حتى اجلسه بينه وبين ابى بكر فقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى ارانى فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الرحمن ثم خرج فيروز الديلمي على الاسود العنسي فقتله وجاء الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله وهو فى مرض موته فخرج فاخبر اصحابه بذلك وقال قتل الاسود العنسى الليلة قتله رجل صالح من قوم صالحين وقصته مشهورة • وكذلك قصة مسيلمة الكذاب ونحوهما من المتنبئين الكذابين (فصل) ولما فتح خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم عمر وعثمان العراق وخراسان ضربوا الجزية على المجوس كما ضربوها على النصاري بعد ان دعوهم الى الاسلام كما دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم الجزية على اليهود والنصارى والمجوس بعد ان دعاهم الى الله عز وجل فانه صلي الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى الى المنذر بن سارى العبدى صاحب هجر وهى قرية بالبحرين بكتابه صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال العلاء فلما دخلت عليه قلت يامنذر انك عظيم العقل فى الدنيا فلا تصغرن عن الآخرة فان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب

ولا علم اهل الكتاب ينكحون مايستحي من نكاحه ويأكلون ماتكرم عن اكله ويعبدون فى الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأى فانظر هل ينبغى لمن لايكذب ان تصدقه ولمن لايخون ان تأمنه ولمن لايخلف ان تثق به فان كانَ هذا هكذا فهذاهوالنبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الامي الذى والله لايستطيع ذو عقل ان يقول ليت ماامر به نهى عنه وما نهى عنه امر به اوليته زاد فى عفوه او نقص من عقابه ان كل ذلك منه على امنية أهل العقل وفكر اهل البصر • فقال المنذر قد نظرت فى هذا الذى فى يدى فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت في دينكم فوجدته للآخرة والدنيا فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الممات ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام ما جاء به ان يعظم رسوله وسأنظر ثم اسلم المنذر وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بالاسلام والتصديق • وقال عمر بن عوف بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا عبيدة الى البحرين فاتى بجزيتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح اهل البحرين وامر عليهم العلاء بن الحضرمي فقدم ابو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة فوافوا صلاة الصبح مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما صلى بهم الفجر انصرف فتعرضوا له فتبسم النبى صلي الله عليه وسلم حين رآهم وقال اظنكم قد سمعتم ان ابا عبيدة قد جاء بشيء قالوا اجل يارسول الله قال فابشروا واملوا مايسركم فوالله لاالفقر اخشى عليكم ولكن اخشى عليكم ان تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم اخرجاه فى الصحيحين

واخرج البخاري عن بجالة بن عبدة انه قال اتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة • فرقوا بين كل ذى محرم من المجوس • ولم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر • وقال ابن شهاب اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس هجر وأخذ عمر بن الخطاب الجزية من مجوس فارس واخذها عثمان بن عفان من البربر قال ابن شهاب اول من اعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران فيما بلغنا . وكانوا نصارى وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من اهل البحرين وكانوا مجوساً ثم ادى أهل أيله وأهل اذرح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية فى غزوة تبوك وبعث خالد بن الوليد الى أهل دومة الجندل فاسروا رئيسهم (اكيدر) فبايعوه على الجزية • قال ابو عبيد الجزية مأخوذة من أهل الكتاب بالتنزيل ومن المجوس والبربر وغيرهم بالسنة (فصل) واخرج مسلم عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى وقيصر والنجاشي والى كل جبار يدعوهم الى الله عز وجل وليس بالنجاشي الذى نعاه لاصحابه فى اليوم الذي مات فيه وخرج بهم الى المصلي فصف وصلى عليه بل نجاشى آخر تملك بعده • واخرج مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست • اعطيت جوامع الكلم • و نصرت بالرعب • واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهوراً • وارسلت الى الناس كافة وختم بي النبيون • وقال صلى الله عليه وسلم كان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وقال تعالى (قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم

جميعاً الذي له ملك السموات والارض) وقال تعالى (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيراً) وفى القرآن من دعوة اهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن دعوة المشركين وعباد الاوثان وجميع الانس والجن مالا يحصى الا بكلفة وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الاسلام فكيف يقال انه لم يذكر انه بعث الا الى العرب خاصة وهذه دعوته ورسله وجهاده لليهود والنصارى والمجوس بعد المشركين وهذه سيرته صلى الله عليه وسلم فيهم • وايضاً فالكتاب المتواتر عنه وهو القرآن يذكر فيه دعاءه لاهل الكتاب الى الايمان به فى مواضع كثيرة جداً بل يذكر الله تبارك وتعالى فيه كفر من كفر من اليهود والنصارى ويأمر فيه بقتالهم كقوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً ان أراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعاً ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) وقوله في هذه السورة أيضاً (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة ومامن اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ماالمسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع

العايم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهوآء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) وقال تعالى فى سورة النسآء (قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً اليما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيرا) وقال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقال تعالى وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون (فصل) فهذه الدلائل واضعافها مما تبين انه نفسه صلى الله عليه وسلم اخبر انه رسول الله الى النصارى وغيرهم من أهل الكتاب وانه دعاهم وجاهدهم وأمر بدعوتهم وجهادهم وليس هذا مما فعلته امته

بعده بدعة ابتدعوها كما فعلت النصارى بعد المسيح عليه السلام فان المسلمين
لا يجوزون لاحد بعد محمد صلى الله عليه ان يغير شيئاً من شريعته فلا
يحلل ماحرم ولا يحرم ماحلل ولا يوجب ما اسقط ولا يسقط ما اوجب
بل الحلال عندهم ماحلله الله ورسوله والحرام ما حرمه الله ورسوله
والدين ماشرعه الله ورسوله بخلاف النصارى الذين ابتدعوا بعد المسيح
بدعا لم يشرعها المسيح عليه السلام ولا نطق بها شيء من الاناجيل ولا
كتب الانبياء المتقدمة وزعموا ان ما شرعه اكابرهم من الدين فان
المسيح يمضيه لهم وهذا موضع تنازع فيه الملل الثلاث • المسلمون • واليهود
والنصارى • كما تنازعوا فى المسيح عليه السلام وغير ذلك • فاليهود لا يجوزون
لله سبحانه وتعالى ان ينسخ شيئاً شرعه • والنصارى يجوزون لاكابرهم
ان ينسخوا شرع الله بآرائهم • واما المسلمون فعندهم ان الله له الخلق
والامر لاشرع الا ماشرعه الله على السنة رسله وله ان ينسخ ما شاء
كما نسخ بالمسيح ما كان شرعه للانبياء قبله فالنصارى تضع لهم عقائدهم
وشرائعهم اكابرهم بعد المسيح كما وضع لهم الثلاث مائة وثمانية عشر
الذين كانوا فى زمن قسطنطين الملك الامانة التى اتفقوا عليها ولعنوا من
خالفها من الاريوسية وغيرهم وفيها امور لم ينزل الله بها كتاباً بل
تخالف ما انزله الله من الكتب مع مخالفتها للعقل الصريح فقالوا فيها
نؤمن باله واحد اب ضابط الكل خالق السموات والارض كل ما يرى
وما لا يرى وبرب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من
الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير
مخلوق مساوي الاب فى الجوهر الذي به كان كل شيء الذى من اجلنا

نحن البشر ومن اجل خلاصنا نزل من السمآء وتجسد من روح القدس ومن مريم العذراء وتانس وصلب على عهد بيلاطس البنطى وتألم وقبر وقام فى اليوم الثالث كما فى الكتب وصعد الى السماء وجلس عن يمين الاب وأيضاً فسيأتي بمجده ليدين الاحياء والاموات الذي لافناء لملكه وبروح القدس الرب المحي المنبثق من الاب مع الاب والابن مسجود له وبمجد الناطق فى الانبيآء واعتقد بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا وارتجى قيامة الموتى وحياة الدهر الآتى امين ووضعوا لهم من القوانين والناموس مالم يوجد في كتب الانبيآء ولا تدل عليه بل يوجد بعضه فى كتب الانبيآء وزاد اكابرهم اشياء من عندهم لا توجد فى كتب الانبيآء وغيروا كثيراً مما شرعه الانبياء فما عند النصارى من القوانين والنواميس التى هي شرائع دينهم فبعضه منقول عن الانبيآء وبعضه عن الحواريين وكثير منه من ابتداع اكابرهم مع مخالفته لشرع الانبيآء فدينهم من جنس دين اليهود قد لبسوا الحق بالباطل وكان المسيح عليه السلام بعث بدين الله الذي بعث به الانبياء قبله وهو عبادة الله وحده لاشريك له والنهى عن عبادة كل ماسواه واحل لهم بعض ما حرمه الله فى التوراة فنسخ بعض شرع التوراة وكان الروم واليونان وغيرهم مشركين يعبدون الهيا كل العلوية والاصنام الارضية فبعث المسيح عليه السلام رسله يدعونهم الى دين الله تعالى فذهب بعضهم في حياته فى الارض وبعضهم بعد رفعه الى السمآء فدعوهم الى دين الله تعالى فدخل من دخل فى دين الله واقاموا على ذلك مدة ثم زين الشيطان لمن زين له ان يغير

دين المسيح فابتدعوا دينا مركباً من دين الله ورسله دين المسيح عليه السلام ومن دين المشركين وكان المشركون يعبدون الاصنام المجسدة التي لها ظل وهذا كان دين الروم واليونان وهو دين الفلاسفة اهل مقدونية واقثينه كارسطو وامثاله من الفلاسفة المشائين وغيرهم وكان ارسطو قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وهو وزير الاسكندر بن فيلبس اليوناني المقدوني التى تؤرخ له التاريخ الرومى من اليهود والنصارى وهذا كان مشركا يعبد هو وقومه الاصنام ولم يكن يسمي ذا القرنين ولا هوذا القرنين المذكور في القرآن ولا وصل هذا المقدوني الى ارض الترك ولا بنى السد وانما وصل الى بلاد الفرس ومن ظن ان ارسطو كان وزير ذى القرنين المذكور فى القرآن فقد غلط غلطا بتبين أنه ليس بعارف باديان هؤلاء القوم ولا بازمانهم فاما ظهر دين المسيح عليه السلام بعد ارسطو بنحو ثلاثمائة سنة فى بلادالروم واليونان كانوا على التوحيد الى ان ظهرت فيهم البدع فصوروا الصور المرقومة فى الحيطان جعلوا هذه الصور عوضا عن تلك الصور وكان اوائك يسجدون للشمس والقمر والكواكب فصار هوءلاء يسجدون اليها الى جهة الشرق التى تظهر منها الشمس والقمر والكواكب وجعلوا السجود اليها بدلا عن السجود لها ولهذا جاء خاتم الرسل صلوات الله عليه وسلامه الذى ختم الله به الرسالة واظهر به من كمال التوحيد مالم يظهره من قبله فامر صلى الله عليه وسلم ان لا يتحرى احد بصلاته طلوع الشمس ولا غروبها لان المشركين يسجدون لها تلك الساعة فاذا صلى الموحدون لله عز وجل في تلك الساعة صار فى ذلك نوع مشابهة لهم فيتخذ ذريعة

الى السجود لها وكان من اعظم اسباب عبادة الاصنام تصوير الصور وتعظيم القبور ففي صحيح مسلم وغيره عن ابي الهياج الاسدى قال قال لي علي بن ابى طالب الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني ان لا ادع قبرا مشرفا الاسويته ولا تمثالا الا طمسته وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال فى مرض موته لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد • يحذر ما فعلوا وفى الصحيحين انه قال قبل موته بخمس ليال ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد الا فلا تتخذوا القبور مساجد وانى انهاكم عن ذلك • ولما ذكروا له الكنيسة بارض الحبشة وذكروا من حسنها وتصاوير فيها فقال ان اولئك كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا تلك التصاوير اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة • ونهى ان يستقبل الرجل القبر فى الصلاة حتى لا يتشبه بالمشركين الذين يسجدون للقبور ففي الصحيح انه قال لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها • الى امثال ذلك مما فيه تجريد التوحيد لله رب العالمين الذي انزل الله به كتبه وارسل به رسله فاين هذا ممن يصور صور المخلوقين فى الكنائس ويعظمها ويستشفع بمن صورت على صورته وهل كان اصل عبادة الاصنام فى بنى آدم من عهد نوح عليه السلام إلا هذا والصلاة الي الشمس والقمر والكواكب والسجود اليها ذريعة الى السجود لها ولم يامر احد من الانبياء باتخاذ الصور والاستشفاع باصحابها ولا بالسجود الي الشمس والقمر والكواكب وان كان يذكر عن بعض الانبياء تصوير صورة لمصلحة فان هذا من الامور التى قد تتنوع فيها

الشرائع بخلاف السجود لها والاستشفاع باصحابها فان هذا لم يشرعه نبي من الانبياء ولا امر قط احدٌ من الانبياء ان يدعى غير الله عز وجل لا عند قبره ولا فى مغيبه ولا يتشفع به فى مغيبه بعد موته بخلاف الاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم فى حياته ويوم القيامة وبالتوسل به بدعائه والايمان به فهذا من شرع الانبياء عليهم السلام ولهذا قال تعالى (واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون)وقال تعالى (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبؤن الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون)وقال تعالى (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين الا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار لو اراد الله ان يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار) وذلك ان المشركين من جميع الامم لم يكن احد منهم يقول ان للمخلوقات خالقين منفصلين متماثلين فى الصفات فان هذا لم يقله طايفة معروفة من بنى آدم ولكن الثنوية من المجوس ونحوهم يقولون ان العالم صادر عن اصلين النور والظلمة والنور عندهم هو اله الخير المحمود والظلمة هى

الا له الشر ر المذموم • وبعضهم يقول ان الظلمة هى الشيطـان وبهذا ليجعلوا ما فى العالم من الشر صادراً عن الظلمة • ومنهم من قال ان الظلمة قديمة ازلية مع انها مذمومة عند هم ليست مماثلة للنور • ومنهم من قال بل هي حادثة وان النور فكر فكرة رديئة فحدثت الظلمة عن تلك الفكرة الرديئة • فقال لهم أهل التوحيد انتم بزعمكم كرهتم ان تضيفوا الى الرب سبحانه وتعالى خلق ما فى العالم من الشر وجعلتموه خالقاً لاصل الشر وهؤلآء مع اثباتهم اثنين وتسمية الناس لهم بالثنوية فهم لايقولون ان الشر مماثل للخير • وكذلك الدهرية دهرية الفلاسفة وغيرهم • منهم من ينكر الصانع للعالم كالقول الذى اظهره فرعون لعنه الله • ومنهم من يقر بعلة بحرك الفلك للتشبه بها كارسطو واتباعه • ومنهم من يقول بالموجب بالذات المستلزم للفلك كابن سينا والسهروردى المقتول بحلب وامثالهما من متفلسفة الملل • واما مشركوا العرب وامثالهم فكانوا مقرين بالصانع وبانه خالق السموات والارض فكانت عقيدة مشركي العرب خيرا من عقيدة هؤلآء الفلاسفة الدهرية اذ كانوا مقرين بان هـذه السموات مخلوقة لله حادثة بعد ان لم تكن وهذا مذهب جماهير اهل الارض من أهل. الملل الثلاثة المسلمين. واليهود والنصارى. ومن المجوس والمشركين وهؤلاء الدهرية من الفلاسفة وغيرهم يزعمون ان السموات ازلية قديمة لم تزل وكان مشركوا العرب يقرون بان الله قادر يفعل بمشيئته ويجيب دعاء الداعى اذا دعاه وهؤلآء المتفلسفة الدهرية عندهم ان الله لا يفعل شيئاً بمشيئته ولا يجيب دعاء الداعى بل ولا يعلم الجزئيات ولا يعرف هـذا الداعى من هذا الداعى ولا يعرف ابراهيم من موسى من محمد وغيرهم

باعيانهم من رسله بل منهم من ينكر علمه مطلقاً كارسطو واتباعه • ومنهم من يقول انما يعلم الكليات كابن سينا وامثاله • ومعلوم ان كل موجود في الخارج فهو جزئ معين فان لم يعلم الا الكليات لم يعلم شيئاً من الموجودات المعينة لا الافلاك ولا الاملاك ولا غير ذلك من الموجودات باعيانها • والدعاء عندهم هو تصرف النفس القوية في هيولى العالم كما ذكر ذلك ابن سينا وامثاله وزعموا ان اللوح المحفوظ هو النفس الفلكية وان حوادث الارض كلها انما تحدث عن حركة الفلك كما قد بسط الرد عليهم في غير هذا الموضع • والمقصود هنا ان المشركين لم يكونوا يثبتون مع الله الهاً آخر مساوياً له في الصفات والافعال بل ولا كانوا يقولون ان الكواكب والشمس والقمر خلقت العالم ولا ان الاصنام تخلق شيئاً من العالم ومن ظن ان قوم ابراهيم الخليل كانوا يعتقدون ان النجم او الشمس او القمر رب العالمين او ان الخليل عليه السلام لما قال هذا ربي اراد به رب العالم فقد غلط غلطاً بيناً بل قوم ابراهيم كانوا مقرين بالصانع وكانوا يشركون بعبادته كامثالهم من المشركين قال الله تعالى عن الخليل (واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين الذي خلقني فهو يهديني والذي هو يطعمني ويسقيني واذا مرضت فهو يشفين والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكما والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في

الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم وازلفت الجنة للمتقين وبرزت الجحيم للغاوين وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم او ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود ابليس اجمعون قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا إلا المجرمون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) فاخبر تعالى عن الخليل انه عدو لكل ما يعبدونه الا لرب العالمين واخبر عنهم انهم يقولون يوم القيامة تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم يعني الهتهم برب العالمين فلم يكونوا جاحدين للصانع بل عدلوا به وجعلوا له انداداً في العبادة والمحبة والدعاء كما قال تعالى في الموضع الآخر (اذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني برئ مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين ولهذا قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما انا من المشركين ولم يقل من المعطلين فان قومه كانوا يشركون ولم يكونوا معطلين كفرعون اللعين فلم يكونوا جاحدين للصانع بل عدلوا به وجعلوا له انداداً في العبادة والمحبة والدعاء وهذا كما قال تعالى (الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وقال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبالله) وقال تعالى (والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر) وقال تعالى (ولا تدع مع الله الهاً آخر فتكون من المعذبين) وقال تعالى (لاتجعل مع الله الهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولا

وقال تعالى فيما حكاه عن قوم نوح (وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن ودًا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسراً وقد اضلوا كثيرا) قال ابن عباس وغيره من العلماء هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوها وهكذا عند النصارى عن المسيح عليه السلام فى كتاب سر بطرس الذى يسمى بشمعون • وسمعان • والصفا • وبطرس • والاربعة المسمى واحد عندهم عنه كتاب عن المسيح فيه اسرار العلوم وهذا فيه عندهم عن المسيح فالذى تفعله النصاري اصل عبادة الاوثان وهكذا قال عالمهم الكبير الذى يسمونه فم الذهب وهو من اكبر علمائهم لما ذكر تولدالذنوب الكبار عن الصغار قال وهكذا هجمت عبادة الاصنام فيما سلف لما اكرم الناس اشخاصاً يعظم بعضهم بعضاً فوق المقدار الذي ينبغى الاحياء منهم والاموات وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا) قال طائفة من العلماء كان اقوام يدعون الملائكة والانبياء كالعزير والمسيح وغيرهما فبين الله تبارك وتعالى ان هؤلاء عباده كما انتم عباده يرجون رحمته كما ترجون رحمته ويخافون عذابه كما تخافون عذابه ويتقربون اليه كما تتقربون اليه وقال تعالى (ما كان لبشر ان يأتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ انتم

مسلمون) فبين الله تعالى ان من اتخذ الملائكة والنبيين اربابا فهو كافر مع اعتقاده انهم مخلوقون فانه لم يقل احد قط ان جميع الملائكة والنبيين مشاركون لله سبحانه وتعالى فى خلق العالم وقد قال تعالى (وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما تسألهم من خالق السموات والارض فيقولون الله وهم يعبدون غيره وقد قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) فى غير موضع فاخبر تعالى عن المشركين انهم كانوا يقرون بان خالق العالم واحد مع اتخاذهم آلهة يعبدونهم من دونه سبحانه يتخذونهم شفعاء اليه او يتقربون بهم اليه (فصل) وكذلك تعظيمهم للصليب واستحلالهم لحم الخنزير وتعبدهم بالرهبانية وامتناعهم من الختان وتركهم طهارة الحدث والخبث فلا يوجبون غسل جنابة ولا وضوء ولا يوجبون اجتناب شئ من الخبائث فى صلاتهم لا عذرة ولا بولا ولا غير ذلك من الخبائث الى غير ذلك كلها شرائع احدثوها وابتدعوها بعد المسيح عليه السلام ودان بها ائمتهم وجمهورهم ولعنوا من خالفهم فيها حتى صار المتمسك فيهم بدين المسيح المحض مغلوبا مقموعا قبل ان يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم واكثر ما هم عليه من الشرائع والدين لا يوجد منصوصا عن المسيح عليه السلام • واما المسلمون فكل ما اجمعوا عليه اجماعا ظاهرا يعرفه العامة والخاصة فهو منقول عن نبيهم صلى الله عليه وسلم لم يحدث ذلك احد بعده لا باجتهاده ولا بغير اجتهاده بل ماقطعنا باجماع امة محمد صلى الله عليه وسلم فانه يوجد ماخوذا عن نبيهم • واما مايظن فيه اجماعهم ولا يقطع به فمنه ما يكون ذلك الظن خطئا ويكون بينهم فيه نزاع ثم قد

يكون نص الرسول صلى الله عليه وسلم مع هذا القول وقد يكون مع هذا القول ومنه ما يكون ظن الاجماع عليه صوابا ويكون فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم اثر خفيت دلالته او معرفته على بعض الناس وذلك ان الله تبارك وتعالى اكمل الدين بمحمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وبينه وبلغه البلاغ المبين فلا تحتاج امته الى احد بعده يغير شيئاً من دينه وانما تحتاج الى معرفة دينه الذي بعث به فقط ٠ وامته لا تجتمع على ضلالة بل لا يزال في امته طائفة قايمة بالحق حتى تقوم الساعة فان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فاظهره بالحجة والبيان واظهره باليد والسنان ولا يزال في امته امة ظاهرة بهذا وهذا حتى تقوم الساعة ٠ والمقصود هنا ان ما اجمعت عليه الامة اجماعاً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة فهو منقول عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ونحن لا نشهد بالعصمة الا لمجموع الامة واما كثير من طوائف الامة ففيهم بدع مخالفة للرسول وبعضها من جنس بدع اليهود والنصارى وفيهم فجور ومعاصي لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بريء من ذلك كما قال تعالى له (فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون) وقال تعالى (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء) وقال صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتي فليس مني وذلك مثل اجماعهم على ان محمداً صلى الله عليه وسلم ارسل الى جميع الامم اهل الكتاب وغير اهل الكتاب فان هذا تلقوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو منقول عندهم نقلا متواتراً يعلمونه بالضرورة وكذلك اجماعهم على استقبال الكعبة البيت الحرام في صلاتهم فان هذا الاجماع منهم على ذلك

مستند الى النقل المتواتر عن نبيهم وهو مذكور فى كتابهم وكذلك الاجماع على وجوب الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج البيت العتيق الذى بناه ابراهيم خليل الرحمن ودعى الناس الى حجه وحجته الانبياء حتى حجه موسي بن عمران ويونس بن متى وغيرهما واجماعهم على وجوب الاغتسال من الجنابة وتحريم الخبائث وايجاب الطهارة للصلاة فان هذا كله مما نقلوه عن نبيهم وهو منقول عنه صلى الله عليه وسلم نقلا متواتراً وهو مذكور فى القرآن . واما النصارى فليست الصلوات التى يصلونها منقولة عن المسيح عليه السلام ولا الصوم الذى يصومونه منقولا عن المسيح بل جعل اولهم الصوم اربعين يوماً ثم زادوا فيه عشرة أيام ونقلوه الى الربيع وليس هذا منقولا عندهم عن المسيح عليه السلام وكذلك حجهم لقمامة وبيت لحم وكنيسة صيدنايا ليس شيء من ذلك منقولا عن المسيح عليه السلام بل وكذلك عامة أعيادهم مثل عيد القاندس وعيد الميلاد وعيد الغطاس وهو القداس وعيد الخميس وعيد الصليب الذي جعلوه فى وقت ظهور الصليب لما أظهرته هيلانة الحرانية الفندقانية ام قسطنطين بعد المسيح عليه السلام بمايتين من السنين وعيد الخميس والجمعة والسبت التى فى آخر صومهم وغير ذلك من اعيادهم التى رتبوها على أحوال المسيح والاعياد التي ابتدعوها لكبرائهم فان ذلك كله من بدعهم التى ابتدعوها بلا كتاب نزل من الله تعالى بل هم يبنون الكنائس على اسم بعض من يعظمونه كما فى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انهم اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك التصاوير اولئك شرار الخلق عند الله يوم

القيامة وهذا بخلاف المساجد التى تبنى لله عز وجل كما قال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (فى بيوت اذن الله ان ترفع) وقال تعالى (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين) وقال تعالى (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين) والنصارى كاشباههم من المشركين يخشون غير الله ويدعون غير الله (فصل) والمقصود هنا ان الذى يدين به المسلمون من ان محمداً صلى الله عليه وسلم بعث رسولا الى الثقلين الانس والجن اهل الكتاب وغيرهم وان من لم يؤمن به فهو كافر مستحق لعذاب الله مستحق للجهاد وهو مما اجمع أهل الايمان بالله ورسوله عليه لان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذى جاء بذلك وذكره الله فى كتابه وبينه الرسول أيضاً فى الحكمة المنزلة عليه من غير الكتاب فانه تعالى انزل عليه الكتاب والحكمة ولم يبتدع المسلمون شيئاً من ذلك من تلقاء انفسهم كما ابتدعت النصارى كثيراً من دينهم بل اكثر دينهم وبدلوا دين المسيح وغيروه ولهذا كان كفر النصارى لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم مثل كفر اليهود لما بعث المسيح عليه السلام فان اليهود كانوا قد بدلوا شرع التوراة قبل مجىء المسيح فكفروا بذلك . ولما بعث المسيح اليهم كذبوه فصاروا كفاراً بتبديل معانى الكتاب الاول واحكامه وبتكذيب الكتاب الثاني وكذلك النصارى كانوا قد بدلوا دين المسيح قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم فابتدعوا من التثليث والاتحاد وتغيير شرائع الانجيل اشياء لم يبعث بها المسيح عليه السلام بل تخالف ما بعث

به وافترقوا فى ذلك فرقا متعددة وكفر فيها بعضهم بعضاً فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كذبوه فصاروا كفاراً بتبديل معانى الكتاب الاول واحكامه وتكذيب الكتاب الثانى كما يقول علماء المسلمين ان دينهم مبدل منسوخ وان كان قليل من النصارى كانوا عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم متمسكين بدين المسيح كما كان الذين لم يبدلوا دين المسيح كله على الحق فهذا كما ان من كان متبعاً شرع التوراة عند مبعث المسيح كان متمسكا بالحق كسائر من اتبع موسى فلما بعث المسيح صار كل من لم يؤمن به كافراً وكذلك لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم صار كل من لم يؤمن به كافرا والمقصود فى هذا المقام بيان مابعث به محمد صلى الله عليه وسلم من عموم رسالته وانه هو نفسه الذي اخبر ان الله تعالى ارسله الى اهل الكتاب وغيرهم وانه نفسه صلى الله عليه وسلم دعى أهل الكتاب وجاهدهم وأمر بجهادهم فمن قال بعد هذا من أهل الكتاب اليهود والنصارى انه لم يبعث الينا بمعنى انه لم يقل انه مبعوث الينا كان مكابراً جاحداً للضرورة مفترياً على الرسول فرية ظاهرة تعرفها الخاصة والعامة وكان جحده لها كما لو جحد انه جاء بالقرآن او شرع الصلوات الخمس وصوم رمضان وحج البيت الحرام وجحد محمد صلى الله عليه وسلم وماتواتر عنه اعظم من جحد اتباع الحواريين للمسيح عليه السلام وارساله لهم الى الامم ومجيئه بالانجيل وجحد مجيء موسى عليه السلام بالتوراة وجحد انه كان يسبت فان النقل عن محمد صلى الله عليه وسلم مدته قريبة والناقلون عنه اضعاف اضعاف اضعاف من نقل دين المسيح عنه واضعاف اضعاف اضعاف من اتصل به نقل دين موسى عليه السلام فان امة محمد صلى الله عليه

وسلم مازالوا كثيرين منتشرين فى مشارق الارض ومغاربها وما زاله
فيهم من هو ظاهر بالدين منصور على الاعداء بخلاف بنى اسرائيل
فانهم زال ملكهم فى اثناء المدة لما خرب بيت المقدس الخراب الاول
بعد داوود عليه السلام ونقص عدد من نقل دينهم حتى قد قيل انه لم
يبق من يحفظ التوراة الا واحد • والمسيح عليه السلام لم ينقل دينه عنه
الا عدد قليل لكن النصارى يزعمون انهم رسل الله معصومون مثل
ابراهيم وموسى وسيأتي الكلام على هذا ان شاء الله تعالى اذا وصلنا
اليه اذ المقصود هنا بيان من زعم ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان
يقول انه لم يبعث الا الى مشركى العرب فانه في غاية الجهل والضلال
او غاية المكابرة والمعاندة فان هذا اعظم جهلا وعناداً ممن ينكر انه
كان يامر بالطهارة والغسل من الجنابة ويحرم الخمر والخنزير واعظم
جهلا وعناداً ممن ينكر ما تواتر من امر المسيح وموسى عليهما
السلام وقد ظهر بهذا بطلان قولهم علمنا انه لم يأت اليناابل الى جاهليه
العرب • (فصل) فاذا عرف هذا فاحتجاج هؤلاء بالآيات التى
ظنوا دلالتها على نبوته خاصة بالعرب تدل على انهم ليسوا ممن يجوز
لهم الاستدلال بكلام احد على مقصوده ومراده وانهم ممن قيل فيه
فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً فليسوا اهلا ان يحتجوا
بالتوراة والأنجيل والزبور على مراد الانبياء وسائر الكلام المنقول
عن الانبياء على مراد الانبياء عليهم السلام بل ولا يحتجون بكلام
الاطباء والفلاسفة والنحاة وعلم اهل الحساب والهيئة على مقاصدهم
فان الناس كلهم متفقون على ان لغة العرب من افصح لغات الآدميين

واصحها ومتفقون على ان القرآن في اعلادرجات البيان والبلاغة والفصاحة وفي القرآن من الدلالات الكثيرة على مقصود الرسول صلى الله عليه وسلم التي يذكر فيها ان الله تعالى ارسله الى اهل الكتاب وغيرهم مالا يحصى الا بكلفة ثم مع ذلك من النقول المتواترة عن سيرته صلي الله عليه وسلم في دعائه لاهل الكتاب وامره لهم بالايمان به وجهاده لهم اذ كفروا به ما لايخفى على من له ادنى خبرة بسيرته صلى الله عليه وسلم وهذا امر قد امتلاء العالم به وسمعه القاصي والداني فاذا كان الناس المؤمن به وغير المؤمن به يعلمون انه كان يقول انه رسول الله الى اهل الكتاب وغيرهم وان ظهور مقصوده بذلك مما يعلمه بالاضطرار الخاصة والعامة ثم شرعوا يظنون انه كان يقول اني لم ابعث إلا الى العرب واستمر على ذلك حتى مات دل على فساد نظرهم وعقلهم اوعلى عنادهم ومكابرتهم وكان الواجب اذا لم يكن لهم معرفة بمعاني هذه الآيات التي استدلوا بها على خصوص رسالته ان يعتقدوا احد امرين • اما ان لها معانى توافق ما كان يقوله • او انها من المنسوخ فقد علمت الخاصة والعامة ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد هجرته الى بيت المقدس نحو سنة ونصف ثم امر بالصلاة الى الكعبة البيت الحرام والنصارى يوافقون على ان شرائع الانبياء فيها ناسخ ومنسوخ مع ان ماذكروه من الآيات ليس منسوخاً ولكن المقصود ان المعلوم من حال الرسول صلى الله عليه وسلم علما ضرورياً يقينياً متواتراً لايجوز دفعه فان العلم بانه كان يقول انه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق معلوم لكل من عرف اخباره صلى الله عليه وسلم سوآء صدقه

او كذبه والعلم بانه كان يقول انه رسول الله الى جميع الناس ممكن قبل ان يعلم انه نبي او ليس بنبي كما ان العلم بنبوته وصدقه ممكن قبل ان يعلم عموم رسالته فليس العلم باحدهما موقوفاً على الآخر ولهذا كان كثير ممن يكذبه يعلم انه كان يقول انه رسول الله الى جميع الخلق • وطائفة ممن يقر بنبوته وصدقه لا تقر بانه رسول الى جميع الخلق • والمقصود هنا الكلام مع هؤلاء بان العلم بعموم دعوته لجميع الخلق اهل الكتاب وغيرهم هو متواتر معلوم بالاضطرار كالعلم بنفس مبعثه ودعائه الخلق الى الايمان به وطاعته وكالعلم بهجرته من مكة الى المدينة ومجيئه بهذا القرآن والصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج البيت العتيق وايجاب الصدق والعدل وتحريم الظلم والفواحش وغير ذلك مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم • فان قيل بل في القرآن ما يقتضي ان رسالته خاصة وفيه ما يقتضي ان رسالته عامة وهذا تناقض • قيل هذا يعلم بطلانه قبل العلم بنبوته فانه من المعلوم لكل احد آمن به او كذبه انه كان من اعظم الناس عقلا وسياسة وخبرة وكان مقصوده دعوة الخلق الى طاعته واتباعه وكان يقرأ القرآن على جميع الناس ويامر بتبليغه الى جميع الامم وكل من طلب منه انه يؤمنه حتى يقرأ عليه القرآن من الكفار وجب عليه ان يجيبه ولو كان مشركا فكيف اذا كان كتابياً كما قال تعالى (وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعقلون) وكان قد اظهر انه مبعوث الى اهل الكتاب وسائر الخلق وانه رسول الله الى الثقلين الجن والانس فيمتنع مع هذا ان يظهر ما يدل على انه لم يبعث اليهم فان هذا لا يفعله من له

ادنى عقل لمناقضته لمراده فكيف يفعله مثل هذا الذى اتفقت عقلاء الامم على انه اعقل الخلق وأحسنهم سياسة وشريعة • وايضا فكان اصحابه والمقاتلون معه لعدوه ينفرون عنه وقد كان عادتهم ان يستشكلوا ماهو دون هذا وهذا لم يستشكله احد ثم بعد هـذا فلو قدر أن فى القرآن ما يدل على انه لم يبعث الا الى العرب وفيـه ما يدل على انه بعث الى سائر الخلق كان هذا دليلا على انه ارسل الى غيرهم بعد ان لم يرسل الا اليهم وان الله عمّ بدعوته بعد ان كانت خاصة فلامناقضة بين هذا وهذا فكيف وليس فى القرآن آية واحدة تدل على اختصاص رسالته بالعرب وانما فيه اثبات رسالته اليهم كما ان فيه اثبات رسالته الى قريش وليس هذا مناقضا لهذا وفيه اثبات رسالته الى اهـل الكتاب كقوله تعالى (يا اهل الكتاب آمنوا بما انزلنا) كما فيه اثبات رسالته الى بنى اسرائيل كقوله يابني اسرائيل) وليس هذا التخصيص لليهود منافيـاً لذلك التعميم وفى رسالته خطاب لليهود تارة وللنصارى تارة وليس خطابه لاحدى الطائفتين ودعوته لها مناقضا لخطابه للاخرى ودعوته لها وفى كتابه خطاب للذين امنوا من امته فى دعوته لهم الى شرائع دينـه وليس فى ذلك مناقضة بان يخاطب اهل الكتاب ويدعوهم وفى كتابه امر بقتال اهـل الكتاب النصارى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون قال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) ثم لم يكن هـذا مانعاً ان يامر بقتال غيرهم من اليهود والمجوس حتى يعطوا الجزية عن

يد وهم صاغرون بل هذا الحكم ثابت فى المجوس بسنته واتفاق امته وان قيل انهم ليسوا من اهل الكتاب فهذا كله مما يعلم بالاضطرار من دينه قبل العلم بنبوته فكيف ونحن نتكلم على تقدير نبوته والنبي لا يتناقض قوله واذا كان العلم بعموم دعوته ورسالته معلوماً بالاضطرار قبل العلم بنبوته وبعد العلم بنبوته فالعلم الضروري اليقيني لا يعارضه شئ ولكن هذا شأن الذين فى قلوبهم زيغ من اهل البدع النصارى وغيرهم يتبعون المتشابه ويدعون المحكم وبسبب مناظرة النصارى للنبي صلى الله عليه وسلم بالمتشابه وعدولهم عن المحكم انزل الله تبارك وتعالى فيهم (هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب) فالتأويل يراد به تفسير القرآن ومعرفة معانيه وهذا يعلمه الراسخون ويراد به ما استأثر الرب بعلمه من معرفة كنهه وكنه معرفة ما وعد به ووقت الساعة ونحو ذلك مما لا يعلمه الا الله • والضلال يذكرون ايات تشتبه عليهم معرفة معانيها فيتبعون تأويلها ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها وليسوا من الراسخين فى العلم الذين يعلمون تأويلها مع ان هذه الايات التى ذكروها من اوضح الآيات وهذا الذى سلكوه في القرآن هو نظير ما سلكوه فى الكتب المتقدمة وكلام الانبياء من التوراة والانجيل والزبور وغيرها فان فيها من النصوص الكثيرة الصريحة بتوحيد الله وعبودية المسيح مالا يحصى الا بكلفة وفيها كلمات قليلة فيها اشتباه فتمسكوا بالقليل المتشابه الخفى

المشكل من الكتب المتقدمة وتركوا الكثير المحكم المبين الواضح فهم سلكوا في القرآن ما سلكوه في الكتب المتقدمة لكن تلك الكتب يقرون بنبوة اصحابها ومحمد صلى الله عليه وسلم هم فيه مضطربون متناقضون فأى قول قالوه فيه ظهر فساده وكذبهم فيه اذا لم يؤمنوا بجميع ما أنزل اليه • وان قالوا كلامه متناقض ونحن نحتج بما يوافق قولنا اذ مقصودنا بيان تناقضه • قيل لهم عن هذا اجوبة • احدها انه في الكتب المتقدمة مما يظن انه متعارض اضعاف ما في القرآن واقرب الى التناقض فاذا كانت تلك الكتب متفقة لا تناقض فيها وانما يظن تناقضها من يجهل معانيها ومراد الرسل فيكون كما قيل

وكم من عائب قولا صحيحاً   وآفته من الفهم السقيم

فكيف القرآن الذى هو افضل الكتب • الثانى انهم متمسكون بالمتشابه في تلك الكتب ومخالفون المحكم منها كما فعلوه بالقرآن وابلغ • الثالث انه اذا كان ما جاء به متناقضاً لم يكن رسول الله فان ما جاء به من عند الله لا يكون مختلفا متناقضا وانما يتناقض ما جاء به من عند غير الله قال تعالى (افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) فكل كتاب ليس من عند الله لابد ان يكون فيه تناقض وما كان من عند الله لا يتناقض وحينئذ فان كان متناقضا لم يجز لهم الاحتجاج بشيء منه فانه ليس من عند الله وان لم يكن متناقضا ثبت ان ما فيه من عموم رسالته وانه رسول اليهم ليس فيه شيء يناقضه فان ما جاء من عند الله لا يتناقض • الرابع انا نبين ان ما فيه من عموم رسالته لا ينافى ما فيه من انه ارسل الى العرب كما ان ما فيه من انذار عشيرته الاقربين وامر قريش لا ينافى ما فيه من دعوة

سائر العرب فان تخصيص بعض العام بالذكر اذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على ان ما سوى المذكور مخالفه وهذا الذى يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب والناس كلهم متفقون على ان التخصيص بالذكر متى كان له سبب يوجب الذكر غير الاختصاص بالحكم لم يكن لاسم اللقب مفهوم بل ولا للصفة كقوله تعالى (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق) فانه نهاهم عن ذلك لانه هو الذي كانوا يفعلونه وقد حرم فى مواضع اخر قتل النفس بغير حق سوآء كان ولداً اوغيره ولم يكن ذلك مناقضاً لتخصيص الولد بالذكر • الخامس انه فى ذلك اسوة المسيح عليه السلام فان المسيح خص اولا بالدعوة ثم عم كما قال فى الانجيل مابعثت وارسلت الا لبنى اسرائيل • وقال ايضاً فى الانجيل مابعثت الا لهذا الشعب الخبيث ثم عم فقال لتلامذته حين ارسلهم كما فى الانجيل كما بعثنى ابى ابعث بكم فمن قبلكم فقد قبلنى • وقال قد ارسلنى ابى وانا ارسلكم • وقال كما افعل انا بكم كذلك افعلوا انتم بعباد الله فسيروا فى البلاد وعمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس ولا يكون لاحدكم ثوبان ولا يحمل معه فضة ولا ذهباً ولا عصا ولا حرابة ونحو ذلك مما هو فى الاناجيل التى بين ايديهم من تخصيص الدعوة ثم تعميمها وهو صادق فى ذلك كله فكيف يسوغ لهم انكار ما فى الانجيل عن المسيح نظيره • ثم يقال فى بيان الحال ان الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم كما بعث المسيح وغيره وان كانت رسالته اكمل واشمل كما يذكر فى موضعه فامره بتبليغ رسالته بحسب الامكان الى طائفة بعد طائفة وامر بتبليغ الاقرب منه مكاناً ونسباً ثم بتبليغ طائفة بعد طائفة حتى تبلغ النذارة الى جميع

اهل الارض كما قال تعالى (واوحى الىَّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ) اى من بلغه القرآن فكل من بلغه القرآن فقد انذره محمد صلى الله عليه وسلم وتبين هنا ان النذارة ليست مختصة بمن شافههم بالخطاب بل ينذرهم به وينذر من بلغهم القرآن فامره الله تبارك وتعالى اولا بانذار عشيرته الاقربين وهم قريش فقال تعالى (وانذر عشيرتك الاقربين) ولما انزل الله عليه هذه الآية انطلق صلى الله عليه وسلم الى مكان عال فعلا عليه ثم جعل ينادى يابنى عبد مناف اني نذير لكم بين يدى عذاب شديد انما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد اهله فخشى ان يسبقوه فجعل يهتف ياصباحاه ياصباحاه • وهذه القصة رواها ابن عباس وابو هريرة وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم فى الصحيحين وغيرهما من كتب السنن والمسانيد والتفسير قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية وانذر عشيرتك الاقربين (ورهطك منهم المخلصين (١)) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فجعل ينادي يابنى فهر يابنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فاجتمعوا اليه فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تريد ان تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ماجربنا عليك الا صدقا ما جربنا عليك كذباً • قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد • وقال ابو هريرة لما نزلت هذه الآية وانذر عشيرتك الاقربين دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً فاجتمعوا فعم وخص فقال يابنى كعب بن لوءى انقذوا انفسكم من النار يابنى مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد مناف انقذوا انفسكم

(١) ليست فى التلاوة

من النار يابنى هاشم انقذوا انفسكم من النار يابنى عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يافاطمة بنت محمد انقذي نفسك من النار فانى لا املك لكم من الله شيئاً غير ان لكم رحماً سأبلّها ببلالها • وقالت عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الآية وانذر عشيرتك الاقربين قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا فقال يافاطمة بنت محمد ياصفية عمة رسول الله ياعباس عم رسول الله لا املك لكم من الله شيئاً • وقال ابن اسحق لما نزلت هذه الآية جعل النبي صلى الله عليه وسلم ينادى يابنى عبد المطلب يابنى عبد مناف يابنى زهرة حتى عدد الافخاذ من قريش ثم قال ان الله امرنى ان انذر عشيرتى الاقربين وانى لا املك لكم من الله شيئاً الا ان تقولوا لا اله الا الله • فقال ابو لهب الهذا جمعتنا تباً لك سائر اليوم فانزل الله (تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) ودعى قريشاً الى الله وامرهم بعبادة الله وحده لاشريك له وانزل الله تعالى (لأيلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت) وقد انزل الله عليه في غير موضع امر جميع الخلق بعبادته كقوله تعالى (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقريش هم قومه الذين كذبه جمهورهم اولا كما قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) كما ان جمهور بني اسرائيل وهم قوم المسيح كذبوه اولا • ثم امره الله تعالى ان يدعو سائر العرب فكان يخرج بنفسه ومعه ابو بكر صديقه الى قبائل العرب قبيلة قبيلة وكانت العرب

لم تزل تحج البيت من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام فكان صلى الله عليه وسلم يأتيهم فى منازلهم بمنى وعكاظ ومجنة وذى المجاز فلا يجد احداً الا دعاه الى الله ويقول ياايها الناس انى رسول الله اليكم آمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا مايعبد من دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بى وتصدقوني وتمنعونى حتى ابين عن الله مابعثنى به يا أيها الناس ان قريشاً منعونى ان أبلغ كلام ربى فمن يمنعنى ان ابلغ كلام ربى الا رجل يحملنى الى قومه فان قريشاً منعونى ان ابلغ كلام ربى يا ايها الناس قولوا لااله الا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتذل لكم بها العجم • فيقولون يامحمد اتريد ان تجعل الآلهة الهاً واحداً ان امرك هذا لعجب • وما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلن دعوته ويظهر رسالته ويدعو الخلق اليها وهم يؤذونه ويجادلونه ويكلمونه ويردون عليه باقبح الرد وهو صابر على اذاهم ويقول اللهم لك الحمد لو شئت لم يكونوا هكذا فلما اشتد عليه امر قريش خرج الى الطائف وهى مدينة معروفة شرقي مكة بينهما نحو ليلتين ومعه زيد بن حارثة ومكث بها عشرة أيام لايدع أحداً من اشرافهم الا جاءه فى منزله وكلمه ودعاه الى التوحيد فلم يجبه احد منهم وخافوه على احداثهم فاغروا سفهاءهم وجعلوا يرمونه بالحجارة اذا مشي حتى ان رجليه لتدميان وزيد مولاه يقيه بنفسه حتى ألجأوه الى ظل كرمة فى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فرجع عنه ماكان من سفهائهم فدعى فقال اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته امرى

ان لم يكن بك غضب عليّ فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع لي أعوذ
بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة
من ان ينزل بي غضبك او يحل عليّ سخطك لك العتبى حتى ترضى
ولا حول ولا قوة الا بك • فلما رأيا ابنا ربيعة ماصنع به رثيا له وقالا
لغلام لهما يقال له عداس وكان نصرانياً خذ قطفاً من عنب ثم اجعله في
طبق ثم اذهب الى ذلك الرجل يأكله ففعل عداس واقبل به حتى
وضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله ثم اكل فنظر عداس الي وجهه
ثم قال له والله ان هذا الكلام مايقوله اهل هذه البلدة • فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم من أي البلاد انت وما دينك • فقال عداس انا
نصراني وانا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى • فقال له عداس ومايدريك
مايونس بن متى والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون
متى من أين عرفت انت متى وانت أمي وفى امة أمية • فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو اخى كان نبياً وانا نبي فاكب عداس على رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه ورجليه فلما رجع عداس
فقالا له ويلك ياعداس وما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه ورجليه
فقال ياسيدى مافى الارض خير من هذا الرجل لقد خبرني بامر لا يعلمه
الا نبي • ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف راجعاً
الى مكة وهو محزون اذ لم يستجب له رجل واحد ولا امرأة • فقال
له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم يارسول الله وقد فعلوا وفعلوا

فقال يازيد ان الله عز وجل جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه • ثم ذكر ابن اسحاق دخوله الى مكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لقى من اهل مكة والطائف مالقى ودعى بالدعاء المتقدم نزل عليه جبريل ومعه ملك الجبال كما فى صحيح البخارى ان عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم كان اشد من يوم احد ؟ فقال لقد لقيت من قومك وكان اشد مالقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى الى ماردت فانطلقت وانا مهموم على وجهى فلم استفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فاذا انا بسحابة وقد اظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فنادانى ان الله قد سمع قول قومك وماردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم • قال فنادانى ملك الجبال وسلم علىّ ثم قال يامحمد ان الله قد سمع قول قومك لك وانا ملك الجبال وقد بعثني ربي اليك لتأمرنى بامرك ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين • فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده لاشريك له • واخرج مسلم فى صحيحه عن ابى هريرة انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ادع الله على المشركين • فقال انى لم أبعث لعانا وانما بعثت رحمة • وفى الصحيحين عن حباب بن الارث انه قال لما اشتد البلاء علينا من المشركين اتينا النبى صلى الله عليه وسلم فقلنا الا تدعو الله لنا الا تستنصر الله لنا • فقال لقد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق رأسه حتى يجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه من

عظم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمنّ الله هذا الامر حتى يسير
الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخشى الا الله ولكنكم تستعجلون
وذكر ما لقى النبي صلى الله عليه وسلم من قومه من الاذى
والاستهزاء والاغراء وهو صابر محتسب مظهر لامر الله بتبليغ رسالته لا
تاخذه في الله لومة لائم مواجه لقومه بما يكرهون من عيب دينهم
وآلهتهم وتضليل آبائهم وتسفيه احلامهم واظهار عداوته وقتاله اياهم
ما بلغ مبلغ القطع • قال عكرمة عن ابن عباس ولما رجع النبي صلى الله
عليه وسلم الى مكة فلما حضر الموسم حج نفرٌ من الانصار فانتهى
النبي صلى الله عليه وسلم الى فريق منهم فقرأ عليه القران ودعاهم
الى الله واخبرهم بالذى اتاه الله فايقنوا واطمأنت قلوبهم الى دعوته
وعرفوا ما كانوا يسمعون من اهل الكتاب من ذكرهم اياه بصفته
وما يدعوهم اليه فصدقوه وآمنوا به وكان من اسباب الخير الذى
ساق الله للانصار الى ما كانوا يسمعون من الاخبار في صفته فلما رجعوا
الى قومهم جعلوا يدعونهم سراً ويخبرونهم باقوال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي بعثه الله به من النور والهدى والقرآن فاسلموا حتى
قل دار من دورهم الا اسلم فيها ناس لامحالة وقد ذكر الله ذلك في القرآن
واخبر ان اهل الكتاب كانوا يخبرون به العرب ويستفتحون به عليهم
فكان اهل الكتاب مقرين بنبوته مخبرين بها مبشرين بها قبل ان يبعث
فقال تعالى فيما يخاطب به اهل الكتاب (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا
من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس
افكلما جآكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا

تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين بئس ما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغياً ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) فقد اخبر تعالى ان اهل الكتاب كانوا يستفتحون على العرب بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث اي يستنصرون به وكانوا هم والعرب يقتتلون فتغلبهم العرب فيقولون سوف يبعث النبي الامي من ولد اسمعيل فنتبعه ونقتلكم معه شر قتلة وكانوا ينعتونه بنعوته واخبارهم بذلك كثيرة متواترة وكما قال تعالى (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) واخبر بما كانت عليه اليهود من انه كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم كذبوا بعضهم وقتلوا بعضهم واخبر انهم باءوا بغضب على غضب فانهم ما زالوا يفعلون مايغضب الله عليهم فاما ان يراد بالتثنية تأكيد غضب الله عليهم • واما ان يراد به مرتان فالغضب الاول بتكذيبهم المسيح والانجيل • والغضب الثاني لمحمد والقرآن

(فصل) وكان يأتيهم بالايات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزاته تزيد على الف معجزة • مثل انشقاق القمر وغيره من الآيات ومثل القرآن المعجز • ومثل أخبار أهل الكتاب قبله وبشارة الانبياء به ومثل أخبار الكهان والهواتف به • ومثل قصة الفيل التي جعلها الله آية

عام مولده وما جرى عام مولده من العجائب الدالة على نبوته • ومثل امتلاء السماء ورميها بالشهب التي ترجم بها الشياطين بخلاف ما كانت العادة عليه قبل مبعثه وبعد مبعثه • ومثل أخباره بالغيوب التي لا يعلمها أحد الا بتعليم الله عز وجل من غير ان يعلمه اياها بشر فاخبرهم بالماضي مثل قصة آدم ونوح وابراهيم وموسى والمسيح وهود وشعيب وصالح وغيرهم وبالمستقبلات وكان قومه يعلمون انه لم يتعلم من أهل الكتاب ولا غيرهم ولم يكن بمكة أحد من علماء أهل الكتاب ممن يتعلم هو منه بل ولا كان يجتمع بأحد منهم يعرف اللسان العربي ولا كان هو يحسن لسانا غير العربي ولا كان يكتب كتابا ولا يقرأ كتابا مكتوبا ولا سافر قبل نبوته الا سفرتين • سفرة وهو صغير مع عمه أبي طالب لم يفارقه ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب ولا غيرهم • وسفرة أخرى وهو كبير مع ركب من قريش لم يفارقهم ولا اجتمع بأحد من أهل الكتاب وأخبر من كان معه بأخبار أهل الكتاب بنبوته مثل أخبار بحيرا الراهب بنبوته وما ظهر لهم منه مما دلهم على نبوته ولهذا تزوجت به خديجة بنت خويلد قبل نبوته لما أخبرت به من أحواله وهذه الامور مبسوطة في موضع آخر ولكن المقصود هنا التنبيه بان محمدا صلى الله عليه وسلم له معجزات كثيرة مثل نبع الماء من بين أصابعه غير مرة ومثل تكثير الطعام القليل حتى أكل منه الخلق العظيم وتكثير الماء القليل حتى شرب منه الخلق الكثير وهذا قد جرى غير مرة وله ولامته من الآيات ما يطول وصفه فكان بعض اتباعه يحيي الله له الموتى من الناس والدواب وبعض اتباعه يمشي بالعسكر الكثير على البحر حتى يعبروا

الى الناحية الاخرى • ومنهم من القي فى النار فصارت عليه بردا وسلاما وأمثال ذلك كثير ولكن المقصود هنا ذكر بعض ما فى القرآن من انه كان يخبرهم بالامور الماضية خبرا مفصلا لايعلمه أحد الا ان يكون نبياً أو من أخبره نبي • وقومه يعلمون انه لم يخبره بذلك أحد من البشر وهذا مما قامت به الحجة عليهم وهم مع قوة عداوتهم له وحرصهم على ما يطعنون به عليه لم يمكنهم ان يطعنوا طعنا يقبل منهم وكان علم سائر الامم بان قومه المعادين له المجتهدين فى الطعن عليه وهم يمكنهم ان يقولوا ان هذه الغيوب علمه اياها بشر يوجب على علم جميع الخلق ان هذا لم يعلمه اياها بشر ولهذا قال تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) فاخبر انه لم يكن يعلم ذلك هو ولا قومه • وقومه تقر بذلك ولم يتعلم من أحد غير قومه ولهذا لما زعم بعضهم انه تعلم من بشر ظهر كذبه لكل أحد كما قال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) وكان بمكة رجل أعجمى مملوك لبعض قريش فادعى بعض الناس ان محمدا كان يتعلم من ذلك الرجل الاعجمى فبين الله ان هذا كذب ظاهر فان ذلك رجل أعجمى لايمكنه ان يتكلم بكلمة من هذا القرآن العربى ومحمد صلى الله

عليه وسلم عربي لا يعرف شيئاً من السنة العجم • فمن كلمه بغير العربية لا يفقه كلامه فلا ذلك الرجل يحسن التكلم بالعربية ولا محمد صلى الله عليه وسلم يفهم كلاما بغير العربية فلهذا قال تعالى (لسان الذي يلحدون اليه) أي يميلون اليه ويضيفون اليه انه علم محمداً صلى الله عليه وسلم (أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وكذلك قال بعض الناس عن القرآن ان هذا الا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون قال تعالى (فقد جاؤا ظلما وزوراً وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض انه كان غفورا رحيما) فبين سبحانه ان قول هذا من الكذب الظاهر المعلوم لاعدائه فضلا عن أوليائه فانهم يعلمون انه ليس عنده أحد يعينه على ذلك وليس في قومه ولا في بلده من يحسن ذلك ليعينه عليه فلهذا قال تعالى (فقد جاؤا ظلما وزورا) فان جميع أهل بلده وقومه المعادين له يعلمون ان هذا ظلم له وزور ولهذا لم يقل هذا احد من عقلائهم المعروفين وكذلك قولهم أساطير الاولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا فان قومه المعادين له يعلمون انه ليس عنده من يملي عليه كتابا وقد بين مايظهر كذبهم بقوله (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والارض) فان في القرآن من الاسرار مالا يعلمه بشر الا باعلام الله اياه فان الله يعلم السر في السموات والارض • ثم لما تبين بطلان قولهم هذا ذكر ماقدحوا به في نبوته فقال (وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) فهذا كلام المعارضين له الذين انكروا اكله ومشيه في الاسواق التي يباع فيها ما يؤكل وما

يلبس وقالوا هلا انزل اليه ملك فيكون معه نذيراً او يستغنى عن ذلك بكنز ينفق منه اوجنة يا كل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحوراً قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) يقول مثلوك بالكاذب وبالمسحور والناقل عن غيره وكل من قال هذه الاقوال يظهر كذبه لكل من عرفك ولهذا قال تعالى (فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) والضال الجاهل العادل عن الطريق فلا يستطيع الطريق الموصلة الى المقصود بل ظهر عجزهم وانقطاعهم فى المناظرة وقال تعالى وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما فى الصحف الاولى فانه أتاهم بجلية ما فى الصحف الاولى كالتوراة والانجيل مع علمهم بانه لم يأخذ عن اهل الكتاب شيئاً • فاذا اخبرهم بالغيوب التى لا يعلمها الا نبي او من اخبره نبي وهم يعلمون انه لم يعلم ذلك بخبر احد من الانبياء تبين لهم انه نبي وتبين ذلك لسائر الامم فانه اذا كان قومه المعادون له وغير المعادين له مقرين بانه لم يجتمع باحد يعلمه ذلك صار هذا منقولا بالتواتر وكان مما اقر به مخالفوه مع حرصهم على الطعن لو امكن • فهذه الاخبار بالغيوب المتقدمة قامت بها الحجة على قومه وعلى جميع من بلغه خبر ذلك وقد اخبر بالغيوب المستقبلة وهذه تقوم بها الحجة على من عرف تصديق ذلك الخبر كما قال تعالى (غلبت الروم فى ادنى الارض ثم قال وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء) وقال تعالى (وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا

ولن تفعلوا فاتقوا النار) فاخبر انهم لن يفعلوا ذلك في المستقبل وكان كما اخبر وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) فاخبر انه لا يقدر الانس والجن الى يوم القيامة ان يأتوا بمثل هذا القرآن . وهذا الخبر قد مضى له اكثر من سبع ماية سنة ولم يقدر احد من الانس والجن ان يأتوا بمثل هذا القرآن وقال عن الكفار وهو بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وظهر تصديق ذلك يوم بدر وغيره بعد ذلك بسنين كثيرة وقال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) وكان الامر كما وعده وظهر تصديق ذلك بعد سنين كثيرة وكذلك قوله تعالى (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً) فاظهر الله ما بعثه به بالآيات والبرهان واليد والسنان وقال تعالى (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد) فكان كما اخبرهم غلبوا في الدنيا كما شاهده الناس وهذا يصدق الخبر الآخر وهو انهم يحشرون الى جهنم وبئس المهاد وقد ايده تأييدا لا يؤيده الا الانبياء بل لم يؤيد احد من الانبياء كما ايده كما انه بعث بافضل الكتب الى افضل الامم بافضل الشرائع وجعله سيد ولد ادم صلى الله عليه وسلم فلا يعرف قط احد ادعى النبوة وهو كاذب الا قطع الله دابره واذله واظهر كذبه وفجوره وكل من ايده الله من المدعين للنبوة لم يكن الا صادقاً كما ايد نوحا وابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان

بل وأيد شعيباً وهودا وصالحا فان سنة الله ان ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وهذا هو الواقع • فمن كان لا يعلم ما يفعله الله الا بالعادة فهذه عادة الله وسنته تعرف بها ما يصنع ومن كان يعلم ذلك بمقتضى حكمته فانه يعلم انه لا يؤيد من ادعى النبوة وكذب عليه تأييداً لا يمكن احداً معارضته • وهكذا اخبرت الانبياء قبله ان الكذاب لا يتم الله امره ولا ينصره ويؤيده فصار هذا معلوماً من هذه الجهات ولهذا امر سبحانه ان نعتبر بما فعله في الامم الماضية من جعل العاقبة للانبياء واتباعهم وانتقامه ممن كذبهم وعصاهم قال تعالى (انا لننصر رُسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقال تعالى (واقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وقال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فامليت لكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور) وقال تعالى (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا

الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجآءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوآى ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن وقال تعالى (ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب) وقال تعالى (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة واثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوى شديد العقاب) وقال تعالى (افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما راوا بأسنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون) وقال تعالى (كذبت قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب) وقال تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا بالحق لما جآءهم فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن) فأخبر ان المكذبين له سيأتيهم في المستقبل اخبار القرآن الذي استهزؤا به وبين ان ما اخبرهم به حق بوقوع المخبر مطابقاً للخبر وكان الامر كذلك ومثله قوله (سنريهم

آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد) اخبر انه سيريهم فى انفسهم وفى الآفاق ايبين ان
القرآن حق بان يروا ما اخبر به كما اخبر به ثم قال اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد فانه قد يشهد للقرآن بانه حق بالآيات البينات
والبراهين الدالة على صدقه التي تبين بشهادة الرب بانه حق فلا يحتاج مع
الشهادة الحاضرة الى انتظار الآيات المستقبلة وقال تعالى (اقتربت الساعة
وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا
واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر
حكمة بالغة فما تغني النذر) أخبر باقتراب الساعة وانشقاق القمر وانشقاق القمر
قد عاينوه وشاهدوه وتواترت به الاخبار وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ
هذه السورة فى المجامع الكبار مثل الجمع والاعياد ليسمع الناس مافيها
من آيات النبوة ودلائلها والاعتبار وكل الناس يقر ذلك ولا ينكره فعلم
ان انشقاق القمر كان معلوما عند الناس عامة ثم ذكر حال الانبياء
ومكذبيهم فقال (كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر
فدعا ربه انى مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا
الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات الواح ودسر
تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر)
فاخبر انه أبقى السفن آية على قدرة الرب وعلى ماجرى لنوح مع قومه
ثم قال فكيف كان عذابي لمن كذب ونذري وكذلك ذكر قصة عاد
وثمود ولوط وغيرهم يقول فى عقب كل قصة فكيف كان عذابي ونذر
ونذره انذاره وهو ما بلغته عنه الرسل من الانذار وكيف كانت عقوبته

للمنذرين . والانذار هو الاعلام بالخوف فتبين بذلك صدق ماأخبرت به الرسل من الانذار وشدة عذابه لمن كذب رسله وذكر قصة فرعون (فقال ولقد جاء آل فرعون النذر كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر اكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) وذكر في قصة محمد صلى الله عليه وسلم مع الناس أنواعا من ذلك فقال (لقد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار) وقال تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا ياأولى الابصار ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب) ومثل هذا كثير في القرآن من ذكر دلائل النبوة واعلام الرسالة ليس هذا موضع بسطه وانما المقصود هنا التنبيه على جنس ذلك . ومايذكره بعض اهل الكتاب اوغيرهم من انه نصر فرعون ونمرود وسنجاريب وجنكسخان وغيرهم من الملوك الكافرين . جوابه ظاهر فان هؤلاء لم يدع احد منهم النبوة وان الله امره ان يدعو الى عبادته وطاعته ومن اطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار . بخلاف من ادعى ان الله ارسله بذلك فانه لايكون الا رسولا صادقاً ينصره الله ويؤيده

وينصر اتباعه ويجعل العاقبة لهم • او يكون كذاباً فينتقم الله منه ويقطع دابره ويتبين ان ماجاء به ليست من الآيات والبراهين التى لاتقبل المعارضة بل هي من جنس مخارق السحرة والكهان والكذابين التى تقبل المعارضة فان معجزات الانبياء من خواصها انه لايقدر احد ان يعارضها ويأتى بمثلها بخلاف غيرها فان معارضتها ممكنة فتبطل دلالتها والمسيح الدجال يدعي الالهية ويأتى بخوارق ولكن نفس دعواه الالهية دعوى ممتنعة فى نفسها ويرسل الله عليه المسيح بن مريم فيقتله ويظهر كذبه ومعه مايدل على كذبه من وجوه • منها انه مكتوب بين عينيه كافر • ومنها انه اعور والله ليس باعور • ومنها ان احداً لن يرى ربه حتى يموت • ويريد ان يقتل الذى قتله اولا فيعجز عن قتله • فهذه من الدلائل الدالة على كذبه مايبين ان مامعه ليس اية على صدقه بخلاف معجزات الانبياء فانه لايمكن احد من الانس والجن ان يأتي بنظيرها ولايبطلها مثل قلب العصا حية لموسى • واخراج ناقة لصالح من الارض • واحياء الموتى للمسيح • وانشقاق القمر وانزال القرآن وغير ذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم فان المشركين لما سألوا النبى صلى الله عليه وسلم آية واقترحوا عليه انشقاق القمر فأراهم ذلك • وقد اخبر الله تعالى بذلك فى القرآن فقال تعالى (اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا اهوائهم وكل امر مستقر ولقد جاءهم من الانباء مافيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر خاشعاً ابصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداعى يقول الكافرون هذا يوم عسر) ثم

ذكر تعالى ماجري قبله للمكذبين مع رسلهم فذكر قصة قوم نوح وهود وصالح ولوط ثم فرعون وهذه السورة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فى أعظم اجتماعات الناس عنده وهى الاعياد والناس كلهم يسمعون مايذكره من انشقاق القمر ٠ وقول المكذبين انه سحر والناس كلهم المؤمن به والمنافق والكافر يقرون على هذا لم يقل أحد منهم ان القمر لم ينشق ولا أنكره أحد وفى صحيح مسلم ان عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي مايقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاضحى والفطر فقال كان يقرأ فيهما بقاف والقرآن المجيد ٠ واقتربت الساعة وانشق القمر ومعلوم بالضرورة في مطرد العادة انه لولم يكن انشق لاسرع الناس المؤمنون به الى تكذيب ذلك فضلا عن أعدائه من الكفار والمنافقين لاسيما وهو يقرأ عليهم ذلك فى أعظم مجامعهم ٠ وأيضاً فمعلوم ان محمداً صلى الله عليه وسلم كان من أحرص الخلق على تصديق الناس له واتباعهم اياه مع انه كان أخبر الناس بسياسة الخلق فلو لم يكن القمر انشق لما كان يخبر بهذا ويقرأ على جميع الخلق ويستدل به ويجعله آية له فان من يكون من أقل الناس خبرة بالسياسة لايتعمد الى مايعلم جميع الناس انه كاذب به فيجعله من أعظم آياته الدالة على صدقه ويقرأه على الناس فى أعظم المجامع وهى اقتربت الساعة وانشق القمر بصيغة الفعل الماضى ولم يقل قامت الساعة ولا تقوم بل اقتربت اى دنت اقتربت وانشق القمر الذي هو دليل على نبوة محمد وعلى امكان انخراق الفلك الذى هو قيام القيامة وهو سبحانه قرن بين خبره باقتراب الساعة وخبره بانشقاق القمر فان مبعث محمد صلى الله عليه وسلم هو من اشراط الساعة وهو دليل على

قربها كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح بعثت انا والساعة كهاتين وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى وقد قال تعالى (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطها) وعلم الساعة أخفاها الله عن جميع خلقه كما يذكر ذلك عن المسيح في الانجيل انه لما سئل عنها فقال انها لا يعلمها أحد من الناس ولا الملائكة ولا الابن وانما يعلمها الاب وحده وهذا مما يدل على انه ليس هو رب العالم وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك لما سئل عنها قال تعالى (يسئلونك عن الساعة آيان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت في السموات والارض) أي خفيت على أهل السموات والارض (لا تأتيكم الا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون) وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تسألوني عن الساعة وانما علمها عند الله فانشقاق القمر كان آية على شيئين على صدق الرسول • وعلى مجيء الساعة وامكان انشقاق الفلك فان المنكرين لقيام القيامة الكبرى قيام الناس من قبورهم لرب العالمين وانشقاق السموات وانفطارها سوآء اقروا بالقيامة الصغرى وان الارواح بعد الموت تتنعم او تعذب كما هو قول الفلاسفة الالاهيين او انكروا المعاد مطلقاً كما انكر ذلك من انكره من مشركي العرب والفلاسفة الطبيعيين • وغيرهم ينكرون انشقاق السموات ويزعم هؤلاء الدهرية ان الافلاك لا يجوز عليها الانشقاق كما ذكر ذلك ارسطو واتباعه وزعموا ان الانشقاق يقتضي حركة مستقيمة وهي ممتنعة بزعمهم في الفلك المحدد اذ لا خلاء وراءه عندهم وهذا لو دل فانما يدل على ذلك في الفلك الاطلس لا فيما دونه فكيف وهو

باطل فان الحركة المستقيمة هناك بمنزلة جعل الافلاك ابتداء في هـذه الاحياز التي هي فيها، سوآء سمى خلاء او لم يسم كما هو مذكور في غير هذا الموضع • والمقصود هنا انه تعالى اخبر بانشقاق القمر مع اقتراب الساعة لانه دليل على امكان انشقاق الافلاك وانفطارها الذي هو قيام الساعة الكبرى وهو آية على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو من اشراط الساعة والله تعالى في كتابه يجمع بين ذكر القيامـة الكبرى والصغرى كما في سورة الواقعة ذكر في اولها القيامة الكبرى وفي اخرها القيامة الصغرى وذلك كثير في سور القرآن مثل سورة ق وسورة القيامة وسورة التكاثر وسورة الفجر وغير ذلك وقد استفاضت الاحاديث بانشقاق القمر ففي الصحيحين عن ابن مسعود انه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي لفظ ونحن معه بمنى فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان ساحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسئلوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فاتوا فسألوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وعن أنس بن مالك انه قال سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فأراهم انشقاق القمر فرقتين حتى رأوا حراء بينهما فنزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) وهذا حديث صحيح مستفيض رواه ابن مسعود وأنس بن مالك وابن عباس وهو أيضاً معروف عن حذيفة قال أبو الفرج ابن الجوزي والروايات في الصحيح بانشقاق القمر عن عمر وابن مسعود

وابن عباس وأنس رضى الله عنهم ولما زعموا ان هذا القرآن هو الفه قال الله تعالى(أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين) ثم تحداهم بعشر سور فقال تعالى(أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون)ثم تحداهم بسورة واحدة فقال وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوابسورة من مثله وادعوا شهداء كم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) وقال تعالى أيضاً (أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دون الله) فعجز جميع الخلق ان يعارضوا ماجاء به ثم اسجل على جميع الخلق بالعجز الى يوم القيامة بقوله (قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)فاخبر من ذلك الزمان ان الانس والجن اذا اجتمعوا لا يقدرون على معارضة القرآن بمثله فعجز لفظه ومعناه ومعارفه وعلومه أكمل معجزة وأعظم شأناً والامر كذلك فانه لم يقدر أحد من العرب وغيرهم مع قوة عداوتهم له وحرصهم على ابطال أمره بكل طريق وقدرتهم على أنواع الكلام ان يأتوا بمثله وانزل الله اذ ذاك آيات بين فيها انه رسول الله اليهم ولم يذكر فيها انه لم يرسل الى غيرهم فقال تعالى فى سورة القصص (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا

قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ماآتيهم من نذيرمن قبلك لعلهم يتذكرون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) وقال فى سورة السجدة (أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ماآتيهم من نذيرمن قبلك لعلهم يهتدون) وقال فى سورة يس (يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً ماأنذر آباؤهم فهم غافلون) ذكر تعالى فى هذه الآيات الثلاثة نعمته على هؤلاء وحجته عليهم بارساله وذكر بعض حكمته فى ارساله وذلك لايقتضى انه لم يرسل الا لهذا بل مثل هذا كثير معروف فى لسان العرب وغيرهم قال تعالى (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون) ومعلوم ان فى هذه الدواب منافع غير الركوب وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون) فقد أخبر انه ينزل الملائكة بالوحى على الانبياء لينذروا يوم القيامة وذلك لايمنع ان يكونوا نزلوا بالبشارة للمومنين والامر والنهي بالشرائع وقال تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما) فاخبر تعالى انه خلق العالم العلوى والسفلي ليعلم العباد قدرته وعلمه ومع هذا ففى خلق ذلك له من الحكمة امور اخرى غير علم العباد ومثل ذلك قوله تعالى (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر

الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم مافى السموات وما فى
الارض وان الله بكل شيء عليم) ومعلوم ان فى جعل الكعبة قياماً للناس
والهدى والقلائد حكما ومنافع اخرى وقال تعالى (ولله ما فى السموات
وما فى الارض ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا
بالحسنى) ومعلوم ان فى ملك الله حكما اخرى غير جزاء المحسن والمسيء
وكذلك قوله (وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزي كل نفس
بما كسبت وهم لا يظلمون) وقال تعالى (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
الى قوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسل) ومعلوم ان فى ارسال الرسل سعادة من آمن بهم وغيرها حكم
اخرى غير دفع حجة الخلق على الله وكذلك قوله تعالى (كذلك سخرها
لكم لتكبروا الله على ماهداكم) ومعلوم ان فى تسخيرها حكما ومنافع غير
التكبير وقوله (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم وقال تعالى
وسخر لكم الفلك لتجري فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر
لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وأتاكم من كل
ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار)
ومعلوم ان لله حكما فى خلق الشمس والقمر والليل والنهار غير انتفاع
بنى أدم وكذلك قوله (هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه) وقوله (وهو
الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكوراً)
وفيهما حكم اخرى وقال تعالى (وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين
الناس فيما اختلفوا فيه) وفى انزال الكتاب من هدى من اهتدى به
واتعاظه وغير ذلك مقاصد غير الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وقال

تعالى (واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقاً ولكن اكثر الناس لايعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين) ومعلوم ان فى بعث الخالق يوم القيامة مقاصد غير بيان المختلف فى علم هؤلاء ومما يبين ذلك انه قال فى الآية التى احتجوا بها لتنذر قوما ما انذر اباؤهم ومعلوم انه لم يبعث لمجرد الانذار بل وليبشر من آمن به ولامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتحليل الطيبات وتحريم الخبائث وغير ذلك من مقاصد الرسل كما قال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين وقوله وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) لاينافى كونه لم يصفهم فى موضع آخر الا بالانذار وقد قال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر باسا شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم إن يقولون الا كذباً) وكان المسلمون مرة صلوا صلاة العيد بحضرة حصار النصارى فقام خطيبهم نخطب بهذه الآية ولما قرأ قوله ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات اشار الى جند الايمان ولما قرأ قوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) اشار الى جند الصلبان وقال تعالى (وانزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وفي انزال الكتاب والميزان حكم اخرى من البشارة والانذار وغير ذلك وكذلك قوله عن اهل الكهف (ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا امداً) وفى بعثهم حكم اخرى بدليل قوله وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لاريب فيها

وقال تعالى (فانه يسالك من بين يديه ومــن خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم) ومعلوم ان في ذلك مقاصد اخرى من هداية الخلق وقيام الحجة على من بلغهم وغير ذلك وقوله (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر اولوا الالباب) وفيه حكم اخرى من قيام الحجة على الخلق وضلال من ضل به ومثله قوله (هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هواله واحدوليذكر اولوا الالباب) ومعلوم ان في ذلك مقاصد اخرى من البشارة والامر والنهي وغير ذلك وكذلك قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لــكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله) ومعلوم ان في جزاء المؤمنين مقاصد اخرى غير علم اهل الكتاب وما معه وقال تعالى (وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولينذر ام القرى ومن حولها) ومعلوم ان فيه حكما اخرى مثل تبشير من آمن به والامر والنهي وانذار هؤلاء من العرب وقال تعالى (ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين) ومعلوم ان فيه حكمة أخرى غير الانذار وقال تعالى (ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين) ومعلوم ان فيه حكمة أخرى من انذار الخلق كلهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتبشير المؤمنين فقال تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنــك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظاً ليسأل الصادقين عن صدقهم) ومعلوم ان فى

أخذ الميثاق حكما أخرى وقال تعالى (انا فتحنالك فتحاً مبينا ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيما)وقوله (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجدالحرام الى المسجد الاقصى الى قوله لنريه من آياتنا) وقوله (وجعلنا الليل والنهار آيتين الى قوله لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكذلك قوله(هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) وفى ذلك كله حكم أخرى وكذلك قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وان كانت هذه اللام لام العاقبة فليست العاقبة منحصرة فى ذلك بل فى ذلك من الاحسان الى موسى وتربيته وغير ذلك حكم أخرى ومثل قوله(وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم)الآية وقال تعالى (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) وفى ارساله حكم أخرى وكذلك قوله (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) وفى انزاله تبشير وانذار وأمر ونهى ووعد ووعيد وكذلك قوله فى عيسى بن مريم (هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا) وكذلك قوله(الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله) وفيه حكم أخرى كما قال تعالى فى الآية الاخرى (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) وقال تعالى (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذاملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى

الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) وقال تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى
بعض زخرف القول غروراً الى قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون
بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون) وكذلك قوله (وكذلك
جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا) وفي كونهم وسطا حكم أخري وكذلك قوله (الذى خلق
الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا) وفيهما حكم أخرى وكذلك
قوله (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وفى
ذلك حكم أخرى من البشارة والامر والنهى وقال تعالى (وليعلم الله
الذين آمنوا ويتخذ منكم شهدآء الى قوله وليمحص الله الذين آمنوا)
وفي ذلك حكم أخري ومثل ذلك كثير فى كلام الله عز وجل وغير
كلام الله اذا ذكر حكمة للفعل لم يلزم ان لاتكون له حكمة أخرى
لكن لابد لتخصيص تلك الحكمة بالذكر فى ذلك الموضع من مناسبة
وهذا كالمناسبة في قوله (لتنذر قوما ماأنذر آباؤهم) فانهؤلاء كانوا
أول المنذرين وأحقهم بالانذار فكان فى تخصيصهم بالذكر فائدة لاانه
خصهم لانتفاء انذار من سواهم وقال تعالى نزل به الروح الامين
على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) ومعلوم انه نزل به
ليكون بشيرا وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم
الخبائث ويضع الآصار والاغلال صلى الله عليه وسلم ﴿ فصل ﴾ وأما
احتجاجهم بقوله تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم
آياتنا) وقوله تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من

أنفسهم يتلو عليهم آياته) فهذا كقوله تعالى (لقد جاء كم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم) وهذا في عمومه نزاع فانه اما ان يكون خطابا لجميع الناس ويكون المراد انا بعثنا اليكم رسولا من البشر اذ كنتم لاتطيقون ان تأخذوا عن ملك من الملائكة فمن الله عليكم بان أرسل اليكم رسولا بشريا قال تعالى (وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لاينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون) وإما ان يكون الخطاب للعرب وعلى التقديرين فان ماتضمن ذكر انعامه على المخاطبين بارساله رسولا من جنسهم وليس في هذا مايمنع ان يكون مرسلا الى غيرهم فانه ان كان خطابا للانس كلهم فهو أيضاً مرسل الى الجن وليس من جنسهم فكيف يمتنع اذا كان الخطاب خطابا للعرب بما امتن به عليهم ان يكون قد امتن على غيرهم بذلك فالعجم أقرب الى العرب من الجن الى الانس وقد أخبر في الكتاب العزيز ان الجن لما سمعوا القرآن آمنوا به قال تعالي (واذ صرفنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم ياقومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ومن لايجب داعى الله فليس بمعجز في الارض) وقال (بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وانه تعالى جد ربنا مااتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان

يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله أحدا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصــدا وانا لاندرى اشرار يد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا ان لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا وانا لمــا سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وان لو استقاموا على الطريقه لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وان المساجد لله فــلا تدعوا مع الله أحدا وانه لمــا قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قل انمــا أدعو ربي ولا أشرك به أحدا قل انى لا أملك لكم ضراً ولا رشدا قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى اذا رأوا مايوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عددا قل ان أدرى أقريب ماتوعدون أم يجعل له ربى أمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم ان قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم واحصى كل شيء عددا) ونظير هذا قوله (وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) وقومه قريش ولا يمنع ان يكون ذكرا لسائر العرب

بل لسائر الناس كما قال تعالى (وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين) وقال تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقال تعالى (قل ما أسألكم عليه من أجر وما انا من المتكلفين ان هو إلاّ ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين) وقال تعالى (انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين) وقال تعالى (وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا) وهذا على أصح القولين وان المراد بقوله وانه لذكر لك ولقومك انه ذكر لهم يذكرونه فيهتدون به • وقيل ان المراد انه شرف لهم وليس بشيء فان القرآن هو شرف لمن أمن به من قومه وغيرهم وليس شرفا لجميع قومه بل من كذب به منهم كان أحق بالذم كما قال تعالى (تبت يدا أبى لهب وتب) وقال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) بخلاف كونه تذكرة وذكرى فانه تذكرة لهم ولغيرهم كما قال تعالى (قل ما أسألكم عليه أجرا ان هو الا ذكر للعالمين) فعم العالمين جميعهم فقال وما أسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين

(فصل) هذا الكلام على الوجه الاول وهو قول من يقول انه لم يقل انه أرسل إلاّ الى العرب • وأما الوجه الثانى وهو ان نقول هو ذكر انه رسول الى الناس كافة كما نطق به القرآن فى غير موضع كقوله تعالى (وما ارسلناك الا كافة للناس) وقوله (قل يايها الناس انّي رسول الله اليكم

جميعاً الذى له ملك السموات والارض) وقد صرح فيه بدعوة اهل الكتاب وبدعوة الجن فى غير موضع فاذا سلموا انه ذكر ذلك ولكن كذبوه فى ذلك فاما ان يقروا برسالته الى العرب اولا يقروا • فان اقروا بانه رسول ارسله الله لم يمكن مع ذلك تكذيبه كما تقدم بل يجب الاقرار برسالته الى جميع الخلق كما اخبر بذلك كما تقدم ان من ذكر انه رسول الله لا يكون الا من افضل الخلق واصدقهم او من شر الخلق واكذبهم فانه ان كان صادقاً فهو من افضلهم • وان كان كاذبا فهو من شرهم واذا كان الله قد ارسله ولو الى قرية كما ارسل يونس بن متى الى اهل نينوى كان من افضل الخلق وكان صادقاً لايكذب على الله ولا يقول عليه الا الحق ولو كذب على الله ولو فى كلمة واحدة لكان من الكاذبين لم يكن من رسل الله الصادقين فان الكاذب لايكذب فى كل شيء بل في البعض فمن كذب على الله فى كلمة واحدة فقد افترى على الله الكذب وكان من القسم الكاذبين فى دعوى الرسالة لا من الصادقين • وايضاً فان مقصود الرسالة تبليغ رسالات الله على وجهها فاذا خلط الكذب بالصدق لم يحصل مقصود الرسالة وأيضاً فاذا علم انه كذب فى بعضها لم يتميز ماصدق فيه مما كذب فيه الا بدليل آخر غير رسالته فلا يحصل المقصود برسالته ولهذا اجمع اهل الملل قاطبة على ان الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله تبارك وتعالى لم يقل احد قط ان من ارسله الله يكذب عليه وقد قال تعالى ما يبين انه لايقر كاذبا عليه بقوله تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين) وقال تعالى (ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشاء الله يختم على قلبك)

قال تعالى (ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) فقوله تعالى ويمحو الله الباطل ويحق الحق كلام مستأنف ليس داخلا فى جواب الشرط فانه لو كان معطوفاً على جواب الشرط لقال ويحق الحق بالكسر لالتقاء الساكنين كما فى قوله (قم الليل) فلما قال ويحق الحق بالضم دل على انه جملة مستأنفة اخبر فيها انه تعالى يمحو الباطل كباطل الكاذبين عليه ويحق الحق كحق الصادقين عليه فمحو الباطل نظير احقاق الحق ليس مما علق بالمشيئة بل لابد منه بخلاف الختم على قلبه فانه معلق بالمشيئة ولا يجوز ان يعلق بالمشيئة محو الباطل كتعليق الختم بل يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وقال تعالى فى صيانته واحكامه لما تبلغه رسله (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين أمنوا الى صراط مستقيم) وايضا فاذا لم يكن ارسل الا الى العرب وقد دعى اليهود والنصارى الى الايمان به وكفرهم اذا لم يؤمنوا به وجاهدهم وقتل مقاتلهم وسبى ذراريهم كان ذلك ظلما لا يفعله الا من هو من اظلم الناس ومن كان نبيا قد ارسله الله فهو منزه عن هذا وهذا فالاقرار برسالته الى العرب دون غيرهم مع ماظهر من عموم دعوته للخلق كلهم قول متناقض ظاهر الفساد وكل مادل عليه انه رسول فانه يستلزم رسالته الى جميع الخلق وكل من اعترف بانه رسول لزمه الاعتراف بانه رسول الى جميع الخلق

والا لزم ان يكون الله ارسل رسولا يفترى عليه الكذب ويقول للناس ان الله امركم باتباعى وامرني بجهادكم اذا لم تفعلوا وهو كاذب فى ذلك ومعلوم ان كل مادل على ان الله ارسله فانه يدل على انه صادق فى الرسالة والا فلا • فالرسول الكاذب لايحصل به مقصود الرسالة بل يكون من جملة المفترين على الله الكذب واولئك ليسوا من رسل الله ولا يجوز تصديقهم في قولهم ان الله ارسلهم

(فصل) واما ان لم يقروا برسالته لا الى العرب ولا غيرهم بل قالوا فيه ما كان يقوله مشركوا العرب من انه شاعر او ساحر أو مفتر كاذب ونحو ذلك • فيقال لهم على هذا التقدير فدليلكم أيضاً باطل ولا يجوز ان تحتجوا بتقدير تكذيبكم لمحمد صلى الله عليه وسلم بشيء من كلام الانبياء قبله سوآء صدقتم محمداً صلى الله عليه وسلم فى جميع مايقوله او فى بعضه او كذبتموه فدليلكم باطل فيلزم بطلان دينكم على كل تقدير وما ثبت بطلانه على كل تقدير فهو باطل في نفس الامر فيثبت انه باطل فى نفس الامر وذلك انكم اذا كذبتم محمداً لم يبق لكم طريق تعلمون به صدق غيره من الانبياء فيمتنع مع تكذيبه القول بصدق غيره بل من اعتقد كذبه وصدق غيره لم يكن عالما بصدق غيره بل يكون مصدقاً لهم بغير علم واذا لم يكن عالما بصدقهم لم يجز احتجاجه قط باقوالهم بل ذلك قول منه بلا علم ومحاجة فيما لاعلم له بها فان الدلائل الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم اعظم واكثر من الدلائل الدالة على صدق موسى وعيسى ومعجزاته اعظم من معجزات غيره والكتاب الذى ارسل به اشرف من الكتاب الذى بعث به غيره

والشريعة التي جاء بها اكمل من شريعة موسى وعيسى عليهما السلام وامته اكمل في جميع الفضائل من امة هذا وهذا ولا يوجد في التوراة والانجيل علم نافع وعمل صالح الا وهو في القرآن او مثله او اكمل منه وفي القرآن من العلم النافع والعمل الصالح مالا يوجد مثله في التوراة والانجيل فما من مطعن من مطاعن اعداء الانبياء يطعن به على محمد صلى الله عليه وسلم الا ويمكن توجيه ذلك الطعن واعظم منه على موسى وعيسى وهذه جملة مبسوطة في موضع آخر لم نبسطها هنا لان جواب كلامهم لايحتاج الى ذلك فيمتنع الاقرار بنبوة موسى وعيسى عليهما السلام مع التكذيب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يفعل ذلك الا من هو من اجهل الناس واضلهم او من اعظمهم عنادا واتباعاً لهواه وذلك ان هؤلاء القوم احتجوا بما نقلوه عن الانبياء ولم يذكروا الادلة الدالة على صدقهم بل اخذوا ذلك مسلما وطلبوا ان يحتجوا بما نقلوه عن الانبياء قبله وبما نقلوه عنه على صحة دينهم وهذه حجة داحضة سواء صدقوه او كذبوه فان صدقوه بطل دينهم وان كذبوه بطل دينهم فانهم ان صدقوه فقد علم انه دعاهم وجميع اهل الارض الى الايمان به وطاعته كما دعا المسيح وموسى وغيرهما من الرسل وانه ابطل ماهم عليه من الاتحاد وغيره وكفرهم في غير موضع ولهذا كان مجرد التصديق بان محمداً رسول الله ولو الى العرب يوجب بطلان دين النصارى واليهود وكل دين يخالف دينه فان من كان رسولا لله فانه لا يكذب على الله ومحمد صلى الله عليه وسلم قد علم منه انه دعى النصارى واليهود الى الايمان به وطاعته كما دعى غيرهم وانه كفر من لم يؤمن

به ووعده النار وهذا متواتر عنه تواتراتعلمه العامة والخاصة وفي القرآن من ذلك ما يكثر ذكره كما قال تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءتهم البينة وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويوءتوا الزكوة وذلك دين القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه) وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وقد ذكر كفر اليهود والنصارى في غير موضع كقوله تعالى عن النصارى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعاً) وقال تعالى أيضاً (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنه ومأوا

النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما
من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسنّ الذين كفروا منهم
عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم
الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر
كيف نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا
يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا
فى دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وضلوا عن سواء السبيل) وقال تعالى (يا اهل الكتاب لا تغلوا
فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول
الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا
ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له
ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان
يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم
ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما
ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا
به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما) وقال تعالى
(وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم
بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما

امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) وقال تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسي ولا اعلم مافى نفسك انك انت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد) فقد قال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم فى موضعين وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) وقال تعالي (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم) وقال تعالى (وقالت النصارى المسيح بن الله) فذكر الله عنهم هذه الاقوال الثلاثة والنصارى قالت الاقوال الثلاثة لكن من الناس من يظن ان هذا قول طائفة منهم • وهذا قول طائفة منهم • وهذا قول طائفة منهم وقولهم ثالث ثلاثة قول النسطورية • وقولهم انه ابن الله قول الملكانية • ومنهم من يقول قوله ان الله هو المسيح بن مريم قول اليعقوبية وقولهم والابن وروح القدس • وظن ابن جرير الطبرى ان هذه الطوائف كانوا قبل اليعقوبية والنسطورية والملكية كما ذكره طائفة من المفسرين كابن جرير الطبرى والثعلبي وغيرهما (ثم تارة يحكون عن اليعقوبية ان عيسى هو الله وعن النسطورية انه ابن الله وعن المريوسية انه ثالث ثلاثة وتارة يحكون عن النسطورية انه ثالث ثلاثة وعن الملكية أنه الله ويفسرون قولهم ثالث ثلاثة بالاب • والابن • وروح القدس • والصواب ان هذه الاقوال جميعها قول طوائف النصارى المشهورة الملكية واليعقو

والنسطورية فان هذه الطوائف كلها تقول بالاقانيم الثلاثة الاب والابن
وروح القدس فتقول ان الله ثالث ثلاثة وتقول عن المسيح انه الله
وتقول انه ابن الله وهم متفقون على اتحاد اللاهوت والناسوت وان
المتحد هو الكلمة وهم متفقون على عقيدة ايمانهم التى تتضمن ذلك
وهو قولهم نؤمن باله واحد اب ضابط الكل خالق السموات والارض
كل ما يرى ومالا يرى وبرب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد
المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق
مولود غير مخلوق ٠ واما قوله تعالى (ولا تقولوا ثلاثة) وقوله لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فقد فسروه بالتثليث المشهور عنهم
المذكور فى امانتهم ومن الناس من يقول ان الله هو المسيح بن مريم
قول اليعقوبية وقولهم ثالث ثلاثة هو قول النصاري الذين يقولون بالاب
والابن وهم قد جعلوا الله فيها ثالث ثلاثة وسموا كل واحد من الثلاثة
بالاله والرب وقد فسره طائفة بجعلهم عيسى وامه الهين يعبدان من
دون الله قال السدى فى قوله تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثة) قال قالت النصارى ان الله هو المسيح وامه فذلك قوله (ءانت قلت
للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله) وقد قيل قول ثالث اغرب من
ذلك عن ابي صخر قال لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة قال هو قول
اليهود عزير بن الله وقول النصارى المسيح بن الله فجعلوا الله ثالث ثلاثة
وهذا ضعيف وقد ذكر سعيد بن البطريق في اخبار النصارى ان منهم
طائفة يقال لهم المرسية يقولون ان مريم اله وان عيسى اله فقد يقال
الخ هذا قول هؤلاء كما ان القول بان عزير بن الله قول طائفة من

اليهود . واما الاول فتوجه فان النصارى المتفقين على الامانة كلهم يقولون ان الله ثالث ثلاثة والله تعالى قد نهاهم عن ان يقولوا ذلك فقال تعالى (يا اهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم) فذكر سبحانه فى هذه الآية التثليث والاتحاد ونهاهم عنهما وبين ان المسيح انما هو رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقال(فامنوا بالله ورسله ثم قال ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم) ولم يذكر هنا امه وقوله تعالى (وكلمته القاها الى مريم وروح منه) قال معمر عن قتادة وكلمته القاها الى مريم وهو قوله كن فكان وكذلك قال قتادة ليس الكلمة صار عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى وكذلك قال الامام احمد ابن حنبل فى مصنفه الذى صنفه فى كتبه فى الرد على الجهمية وذكره عنه الخلال والقاضى ابو يعلى قال احمد ثم ان الجهم ادعى امراً آخر فقال انا وجدنا فى كتاب الله آية تدل على ان القرآن مخلوق قلنا اى آية ؟ قال قول الله (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم) وعيسى مخلوق . فقلنا ان الله منعكم الفهم فى القرآن عيسى عليه السلام تجرى عليه الفاظ لاتجرى على القرآن لان عيسى يجرى عليه نسمة ومولود وطفل وصبي وغلام يأكل ويشرب وهو يخاطب بالامر والنهى يجرى عليه الوعد والوعيد هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم ولا يحل لنا ان نقول فى القرآن مانقول فى عيسى هل سمعتم الله يقول فى القرآن ما قال في عيسى ولكن المعنى فى قوله جل ثناؤه(انما المسيح عيسى بن مريم

وكلمته القاها الى مريم وروح منه) فالـكلمة التى القاها الى مريم حين
قال له كن فكان عيسي بكن وليس عيسى هو الكن ولكن بالكن كان
فالكن من الله قوله • وليس الـكن مخلوقاً وكذبت النصاري والجهمية
على الله فى امر عيسى وذلك ان الجهمية قالوا عيسى روح الله وكلمته
لان الـكلمة مخلوقة قالت النصارى روح الله من ذات الله وكلمة الله
من ذات الله كما يقال هذه الخرقة من هذا الثوب • وقلنا نحن ان عيسي
بالـكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة قال احمد واما قوله جل ثناؤه
وروح منه يقول من امره كان الروح فيه كقوله (وسخر لكم ما في
السموات وما فى الارض جميعاً منه) يقول من امره وتفسير روح الله
انما معناها انها روح بكلمة الله خلقها الله كما يقال عبد الله وسماء الله وفى
نسخة روح يملكها الله خلقها الله وقال الشعبي فى قوله تعالى وكلمته
القاها الى مريم الـكلمة حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى
هو الكن ولكن بالكن كان وقال ليث عن مجاهد روح منه قال رسول
منه يريد مجاهد قوله (فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراسوياً قالت انى
اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك) والمعنى ان
عيسى خلق من هذه الروح وهو جبريل روح القدس سمى روحاً
كما سمى كلمة لانه خلق بالـكلمة والنصارى يقولون فى امانتهم تجسد
من مريم ومن روح القدس لانه جاء كذلك فى الكتب المتقدمة لكن
ظنوا ان روح القدس هو صفة لله وجعلوها حياته وقدرته وهو رب
[illegible] غلط منهم فانه لم يسم احد من الانبياء حياة الله ولا قدرته ولا
[illegible] وح القدس بل روح القدس فى غير موضع من كلام

الانبياء عليهم السلام يراد بها ما ينزله الله على قلوب الانبياء كالوحى والهدى والتأييد ويراد بها الملك وهكذا فى تفسير ابن السائب عن ابي صالح عن ابن عباس ان عيسى بن مريم استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع عيسى ذلك قال اللهم انت ربى وانا من روحك خرجت وبكلمتك خلقتنى ولم آتهم من تلقاء نفسي وذكر تمام الحديث وقد قال تعالى(والتى احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وقال تعالى(ومريم ابنت عمران التى احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) فهذا يوافق قوله تعالى(فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك) وهذا مبسوط في موضع آخر والمقصود هنا انهم سواء صدقوا محمداً او كذبوه فانه يلزم بطلان دينهم على التقديرين فانه ان كان نبيا صادقاً فقد بلغ عن الله فى هذا الكتاب كفر النصارى فى غير موضع ودعاهم الى الايمان به وامر بجهادهم فمن علم انه نبي ولو الى طائفة معينة فيجب تصديقه في كل ما اخبربه وقداخبر بكفر النصارى وضلالهم فاذا ثبت هذا لم يغن عنهم الاحتجاج بشيء من الكتب والمعقول بل يعلم من حيث الجملة ان كل مايحتجون به على صحة دينهم فهو باطل وان لم يبين فساد حججهم على التفصيل لان الانبياء لايقولون الا حقا كما ان المسيح عليه السلام لما حكم بكفر من كذبه من اليهود كان كل ما يحتج به اليهود على خلاف ذلك باطلا فكل ما عارض قول النبى صلى الله وسلم المعصوم فهو باطل وان كذبوا محمداً تكذيباً عاما مطلقاً

نبيّ اصلا ولا ارسل الى احد لا الي العرب ولا الي غيرهم بل كان
من الكذابين • امتنع مع هذا ان يصدقوا بنبوة غيره فان الطريق الذى
يعلم به نبوة موسى وعيسى يعلم به نبوة محمـــد بطريق الاولى • فاذا
قالوا علمت نبوة موسى والمسيح بالمعجزات وعرفت المعجزات بالنقل
المتواتر الينا • قيل لهم معجزات محمد صلى الله عليه وسلم اعظم وتواترها
ابلغ والكتاب الذى جآء به محمد صلى الله عليـه وسلم أكمل وامتـه
افضل وشرائع دينه احسن وموسى جاء بالعدل وعيسى جاء بتكميلها
بالفضل وهو صلى الله عليه وسلم قد جمع فى شريعته بين العدل والفضل
فان ساغ لقائل ان يقول هو مع هذا كاذب مفتر • كان على هذا التقدير
الباطل غيره اولى أن يقال فيه ذلك فيبطل بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه
وسلم جميع ما معهم من النبوات اذ حكم احد الشيئين حكم مثله فكيف
بما هو اولى منه فلو قال قائل ان هرون ويوشع وداود وسليمان كانوا
أنبياآء وموسى لم يكن نبيا • أو أن داود وسليمان ويوشع ويحيي كانوا
انبياآء والمسيح لم يكن نبيا • أو قال ما يقوله السامرة ان يوشع كان نبيا
ومن بعده كداود وسليمان والمسيح لم يكونوا أنبياآء • أو قال مايقوله اليهود
أن داود وسليمان واشعيا وحيقوق وميخا وعاموص ودانيال كانوا
أنبياآء والمسيح بن مريم لم يكن نبيا كان هذا قولا متناقضا معلوم البطلان
فان الذين نفي هؤلاء عنهم النبوة أحق بالنبوة وأكمل نبوة ممن اثبتوها
له • ودلائل نبوة الأكمل أفضل فكيف يجوز اثبات النبوة للنبي المفضول
دون الفاضل؟ وصار هذا كما لو قال قائل ان زفر وابن القاسم والمزنى
والخلال [illegible] كانوا فقهاآء وابا حنيفة ومالكا والشافعي واحمد لم يكونوا فقهاء

أو قال ان الاخفش وابن الانباري والمبردكانوا نحاة والخليل وسيبويه والفراء لم يكونوا نحاة • أو قال أن صاحب الملكي والمسيحي ونحوهما من كتب الطب كانوا أطباء • وبقراط وجالينوس ونحوهما لم يكونوا أطباء أو قال أن كوشيار والخرقي ونحوهما كانوا يعرفون علم الهيئة وبطليموس ونحوه لم يكن له علم بالهيئة • ومن قال أن داود وسليمان ومليخا وعاموص ودانيال كانوا أنبياء ومحمد بن عبد الله لم يكن نبيا • فتناقضه أظهر وفساد قوله أبين من هذا جميعه بل وكذلك من قال أن موسى وعيسى رسولان والتوراة والانجيل كتابان منزلان من عنـــد الله ومحمدا ليس برسول والقرآن لم ينزل من الله • فبطلان قوله في غاية الظهور والبيان لمن تدبر ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من قبـــله وتدبر كتابه والكتب التي قبله وايات نبوته وايات نبوة هؤلاء وشرائع دينه وشرائع دين هؤلاء وهـــذه الجملة مفصلة مشروحة في غير هذا الموضع لكن المقصود هنا التنبيه على مجامع جوابهم وهؤلاء القوم لم يأتوا بدليل واحد يدل على صدق من احتجوا به من الانبياء • فلو ناظرهم من يكذب بهؤلاء الانبياء كلهم من المشركين والملاحدة لم يكن فيما ذكروه حجة لهم ولا حجة لهم ايضاً على المسلمين الذين يقرون بنبوة هؤلاء • فان جمهور المسلمين انما عرفوا صدق هؤلاء الانبياء باخبار محمد انهم انبياء فيمتنع ان يصدقوا بالفرع مع القدح في الاصل الذي به علموا صدقهم وايضاً فالطريق الذى به علمت نبوة هؤلاء بما ثبت من معجزاتهم واخبارهم فكذلك تعلم نبوة محمد بما ثبت من معجزاته واخبا...
الاولى • فيمتنع ان يصدق احد من المسلمين بنبوة ...
تكذيبه لمحمد في كلمة مما جاء به

(فصل) ومما ينبغي ان يعلم ان كثيراً من النصارى انما يعتمدون فى النبوات على بشارة الانبياء بمن يأتي بعدهم فيقولون المسيح عليه السلام بشرت به الأنبياء قبله بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يبشر به نبي • وجواب هؤلاء من وجهين • احدهما ان يقال بل البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم فى الكتب المتقدمة اعظم من البشارة بالمسيح عليه السلام وكما ان اليهود يتأولون البشارة بالمسيح على انه ليس هو عيسى بن مريم بل هو آخر ينتظرونه وهم فى الحقيقة انما ينتظرون المسيح الدجال فانه الذي يتبعه اليهود ويخرج معه سبعون الف مطيلس من يهود اصبهان ويقتلهم المسلمون معه حتى يقول الشجر والحجر يامسلم هذا يهودى ورأى تعال فاقتـله • كما ثبت ذلك فى الصحيح عن النبى صلى الله عليـه وسلم وثبت ايضا في الصحيح عن النبي صلى الله عليـه وسلم انه قال ينزل عيسى بن مريم من السماء على المنـارة البيضاء شرقي دمشق فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقتل مسيحُ الهدى عيسى بن مريم مسيح الضلالة الاعور الدجال على بضع عشرة خطوة من باب لدّ ليتبين للناس ان البشر لا يكون الها فيقتل من ادعى فيه انه الله وهو برىء مما ادعي فيـه لمن ادعي فى نفسه انه الله وهو دجال كذاب فهكذا البشارات بمحمد صلي الله عليه وسلم فى الكتب المتقدمة وقد يتأوّلها بعض اهل الكتاب على غير تأويلها كما قد بسط فى موضع آخر فان بسط الكلام فى ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فى الكتب التي [illegible] الفاضل اهل الكتاب له موضع آخر * الجواب الثانى ان يقال ليس من [illegible] به من تقدمه كما ان موسى كان رسولا الى فرعون [illegible] وكذلك الخليل عليه السلام ارسل الى

نمرود ولم يتقدم به بشارة نبي اليه وكذلك نوح وهود وصالح وشعيب ولوط لم يتقدم بواحد من هؤلاء بشارة الى قومهم بهم مع كونهم انبياء صادقين فان دلائل نبوة النبي لا تنحصر في اخبار من تقدمه بل دلائل النبوة منها المعجزات ومنها غير المعجزات كما قد بسط في موضع آخر وهؤلاء النصارى انما مستند دينهم في التثليث والاتحاد وغير ذلك هو السمع و هو دعواهم ان الكتب الالهية جاءت بذلك • ليس مستندهم فيه العقل • فاذا تبين انهم مع تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم يمتنع ان تثبت نبوة غيره امتنع استدلالهم بالسمعيات • واما العقليات فان تشبثوا ببعضها فهم معترفون بان حجتهم فيها ضعيفة وانها على نقيض مذهبهم ادل منها على مذهبهم وسنبين ان شاء الله ان لا حجة لهم في سمع ولا عقل بل ذلك كله حجة عليهم • واما تمثيلهم الكتاب بالوثيقة التي كتب الوفاء في ظهرها فتمثيل باطل غير مطابق • لان الاقرار بالوفاء اقرار بسقوط الدين ولا مناقضة بين ثبوت الدين اولا وسقوطه اخراً بالوفاء • بل امكن مع هذا دعواه واما من يذكر انه رسول الله فلا يمكن ان يقربانه رسول الله في بعض ما انبأ به عن الله دون بعض • ولا يمكن اتباع بعض كتابه الذي ذكر انه منزل من عند الله دون بعض • فانه ان كان صادقا في قوله انه رسول الله كان معصوما في كل ما يخبر به عن الله لا يجوز ان يكذب في شيء منه لا عمداً ولا خطاءً ووجب اتباع الكتاب الذي جاء به من عند الله ولم يمكن رد شيء مما ذكر انه جاء به من الله وان كا[illegible] كلمة واحدة مما اخبر به عن الله فهو من الكاذبين [illegible] ان يحتج بشيء من دينهم ولا دين غيره

بمجرد خبره وقوله وان لم يذكر انه خبر عن الله كما لا يجوز مثل ذلك
في سائر من عرف انه كاذب في قوله اني رسول الله كمسيلمة الحنفي
والاسود العنسي وطليحة الاسدي والحارث الدمشقي وبابا الرومي وامثالهم
من الكذابين • والواحد من المسلمين وان كان الله لا يؤاخذه بالنسيان
والخطأ بل والرسول ايضاً وان لم يكن مواخذا بالنسيان والخطأ في
غير ما يبلغه عن الله عند السلف والائمة وجمهور المسلمين لكن ما يبلغه
عن الله لا يجوز ان يستقر فيه خطأ فانه لو جاز ان يبلغ عن الله ما لم
يقله الله ويستقر ذلك وياخذه الناس عنه معتقدين ان الله قاله ولم يقله
الله كان هذا مناقضاً لمقصود الرسالة ولم يكن رسولا لله في ذلك بل
كان كاذباً في ذلك وان لم يتعمده واذا بلغ عن الله ما لم يقله وصدق في
ذلك كان قد صدق من قال على الله غير الحق ومن تقول عليه مالم يقله وان
لم يكن متعمداً ويمتنع في مثل هذا ان يصدقه الله في كل ما يخبر به عنه او
ان يقيم له من الآيات والبراهين ما يدل على صدقه في كل ما يخبر به عنه
مع ان الامر ليس كذلك • ومن قامت البراهين والآيات على صدقه فيما يبلغه
عن الله كان صادقا في كل ما يخبر به عن الله • لا يجوز ان يكون في خبره عن الله
شيء من الكذب لا عمدا ولا خطأ وهذا مما اتفق عليه جميع الناس من المسلمين
واليهود والنصارى وغيرهم لم يتنازعوا انه لا يجوز ان يستقر في خبره
عن الله خطأ وانما تنازعوا هل يجوز أن يقع من الغلط ما يستدركه
وان [illegible] اهل ال[illegible] ا في مقصود الرسالة كما نقل من ذكر تلك الغرانيق العلى
وطعن في وقوع ذلك [illegible] [illegible] ا فيه قولان للناس • منهم من منع ذلك أيضاً
[illegible] ء من قال انهم سمعوا مالم يقله فكان
[illegible] المدينة فلا [illegible]

الخطأ فى سمعهم والشيطان القى في سمعهم ٠ ومن جوز ذلك قال اذا
حصل البيان ونسخ ما ألقى الشيطان لم يكن فى ذلك محذور وكان ذلك
دليلا على صدقه وأمانته وديانته وانه غير متبع هواه ولا مصر على غير
الحق كفعل طالب الرياسة المصر على خطأه ٠ واذا كان نسخ ماجزم بان
الله أنزله لامحذور فيه ٠ فنسخ مثل هذا أولى أن لا يكون فيه محذور
واستدل على ذلك بقوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى
الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله مايلقى الشيطان ثم يحكم
الله آياته والله عليم حكيم ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم
مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا
العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى
الذين أمنوا الى صراط مستقيم) وعلى كل قول فالناس متفقون على ان
من أرسله الله وأقام الآيات على صدقه فيما يبلغه عن الله لم يكن مايبلغه
عنه الا حقا ٠ والا كانت الآيات الدالة على صدقه دلت على صدق من
ليس بصادق وبطلان مدلول الادلة اليقينية ممتنع والصدق الذى هو
مدلول آيات الأنبياء وبراهينهم هو ان يكون خبره عن الله مطابقاً
لمخبره لايخالفه عمداً ولا خطأ ولو قال قائل انا لا أسمى الخطأ كذبا
أو قال ان المخطئ لا اثم عليه فى خطائه ٠ قيل له هذا لاينفع هنا فان
الآيات دلت على ان الله أرسله ليبلغ عنه رسالاته [illegible] لايرسل من يعلم
انه يخبر عنه بخلاف ماقال له ٠ كما لايجوز ارسال من [illegible] عليه الكذب
بل الواحد [illegible] لايرسل من يعلم انه يبلغ خلاف ما ارسله به ولو
علم انه يقول عليه مالم يقل وأرسله مع ذلك لكان جاهلا سفيها ليس

بعلم حكيم فكيف يجوز ذلك على أعلم العالمين وأحكم الحاكمين • وأيضاً فان الآيات والبراهين دلت على صدقه فى كل ما يبلغه عن الله وان الله مصدقه فى كل مايبلغه عنه فيمتنع ان لا يكون صادقا فى شيء من ذلك ويمتنع ان يصدق الله فى كل ذلك من لا يصدق فى كل ذلك فان تصديق من لا يصدق كذب والكذب ممتنع على الله • واذا تبين أن من ذكر انه رسول الله • اما أن يكون رسولا صادقا فى جميع ما يبلغه • فيمتنع مع هذا تناقض اخباره لانها كلها صادقة واما أن يكون غير صادق ولو فى كلمة فلا يكون رسولا لله فلا يحتج بشيء مما يخبر به عن الله • كان تمثيل من ذكر أنه رسول الله بالمقر باستيفاء وثيقته تمثيلا باطلا فان صاحب الوثيقة الذى اقر بوفائها بعد كانت له حجة ثم استوفاها • ومن ذكر أنه رسول الله اما صادق • واما كاذب وعلى التقديرين لا يجوز أن يحتج ببعض كلامه دون بعض واذا قال القائل مقصودى أبين أنه متناقض وأن نفس كلامه يبين أنه لم يرسل الينا وأن ديننا حق كما أن نفس كلام الذي كان له الحق هو المقر بالوفاء قيل ان كان كلامه متناقضا فليس برسول • وحينئذ فلا يجوز لك أن تحتج بشيء مما بلغه عن الله • بخلاف المقر بالوفاء فان اقراره مقبول على نفسه فانه شاهد على نفسه وشهادته على نفسه مقبولة ولو كان كافراً وفاسقاً بخلاف شهادته على الله أن الله أرسله اذا كذب فى كلمة واحدة لم يكن الله أرسله فلا يقبل شيء من شهادته وخبره عن الله • فمن شبه اقرار المقر على نفسه بقول الذى يقول أنه رسول الله دل ذلك على غاية جهله بالقياس والاعتبار والتمثيل • فان اقرار المقر على نفسه حجة

عليه ولو كان فاسقاً معروفا بالكذب ليس هو مثل شهادة الانسان على غيره • فان شهادته على غيره لا تقبل اذا كان معروفا بالكذب فكيف بمن شهد على الله بان الله أرسله؟فالمقر على نفسه يمكن قبول اقراره على نفسه ولا يقبل دعواه على غيره وكذلك الشاهد قد تقبل شهادته فيما ليس هو خصما فيه ولا تقبل شهادته بما ادعاه • واما من يقول أنه رسول الله فلا يمكن أن يصدق في بعض ما يخبر به عن الله ويكذب في بعض بل ان كان كاذبا في كلمة واحدة فليس هو رسولا لله فلا يحتج بكلامه وان قدر أن الكلام في نفسه صدق لكن نسبته الى الله أن الله أرسله به وأوحاه لا يكون صادقا فيه اذا كذب في كلمة واحدة لان الله لا يرسل كاذبا • وان لم يكن كاذبا في كلمة واحدة وجب تصديقه في كل ما يخبر به فلا يمكن تصديقه في بعض ما يخبر به عن الله دون بعض بخلاف المقر والشاهد • وان كان المقصود بيان تناقضه كان هذا احتجاجا على انه ليس برسول فلا ينفعهم ذلك مع أنه تبين أنه ليس بمتناقض • وان كان المقصود الزام المسلمين به فقد بينا أنه لا يلزمه من وجوه متعددة فهذا بيان أنهم لا يجوز لهم الاحتجاج بشيء من كلام محمد صلى الله عليه وسلم سواء صدقوه او كذبوه • ثم يقال لهم ثانياً فالجواب عن التمثيل بالوثيقة أن الاقرار بالاستيفاء يناقض استيفاء الحق • وأما القرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فليس فى اخباره [illegible] رسل الى قريش ثم الى العرب ما يناقض اخباره بانه أرسل الى جم[illegible] من أهل الكتاب وغيرهم كما أنه ليس في اخباره أنه أرسل الى بنى [illegible]ائيل ومخاطبة الله لهم بقوله يابنى اسرائيل ما يمنع أن يكون مرسلا الى اليهود من غير بنى

اسرائيل والى النصارى والمشركين وهو أنه لم يقل قط أني لم أرسل الا الى العرب ولا قال ما يدل على هــذا بل ثبت عنه بالنقل المتواتر أنه قال أنه مرسل الى جميع الجن والانس الى أهل الكتاب وغيرهم ولو قدر أنه قال انه لم يرسل إلا الى العرب ثم قال إني أرسلت الى أهل الكتاب لكان قــد أرسل الى أهل الكتاب بعد ارساله الى العرب كما قال (قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير) وقال أيضــاً (انمــا حرم عليكم الميتــة والدم ولحم الخنزير) ثم أنه بعد هــذا حرم الله أشــياء فلم يكن بين نفي تحريمها فى الزمن الاول واثبــات تحريمهــا فى الزمن الثاني منافاة • ولكن نظير الدين اذا اوجب شيئاً ثم نسخ ايجابه كما نسخ ايجاب الصدقة بين يدي النجوي ففي مثل هذا يتمسك بالنص الناسخ دون المنسوخ كما يتمسك بالاقرار بالوفاء الناسخ للاقرار بالدين

(فصل) وقد ذكر انه لايجوز ان يحتجوا بشيء من القرآن وما نقل عن محمد صلي الله عليه وسلم الا مع التصديق برسالته وانه مع التكذيب برسالته لايمكن الاقرار بنبوة غيره ولا الاحتجاج بشيء من كلام الانبياء فتكذيبهم به يستلزم تكذيب غيره • فاذا ثبتت نبوة غيره ثبتت نبوته وذلك يستلزم بطلان دينهم فكان تحقق دليلهم يستلزم بطلان المدلول وفساد المدلول يستلزم فساد الدليل • فان الدليل ملزوم للمدلول عليه واذا تحقق الملزوم تحقق اللازم واذا انتفى اللازم انتفى الملزوم فاذا ثبت الدليل ثبت المدلول عليه واذا فسد المدلول عليه لزم فساد الدليل فان الباطل لايقوم عليه دليل صحيح فان كان محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله لزم بطلان

دينهم واذا بطل دينهم لم يجزان يقوم دليل صحيح على صحته • واذا لم يكن رسول الله لم يجز الاستدلال بقوله فثبت ان استدلالهم بقوله باطل على التقديرين • ونحن نذكر هنا انه لايجوز استدلالهم بقول احد من الانبياء اوالرسل على صحة دينهم • وأيضاً فان الذين احتجوا بقولهم مثل موسي وداود والمسيح وغيرهم • اما ان يكونوا عرفوا انهم انبياء بدليل على نبوتهم كالاستدلال بآياتهم وبراهينهم التي تسمى بالمعجزات • واما ان يكونوا قداعتقدوا ذلك بلا علم ولا دليل • واما ان يكونوا احتجوا بذلك على المسلمين لانهم يسلمون نبوة هؤلآء • وعلى كل تقدير لايصح استدلالهم بقولهم اما على الاول فلانه اى طريق ثبت به نبوة واحد من هؤلاء الانبياء عليهم السلام فانه تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بمثلها واعظم منها وحينئذ فان لم يقروا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان كل دليل يدل على نبوة موسي وداود وعيسى وغيرهم يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • لزم ان يكونوا قد نقضوا دليلهم فجعلوه قائما مع انتفاء مدلوله • واذا انتقض الدليل بطلت دلالته • فانه انما يدل اذا كان مستلزماً للمدلول • فاذا كان تارة يوجد مع المدلول وتارة لايوجد لم يكن مستلزماً له فلا يكون دليلا • فان من جعل المعجزات دليلا على نبوة نبي وقال المعجزة هي الفعل الخارق للعادة المقرون بالتحدى السالم من المعارضة ونحو ذلك مما يذكر في هذا المقام وجعلوا ذلك دليلا على نبوة موسى وعيسى وغيرهما من الانبياء • قيل له ان كان هذا دليلا فهو دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • وان لم يكن دليلا لم يكن دليلا على نبوة موسى وعيسى فانه قد ثبت عن محمد صلى الله عليه وسلم من

المعجزات ما لم يثبت مثله عن غيره • ونقل معجزاته متواتر اعظم من نقل معجزات عيسى وغيره فيمتنع التصديق باياته مع التكذيب بايات محمد صلى الله عليه وسلم • وان قالوا معجزات محمد صلى الله عليه وسلم لم تتواتر عندنا • قيل ليس من شرط التواتر ان تتواتر عند طائفة معينة بل هذا كما يقول المشركون والمجوس وغيرهم لم تتواتر عندنا معجزات موسى والمسيح عليهما السلام وانما تتواتر اخبار كل انسان عند كل من رأى المشاهدين له او رأى من رآهم وهلم جرا • ومعلوم ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين رأوه ونقلوا معجزاته اضعاف اصحاب المسيح عليه السلام • والتابعون الذين نقلوا ذلك عن الصحابة كذلك فيلزم من التصديق بمعجزات المسيح عليه السلام التصديق بمعجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومن التكذيب بمعجزات محمد التكذيب بمعجزات المسيح وان قالوا عرف نبوة المسيح ببشارات الانبياء قبله • قيل وفى الكتب المتقدمة من البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل ما فيها من البشارات بالمسيح واكثر كما سيأتى بعضها ان شاء الله تعالى • وان تاولوا تلك البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم بما يمنع دلالتها • قيل لهم واليهود يتأولون بشارات المسيح بما يمنع دلالتها على المسيح • فاذا قالوا تلك التأويلات باطلة من وجوه معروفة بين لهم ان هذه باطلة ايضاً بمثل تلك الوجوه واقوى فما من جنس من الادلة يدل على نبوة موسى والمسيح الا ودلالته على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اقوى واكثر فيلزم من ثبوت نبوة موسى والمسيح ثبوت نبوة محمد ومن الطعن فى نبوة محمد الطعن فى نبوة موسى والمسيح • وان قالوا ان المسيح آله • قيل

لهم ثبوت كونه آلها لوكان ممكنا ابعدمن ثبوت كونه رسولا فكيف اذا كان ممتنعا؟ وذلك أنه ليس معهم ما يدل على الهيتـه الا ماينقلونه من أقوال الانبياء أو الخوارق والخوارق لا تدل على الآلهية فان الانبياء ما زالوا يأتون بالايات الخارقة للعادة ولم تدل على إلهية أحـد منهم • وأما أقوال الانبياء عليهم السلام فلا ريب أن دلالتها على رسالته ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم أظهر من دلالتها على آلهية المسيح فيمتنع الاحتجاج بها على آلهية المسيح دون رسالة محمـد ورسالة المسيح ومتى ثبت أن محمـداً رسول الله بطلت آلهيـة المسيح فانه كفر من قال أنه الله أو ابن الله • بل وكذلك متى ثبت أن المسيح رسول الله بطل كونه آلها فان كونه هو الله مع كونه رسول الله متناقض • وقولهم أنه اله بلاهوته ورسول بناسوته كلام باطل من وجوه • منها أن الذى كان يكلم الناس اما أن يكون هو الله أو هو رسول الله فان كان هو الله بطل كونه رسول الله • وان كان هو رسول الله بطل كونه هو الله • ولهذا لما كان الذى كلم موسى عليه السـلام من الشجرة هو الله لم تنطق الكتب بانه رسول الله وهذا وارد باي وجه فسروا الاتحاد. فانه من المعلوم أن الناس كانوا يسمعون من المسيح كلاما بصوته المعروف وصوته لم يختلف عليهم ولا حاله عند الكلام تغيرت كما يختلف الانسان وحاله عند الكلام اذا دخل فيه الجنى واذا فارقه الجنى فان الجنى اذا تكلم على لسان المصروع ظهر الفرق بين ذلك المصروع وبين غيره من الناس. بل اختلف حال المصروع وحال كلامه وسمع منه من الكلام ما يعلم يقينا أنه لا يعرفه وغاب عقله بحيث يظهر ذلك للحاضرين واختلف صوته ونغمته. فكيف بمن يكون

رب العالمين هو الحال فيه المتحد به المتكلم بكلامه؟ فانه لا بد أن يكون بين كلامه وصوته وكلام سائر البشر وصوتهم من الفرق أعظم من الفرق الذي بين المصروع وغير المصروع بما لا نسبة بينهما. يبين هذا أن موسى لما سمع كلامه سمع صوتا خارقا للعادة مخالفا لما يعهد من الاصوات. ورأى من الايات الخارقة والعجائب ما يبين أن ذلك الذي سمعه لا يقدر على التكلم به الا الله وأما المسيح فلم يكن بين كلامه وصوته طول عمره وكلام سائر الناس فرق يدل على أنه نبي فضلا عن أن يدل على أنه اله. وانما علم أنه نبي بادلة منفصلة ولم يكن حاله يختلف مع أنهم يقولون إن الاتحاد ملازم له من حين خلق ناسوته فى بطن أمه مريم والى الابد لا يفارق اللاهوت لذلك الناسوت أبداً. وحينئذ فمن المعلوم أن خطابه للناس ان كان خطاب رب العالمين لم يكن هو رسوله وان كان خطاب رسوله لم يكن ذلك صوت رب العالمين. الوجه الثاني أن خطابه خطاب رسول ونبي كما ثبت ذلك عنه فى عامة المواضع. الثالث أن مصير الشيئين شيئاً واحدا مع بقاهما على حالهما بدون الاستحالة والاختلاط ممتنع في صريح العقل وانما المعقول مع الاتحاد أن يستحيلا ويختلطا كالماء مع الخمر واللبن فانهما اذا صارا شيئاً واحدا استحالا واختلطا. الرابع أنه مع الاتحاد يصير الشيئان شيئاً واحدا فيكون الاله هو الرسول والرسول هو الاله اذ هذا هو هذا وان كان الاله غير الرسول فهما شيئان ومهما مثلوا به قولهم كتشبيههم ذلك بالنار فى الحديد والروح فى البدن فانه يدل على فساد قولهم فان الحديد متى طرق أو وضع في الماء كان ذلك مصيبا للنار وكذلك البدن اذا جاع أو صلب وتالم

كان ذلك الألم مصيبا للروح فيلزم أن يكون رب العالمين قـد أصابه الم الجوع والعطش وكذلك الضرب والصلب على قولهم وهذاشر من قول اليهود انه فقير وانه بخيل وانه مسه اللغوب

(فصل) وان كان مقصودهم الاحتجاج بذلك على المسلمين • قيل لهم اولا هذه حجة جدلية فما مستندكم فيما بينكم وبين الله في تصديق شخص وتكذيب آخر مع ان دلالة الصدق فيهما واحدة بل هي في الذي كذبتموه اظهر ؟ فان كانت حقا لزم تصديق من كذبتموه وفسد دينكم • وان كانت باطلة بطل استدلالكم بها على دينكم فثبت انهم مع تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم لايستقيم لهم الاستدلال بكلام احد من الانبياء عليهم السلام • وقيل لهم ثانيا المسلمون انما عرفوا صدق هؤلآء الانبياء بمادلهم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فان لم يكن محمد صادقاً لم يعرفوا صدق هوءلآء فيبطل دليلكم • وان كان صادقاً بطل دين النصارى فيبطل دليل صحته فثبت بطلان دليلهم على كل تقدير وقيل لهم ثالثاً المسلمون لم يصدقوا نبوة احد من هوءلآء الا مع نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وان قيل انهم عرفوا ذلك بطريق آخر فان الدليل الذى يدل على صدق واحد منهم يدل على صدق محمد بطريق الاولى فلا يمكنهم تصديق نبيء مع تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل لهم رابعاً هم انما يصدقون بموسى وعيسى الذين بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم • فان كان قد بشرا به فثبتت نبوته وان لم يكونا بشرا به فهم لايوءمنون الا بالمبشرين به • وبالتوراة والانجيل الذين هو مكتوب فيهما فان قدر عدم ذلك فهم لايسلمون وجود موسى وعيسى

وتوراة وانجيل منزلين من الله ليس فيهما ذكره صلى الله عليه وسلم
وان قالوا نحن صدقنا هؤلاء الانبياء بلا علم انا بصدقهم وطريق يدل
على صدقهم لان هذا دين ابائنا وجدناهم يعظمون هؤلاء ، ويقولون
هم انبياء فاتبعنا اباءنا في ذلك من غير علم وهذا هو الواقع من اكثرهم
قيل فاذا كان هذا قولكم في الانبياء وفيما شهدوا به ان كانوا شهدوا
فيلزم ان لا يكونوا عالمين به بل متبعين فيه لابائهم بغير علم بطريق
الاولى وبهذا يحصل المقصود وهو ان ما انتم عليه من اعتقاد دين
النصرانية لاعلم لكم به ولا دليل لكم على صحته بل انتم فيه متبعون
لابائكم كاتباع اليهود والمشركين لابائهم ولا ريب ان هذا حال النصارى
ولهذا سماهم الله ضلالا في قوله (ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من
قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سوآء السبيل) وقال تعالى (وينذر الذين
قالوا اتخذ الله ولداً مالهم به من علم ولا لابآئهم كبرت كلمة تخرج من
افواههم) وقال تعالى (وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من
علم) وقال تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب)
ولهذا كان النصارى معروفين بالجهل والضلال كان اليهود معروفون
بالظلم والقسوة والعناد فتبين بما ذكرناه انه لايمكنهم مع تكذيب محمد
صلى الله عليه وسلم في كلمة واحدة الاحتجاج بقول احد من الانبياء
على شيء من دينهم ولا دين غيرهم

(فصل) واما كون القرآن انزل باللسان العربي وحده فعنه اجوبة
احدها ان يقال والتوراة انما انزلت باللسان العبرى وحده وموسى
عليه السلام لم يكن يتكلم الا بالعبرية وكذلك المسيح لم يكن يتكلم

بالتوراة والانجيل وغيرهما الا بالعبرية ثم وكذلك سائر الكتب لاينزلها الله الا بلسان واحد بلسان الذي انزلت عليه ولسان قومه الذين يخاطبهم اولا • وسائر الانبياء انما يخاطبون الناس بلسان قومهم الذي يعرفونه اولا ثم بعد ذلك تبلغ الكتب • وكلام الانبياء لسائر الامم • اما بان يترجم لمن لا يعرف لسان ذلك الكتاب • واما بان يتعلم الناس لسان ذلك الكتاب فيعرفون معانيه وإما بان يبين المرسل اليه معاني ما أرسل به الرسول اليه بلسانه وان لم يعرف سائر ما أرسل به • وقد أخبر الله في القرآن ما قالته الرسل لقومهم وما قالوا لهم واكثرهم لم يكونوا عربا وأنزله الله باللسان العربي وحينئذ فان شرط التكليف تمكن العباد من فهم ما ارسل به الرسول اليهم • وذلك يحصل بان يرسل بلسان يُعرف به مراده ثم جميع الناس متمكنون من معرفة مراده بان يعرفوا ذلك اللسان أو يعرفوا معنى الكتاب بترجمة من يترجم معناه وهذا مقدور للعباد ومن لم يمكنه فهم كلام الرسول الا بتعلم اللغة التي أرسل بها • وجب عليه ذلك • فان مالا يتم الواجب الا به فهو واجب بخلاف مالا يتم الوجوب الا به فانه ليس بواجب ولا يكلف الله نفسا الا وسعها لا في الاصل ولا في التمام . فلا نحتاج أن نقول مالا يتم الواجب الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب فان ما ليس مقدورا عليه لا يكلف به العباد بل وقد يكون مقدورا عليه ولا يكلفون به فلما كانت الاستطاعة شرطا في وجوب الحج لم يجب تحصيل الاستطاعة بخلاف قطع المسافة فانه ليس شرطا في الوجوب . فلهذا يجب على الانسان الحج من المسافة

البعيدة والقريبة اذا كان مستطيعا • وجمهور الناس لا يعرفون معاني الكتب الالهية التوراة والانجيل والقرآن الا بمن يبينها ويفسرها لهم وان كانوا يعرفون اللغة فهؤلاء يجب عليهم طلب علم ما يعرفون به ما أمرهم الله به ونهاهم عنه وهذا هو طلب العلم المفروض على الخلق وكذلك ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم من معاني الكتاب الذى انزله الله عليه يجب على الخلق طلب علم ذلك ممن يعرفه اذا كان معرفة ذلك لا تحصل بمجرد اللسان . كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال تفسير القرآن على أربعة أوجه تفسير تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله تبارك وتعالى فمن ادعى علمه فهو كاذب والله تعالى قال (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء) لم يقل وما ارسلنا من رسول الا الى قومه لكن لم يرسله الا بلسان قومه الذين خاطبهم أولا ليبين لقومه • فاذا بين لقومه ما اراده حصل بذلك المقصود لهم ولغيرهم فان قومه الذين بلغ اليهم اولا يمكنهم ان يبلغوا عنه اللفظ ويمكنهم ان ينقلوا عنه المعنى لمن لا يعرف اللغة ويمكن غيرهم ان يتعلم منهم لسانه فيعرف مراده • فالحجة تقوم على الخلق ويحصل لهم الهدى بمن ينقل عن الرسول تارة المعنى وتارة اللفظ ولهذا يجوز نقل حديثه بالمعنى والقرآن يجوز ترجمة معانيه لمن لا يعرف العربية باتفاق العلماء • وجوّز بعضهم أن يُقرأ بغير العربية عند العجز عن قراءته بالعربية • وبعضهم جوزه مطلقاً وجمهور العلماء منعوا أن يقرأ بغير العربية وان جاز ان يترجم للتفهيم بغير العربية كما يجوز تفسيره وبيان معانيه • وان كان

التفسير ليس قرآنا متلوا وكذلك الترجمة وقد قال النبي صلي الله عليه وسلم نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه الى من لم يسمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه وقال ايضاً في الحديث الصحيح مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة امسكت الماء فنفع الله به الناس فزرعوا وسقوا • وكانت منها طائفة انما هي قيعان لاتمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من تفقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به • فدعى النبي صلي الله عليه وسلم لمن يبلغ حديثه وان لم يتفقه وقال رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه • وقد كانت العارفون باللغة العربية حين بعث الله محمداً صلي الله عليه وسلم انما يوجدون في جزيرة العرب وما والاها كارض الحجاز واليمن وبعض الشام والعراق ثم انتشر فصار اكثر الساكنين في وسط المعمورة يعرفون العربية حتى اليهود والنصاري الموجودون في وسط الارض يتكلمون بالعربية كما يتكلم بها اكثر المسلمين بل كثير من اليهود والنصارى يتكلمون بالعربية اجود مما يتكلم بها كثير من المسلمين وقد انتشرت هذه اللغة اكثر مما انتشرت سائر اللغات حتى ان الكتب القديمة من كتب اهل الكتاب ومن كتب الفرس والهند واليونان والقبط وغيرهم عربت بهذه اللغة • ومعرفة الكتب المصنفة بالعربية والكلام العربي ايسر على جمهور الناس من معرفة الكتب المصنفة بغير العربية فان اللسان العبرى والسرياني والرومي والقبطي وغيرها وان عرفه

طائفة من الناس فالذين يعرفون اللسان العربي اكثر ممن يعرف لسانا من هذه الالسنة • وايضاً فمعرفة ما امر الله به عباده امراً عاما هو مما نقلته الامة عن نبيها محمد صلي الله عليه وسلم نقلا متواتراً واجمعت عليه مثل الامر بشهادة ان لااله الا الله وان محمداً رسول الله وانه ارسل الى جميع الناس اميهم وغير أميهم واقام الصلوات الخمس وايتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت العتيق من استطاع اليه سبيلا وايجاب الصدق وتحريم الفواحش والظلم والامر بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت هو مايعرفه المسلمون معرفة عامة ولا يحتاج الانسان فى معرفة ذلك الى ان يحفظ القرآن بل يمكن الانسان معرفة ما أمر الله به على لسان رسوله وان لم يعرف اللغة العربية ويكفيه أن يقرأ فاتحة الكتاب وسورا معها يصلى بهن وكثير من الفرس والروم والترك والهند والحبشة والبربر وغيرهم لا يعرفون أن يتكلموا بالعربية الكلام المعتاد وقد أسلموا وصاروا من اولياء الله المتقين • ومنهم من يحفظ القرآن كله واذا كلم الناس لا يستطيع ان يكلمهم الا بلسانه لا بالعربية واذا خوطب بالعربية لم يفقه ما قيل له • الوجه الثانى ان المسيح عليه السلام كان لسانه عبريا وكذلك السنة الحواريين الذين اتبعوه اولا ثم انه ارسلهم الى الامم يخاطبونهم ويترجمون لهم ما قاله المسيح عليه السلام فان قالوا ان رسل المسيح حولت السنتهم الى السنة من ارسل اليهم • قيل هذا منقول فى رسل المسيح وفي رسل محمد صلى الله عليهما وسلم الذين ارسلهم الى الامم ولا ريب أن رسل رسل الله كرسل محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام الى الامم لابد ان يعرفوا لسان من أرسلهم الرسول

اليهم أو أن يكون عند اؤلئك من يفهم لسانهم ولسان الرسول ليترجم لهم فاذا لم يكن عند من أرسل المسيح اليهم من يعرف بالعربية فلابد أن يكون رسوله ينطق بلسانهم • وكذلك رسل النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم الى الامم فان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية أرسل رسله الى أهل الارض فبعث الى ملوك العرب باليمن والحجاز والشام والعراق وأرسل الى ملوك النصاري بالشام ومصر قبطهم وروميهم وعربهم وعبرهم وغيرهم وأرسل الى الفرس المجوس ملوك العراق وخراسان • قال محمد بن سعد فى الطبقات ذكر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرسل بكتبه الى الملوك وغيرهم يدعوهم وذكر ما كتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم لناس من العرب وغيرهم • ثم قال اخبرنا محمد بن عمرو الاسلمى قال حدثنى محمد بن معمر بن راشد ومحمد بن عبد الله عن الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله عن ابن عباس قال وعن الواقدي حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن المسور ابن رفاعة وحدثنا عبد الحميد بن جعفر عن ابيه عن جدته الشفا وحدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد عن العلاء بن الحضرمي وحدثنا ابن محمد الانصاري عن جعفر ابن عمرو ابن جعفر ابن عمرو بن أمية الضيمرى عن أهله عن عمرو بن أمية الضيمرى دخل حديث بعضهم فى حديث بعض قالوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست أرسل الى الملوك يدعوهم الى الاسلام وكتب اليهم كتبا فقيل يارسول الله ان الملوك لا يقرؤن كتابا الا مختوما فاتخذ رسول الله صلى

الله عليه وسلم يومئذ خاتما من فضة فصه منه نقشه ثلاثة أسطر محمد رسول الله وختم به الكتب نخرج ستة نفر منهم في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع وأصبح كل واحد منهم يتكلم باسان القوم الذين بعثه اليهم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل دحية ابن خليفة الكلبي والى المقوقس صاحب مصر والاسكندرية حاطب بن ابي بلتعة والى كسري عبد الله بن حذافة السهمي وأرسل الى الحارث بن أبي شمر الغساني وكان نصرانياً بظاهر دمشق فبعث اليه شجاع بن ذهب الاسدي وأرسل الى غير هؤلاء وقال ايضا اخبرنا الهيثم بن عدي قال أخبرنا دلهم بن صالح وأبو بكر الهذلي عن عبد الله بن بريدة بن الحصيب الاسلمي قال وحدثنا محمد بن اسحق عن يزيد ابن رومان والزهري وحدثنا الحسن بن عمارة عن فراش عن الشعبي دخل حديث بعضهم في حديث بعض ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ائتوني باجمعكم بالغداة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الفجر يجلس في مصلاه قليلا يسبح ويدعو ثم التفت اليهم فبعث عدة الى عدة وقال صلى الله عليه وسلم انصحوا لله في امر عباده فان من اخبر عن شيء من امور المسلمين ثم لم ينصح حرم الله عليه الجنة انطلقوا ولا تصنعوا كما صنعت رسل عيسى بن مريم فانهم اتوا القريب وتركوا البعيد فاصبحوا يعني الرسل وكل منهم يعرف باسان القوم الذين ارسل اليهم وذكر ذلك لنبي صلى الله عليه وسلم فقال هذا اعظم ما كان من حق الله عز وجل عليهم في امر عباده • الوجه الثالث ان النصارى فيهم عرب كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكل من يفهم اللسان

العربي فانه يمكن فهمه للقرآن وان كان اصل لسانه فارسيا او روميا او تركيا او هنديا او قبطيا وهؤلاء الذين ارسلوا هذا الكتاب من علماء النصارى قد قرؤا المصحف وفهموا منه ما فهموا وهم يفهمونه بالعربية واحتجوا بآيات من القرآن فكيف يسوغ لهم مع هذا ان يقولوا كيف تقوم الحجة علينا بكتاب لم نفهمه • الوجه الرابع ان حكم اهل الكتاب في ذلك حكم المشركين ومعلوم ان المشركين فيهم عرب وفيهم عجم (ترك وهند وغيرها) فكما ان جميع المشركين كمشركي العرب وكذلك جميع اهل الكتاب كاهل الكتاب من العرب وفي اليهود والنصارى ممن يعرف لسان العرب من لا يحصيه الا الله عز وجل • الوجه الخامس انه ليس فهم كل آية من القرآن فرضاً على كل مسلم وانما يجب على المسلم ان يعلم ما أمره الله به وما نهاه عنه بأي عبارة كانت وهذا ممكن لجميع الامم ولهذا دخل في الاسلام جميع اصناف العجم من الفرس والترك والهند والصقالبة والبربر ومن هؤلاء من يعلم اللسان العربي ومنهم من يعلم ما فرض الله عليه بالترجمة وقد قدمنا انه يجوز ترجمة القرآن في غير الصلاة والتعبير كما يجوز تفسيره باتفاق المسلمين وانما تنازعوا هل يقرأ بغير العربية تلاوة كما يقرأ في الصلاة فجمهور العلماء منعوا من ذلك وحينئذ فاذا قرا الاعجمي فاتحة الكتاب وسورتين معها بالعربية اجزاه وكذلك التشهد وغيره من الذكر المأمور به وهذا امر يسيرا يسير من اكثر الواجبات فكيف يمتنع ان يأمر الله تبارك وتعالى عباده بذلك وأما جمل ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم من الصلاة والزكاة والصوم والحج وصدق الحديث وأداء الامانة وصلة

الرحم وما حرمه الله من الشرك والفواحش والظلم وغير ذلك فهذا مما يمكن أن يعرفه كل أحد بتعريف من يعرفه اما باللسان العربي واما بلسان آخر لا يتوقف تعريف ذلك على لسان العرب

(فصل) واما قوله تعالى (انا أنزلناه قرآنا عربيــاً لعلكم تعقلون) وقوله (ولو جعلناه قرآنا أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي) وقوله (انا جعلناه قرآنا عربياً) فهذا يتضمن انعام الله به على عباده لان اللسان العربي أكمل الالسنة واحسنها بيانا للمعاني فنزول الكتاب به اعظم نعمة على الخلق من نزوله بغيره وهو انما خوطب به أولا العرب ليفهموه ثم من يعلم لغتهم يفهمه كما فهموه ثم من لم يعلم لغتهم ترجمه له من عرف لغتهم وكان اقامة الحجة به على العرب اولا والانعام به عليهم أولا لمعرفتهم بمعانيه قبل أن يعرفه غيرهم قال تعالى (فانمــا يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا) واللد جمع الالد وهو الاعوج في المناظرة الذي يروغ عن الحق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان أبغض الرجال الى الله الالد الخصم وأما قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فهو كما قال تعــالى وقوم محمد صلى الله عليه وسلم هم قريش وبلسانهم أرسل وهو سبحانه لم يقل وما أرسلنا من رسول الا الى قومــه بل الرسول يبعثه الله الى قومه وغير قومه كما تقول النصارى أنه بعث المسيح عليه الســلام أو الحواريون الى غير بني اسرائيل وليسوا من قومه وكذلك بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى قومه وغير قومه ولكن انما يبعث بلسان قومه ليبين لهم ثم يحصل البيان لغيرهم بتوسط البيان لهم اما بلغتهم ولسانهم

واما بالترجمة لهم ولو لم يبين لقومه أولا لم يحصل مقصود الرسالة لا لهم ولا لغيرهم واذا تبين لقومه أولا حصل البيان لهم ولغيرهم بتوسطهم وقومه اليهم بعث أولاً ولهم دعى أولا وانذر أوّلا وليس في هذا انه لم يرسل الى غيرهم لكن اذا تبين لقومه لكونه بلسانهم أمكن بعد هذا ان يعرفه غير قومه اما بتعلمه بلسانهم واما بتعريف بلسان يفهم به والرجل يكتب كتاب علم فى طب أو نحو أو حساب بلسان قومه ثم يترجم ذلك الكتاب وينقل الى لغات أخر وينتفع به أقوام آخرون كما ترجمت كتب الطب والحساب التى صنعت بغير العربى وانتفع بها العرب وعرفوا مراد أصحابها وان كان المصنف لها أولا انما صنفها بلسان قومه واذا كان هذا في بيان الامور التى لا تتعلق بها سعادة الاخرة والنجاة من عذاب الله فكيف يمتنع في العلوم التى تتعلق بها سعادة الاخرة والنجاة من العذاب أن ينقل من لسان الى لسان حتى يفهم اهل اللسان الثانى بها ما اراده بها المتكلم بها اولا باللسان الاول وابناء فارس المسلمون لما كان لهم عناية بهذا ترجموا مصاحف كثيرة فيكتبونها بالعربي ويكتبون الترجمة بالفارسية وكانوا قبل الاسلام ابعد عن المسلمين من الروم والنصارى فاذا كان الفرس المجوس قد وصل اليهم معانى القرآن بالعربى وترجمته فكيف لا يصل الى اهل الكتاب وهم اقرب الى المسلمين منهم وعامة الاصول التي يذكرها القرآن عندهم شواهدها ونظائرها في التوراة والانجيل والزبور وغير ذلك من النبوات بل كل من تدبر بنبوات الانبياء وتدبر القرآن جزم جزماً يقينياً بأن محمداً رسول الله حقاً وان موسى رسول الله صدقاً لما يرى

من تصادق الكتابين التوراة والقرآن مع العلم بأن موسى عليه السلام لم يأخذ عن محمد صلى الله عليه وسلم وان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يأخذ عن موسى فان محمداً صلى الله عليه وسلم باتفاق اهل المعرفة بحاله كان امياً من قوم اميين مقيما بمكة ولم يكن عندهم من يحفظ التوراة ولا الانجيل ولا الزبور ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يخرج من بين ظهرانيهم ولم يسافر قط الاسفرتين الى الشام خرج مرة مع عمه ابي طالب قبل الاحتلام ولم يكن يفارقه ومرة اخرى مع ميسرة في تجارته وكان ابن بضع وعشرين سنة معرفقة كانوا يعرفون جميع احواله ولم يجتمع قط بعالم اخذ عنه شيئاً لا من علماء اليهود ولا النصارى ولا من غيرهم لا بحيرا ولا غيره ولكن كان بحيرا الراهب لما رآه عرفه لما كان عنده من ذكره ونعته فاخبر اهله بذلك وامرهم بحفظه من اليهود ولم يتعلم لا من بحيرا ولا من غيره كلمة واحدة وسنبين ان شاء الله الدلائل الكثيرة على انه لم يأخذ عن احد من اهل الكتاب كلمة واحدة وقصة بحيرا مذكورة ذكرها ارباب السير واصحاب المسانيد والسنن قال الحافظ ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى فى جامعه حدثنا الفضل ابو العباس البغدادي قال حدثنا عبد الرحمن بن غزوان ابو نوح انا يونس ابن ابي اسحق عن ابى بكر بن ابي موسى الاشعرى عن ابيه قال خرج ابوطالب الى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم فى اشياخ من قريش فلما اشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت قال فهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ

بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش ماعلمك فقال انكم حين اشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الاّ خرّ ساجدا ولا يسجدن الا لنبي واني اعرفه بخاتم النبوة اسفل من غرضوف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما اتاهم به وكان هو فى رعية الابل فقال ارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله فلما دنى من القوم وجدهم قد سبقوه الي فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا الي فيء الشجرة مال عليه ٠ قال فبينما هو قائم عليهم يناشدهم ان لايذهبوا به الى الروم فان الروم ان رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فاذا بسبعة قد اقبلوا من الروم فاستقبلهم الراهب فقال ماجاء بكم؟ قالوا جئنا لان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه باناس وانا قد أخبرنا خبره بطريقك هذه . فقال افرأيتم امرا اراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده؟ قالوا لا. قال فتابعوه واقاموا معه قال انشدكم الله يامعشر العرب ايكم وليه؟ فقال ابو طالب انا . فلم يزل يناشده حتى رده ابوطالب وزوده الراهب من الكعك والزيت . قال الترمذى هذا حديث حسن غريب لانعرفه الا من هذا الوجه. ورواه البيهقي فى كتاب دلائل النبوة من حديث العباس بن محمد عن قراد بن نوح . وقال العباس لم يحدث به يعنى بهذا الاسناد غير قراد وسمعه يحيي واحمد بن قراد قال البيهقى اراد انه لم يحدث بهذا الاسناد سوى هؤلاء فأما القصة فهي عند اهل المغازى مشهورة . وقال بن سعد في الطبقات حدثنا محمد بن عمر

قال حدثني محمـد بن صالح وعبد الله بن جعفر وابراهيم بن اسماعيل ابن ابي حبيبة عن داود بن الحصين قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم إثنى عشر سـنة خرج به ابو طالب الى الشام فى العير التى خرج فيها للتجارة فنزلوا بالراهب بحيرا . فقال بحيرا لابى طالب في النبى صلى الله عليه وسلم ماقال وامره ان يحتفظ به فرده ابو طالب معه الى مكة وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابى طالب يكلاءه الله ويحفظه ويحوطه من امور الجاهلية ومعائبها لما يريده به من كرامته حتى بلغ ان كان رجلا افضل قومه مروءة واحسنهم خلقا واكرمهم مخالطة واعظمهم حلما وامانة واصدقهم حديثاً وابعدهم من الفحش والاذى مارؤى ملاحيا ولا مماريا احدا حتى سماه قومه الامين لما جمع فيه من الامور الصالحة. وقال ابن الجوزى خرج ابو طالب الى الشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن اثنى عشر سنة وشهرين وعشرة أيام فنزل الركب ببصرى وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له وكان ذا علم بالنصرانية ولم يزل في تلك الصومعة راهب تنتهي اليـه علم النصرانية صاغرا عن كابر وفيها كتب يدرسونها وكان كثيراما يمر به الركب فلا يكلمهم حتى اذا كان في ذلك العام نزلوا منزلا قريبا من الصومعة فصنع لهم الراهب طعاما ودعاهم. وانما حمله على ذلك شيء رآه فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وأمر بذلك الطعام فحضر وارسل الى القوم فقال يامعشر قريش احب ان تحضروا طعامي ولا تخلف منكم احـد فقال وهذا شيء تكرمونى به فلما حضروا عنده جعل يلاحظ النبى صلى الله عليه وسلم لحظا شديدا وينظر الى جسده وجعل ابو طالب يخاف عليه

من الراهب ثم قال الراهب لابي طالب ارجع بابن اخيك فانه كائن له شأن عظيم .فانا نجد صفته فى كتبنا ونرويه عن ابائنا. فلما فرغوا من التجارة رجع به ابو طالب سريعاً الى مكة فما خرج بعدها به ابو طالب خوفا عليه. هذا مع ان فى القرآن من الرد على اهل الكتاب في بعض ماحرفوه مثل دعواهم ان المسيح عليه السلام صلب . وقول بعضهم انه اله . وقول بعضهم انه ساحر . وطعنهم على سليمان عليه السلام وقولهم انه كان ساحرا وامثال ذلك مما يبين انه لم يأخذه عنهم . وفي القرآن من قصص الانبياء عليهم السلام مالايوجد فى التوراة ولا في الانجيل مثل قصة هود وصالح وشعيب وغير ذلك . وفي القرآن من ذكر المعاد وتفصيله وصفة الجنة والنار والنعيم والعذاب مالايوجد مثله في التوراة والانجيل بل التوراة ليس فيها تصريح بذكر المعاد وعامة ما فيها من الوعد والوعيد نهو في الدنيا كالوعد بالرزق والنصر والعاقبة والوعيد بالقحط والامراض والاعداء . وان كان ذكر المعاد موجودا في غير التوراة من النبوات ولهذا كان اهل الكتاب يقرون بالمعاد وقيام القيامة الكبرى وقد قيل ان ذلك مذكور في التوراة أيضا لكن لم يبسط كما بسط فى غير التوراة

(فصل) فان قالوا ان الكتب التى عندنا من التوراة والانجيل وغيرها ترجمها لنا الحواريون وهم عندنا رسل معصومون وترجموها لجميع الامم بخلاف القرآن فانه انما يترجمه من ليس بمعصوم . فمن هذا أجوبة . أحدها أن هذا كذب بيّن فان من العرب من النصارى من لا يحصى عدده الا الله تعالى وكان فيهم نصارى كثيرون تنصروا قبل مبعث

محمد صلى الله عليه وسلم وكان فيهم قوم على دين المسيح الذى لم يبدل وهم مؤمنون من أهل الجنة كسائر من كان على دين المسيح عليه السلام فان كل من كان على دين المسيح الذى لم يبدل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه مؤمن مسلم من أهل الجنة . ومع هذا فليس على وجه الارض توراة ولا انجيل معرب من عهد الحواريين بل التوراة العبرية تنقل من اللسان العبرى أو غيره الى العربية . وكذلك الانجيل ينقل من اللسان الرومي أو السرياني أو اليوناني أو غيره الى اللغة العربية فلو كان عند كل أمة من الامم تورات وانجيل ونبوات بلسانهم لكان نصارى العرب احق بهذا من نصارى الحبشة والصقالبة والهند. فانهم جيران البيت المقدس وهم بنو اسماعيل عليه السلام والاناجيل عندهم أربعة وهم يدعون أن كل واحد كتبها باسانه. كتبت بلسان العبرى والرومي واليوناني مع أن فى بعض الاناجيل ما ليس في بعض . مثل قولهم عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس الذى جعلوه اصل دينهم . وهذا انما هو قوله في انجيل متى واذا كان كل واحد من الاربعة كتب انجيلا بلسانه لم يكن هناك انجيل واحد اصلى ترجع اليه الاناجيل كلها ثم انهم مع هذا يدعون انها ترجمت باثنين وسبعين لسانا وهذا فيه من الكذب والتناقض أمور سننبه ان شاء الله على بعضها لكن غاية ما يدعون انه ترجم باثنين وسبعين لسانا. ومعلوم أن الالسنة الموجودة في بني آدم في جميع المعمورة فى زماننا وقبل زماننا اكثر من هذا كما يعرفه من عرف أحوال العالم بل اللسان الواحد كالعربى والفارسي والتركى جنس تحته أنواع مختلفة لايفهم بعضهم لسان بعض الا ان يتعلمه منهم. والعرب اقرب الامم الى

بنى اسحاق بنى اسرائيل والعيص. فانهم بنوا اسماعيل وجيرانهم فان اهل الحجاز جيران الشام ومكة لم تزل تحج اليها العرب ولم يكن قط عند العرب توراة ولا انجيل عربيان من عهد المسيح عليه السلام بل ولا كان بمكة لاتوراة ولا انجيل لامعرب ولا غير معرب ولهذا قال تعالى (لتنـذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك) فكيف يدعى ان التوراة والانجيل ترجمهما الحواريون لكل قوم من جميع بنى آدم شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بلسان يفهمونه به وهل يقول هـذا الا من هو من اكذب الناس واجهلهم • الوجه الثاني ان يقال ترجمة الكلام من لغة الى لغة لاتحتاج الى معصوم بل هـذا امر تعلمه الامم فكل من عرف اللسانين امكنه الترجمة ويحصل العلم بذلك اذا كان المترجمون كثيرين متفرقين لايتواطئون على الكذب وبقرائن تقترن بخبر احدهم وبغير ذلك وهذا موجود معلوم بل اذا ترجمه اثنان كل منهما لايعرف ما يقوله الآخر لم يتواطئا حصل بذلك المقصود فى الغالب وهم يذكرون ان التوراة ترجمها اثنان وسبعون حبرا من اليهود ولم يكونوا معصومين وان الملك فرقهم لئلا يتواطئوا على الكذب واتفقوا على ترجمة واحدة وهذا كان بعد الخراب الاول فهكذا يمكن ترجمة غير التوراة وهـذه التوراة فى زماننا والانجيل والزبور يترجم باللغة العربية ويعرف المقصود به بلا ريب فكيف بالقران الذى يفهم اهله معناه ويفسرونه ويترجمونه اكمل واحسن مما يترجم اهل التوراة والانجيل التوراة والانجيل • الوجه الثالث ان دعوى العصمة فى كل واحد من الحواريين وانهم رسل الله بمنزلة ابراهيم وموسى عليهما السلام دعوى ممنوعة وهى باطلة وانما هم

رسل المسيح عليه السلام بمنزلة رسل موسى ورسل ابراهيم ورسل محمد صلى الله عليهم وسلم واكثر النصارى او كثير منهم او كلهم يقولون هم رسل الله وليسوا بانبياء وكل من ليس بنبي فليس برسول الله وليس بمعصوم وان كانت له خوارق عادات كاولياء الله من المسلمين وغيرهم فانه وان كانت لهم كرامات من الخوارق فليسوا معصومين من الخطأ والخوارق التي تجرى على يدى غير الانبياء لاتدل على ان اصحابها اولياء الله عند اكثر العلماء فضلا عن كونهم معصومين ٠ فان ولى الله من يموت على الايمان. ومجرد الخوارق لاتدل على انه يموت على الايمان بل قد يتغير عن ذلك الحال واذا قطعنا بان الرجل ولى الله كمن اخبر النبي بانه من اهل الجنة فلا يجب الايمان بكل مايقوله ان لم يوافق ماقالته الانبياء بخلاف الانبياء عليهم السلام فانهم معصومون لايجوز ان يستقر فيما يبلغونه خطأ . ولهذا اوجب الله الايمان بهم ومن كفر بواحد منهم فهو كافر ومن يسب واحدا منهم وجب قتله في شرع الاسلام كما قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وقال تعالي (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) وهذا مبسوط في موضع آخر

(فصل) واما قولهم لا يلزمنا اتباعه لانا نحن قد اتانا رسل من قبله خاطبونا بالسنتنا وانذرونا بديننا الذى نحن متمسكون به يومنا هذا وسلموا الينا التوراة والانجيل بلغاتنا على مايشهد لهما الكتاب الذى اتي به هذا حيث يقول فى سورة ابراهيم (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) وقال فى سورة النحل (ولقد بعثنا فى كل امة رسولا) فالجواب عنه من وجوه احدها ان اثبات رسول من قبله اليكم لايمنع اتيان رسول ثان فان بنى اسرائيل قد بعث الله اليهم موسى عليه السلام وكانوا على شريعة التوراة ثم بعث الله تبارك وتعالى اليهم المسيح عليه السلام وجب عليهم الايمان به ومن لم يؤمن به كان كافراً وان قال انى متمسك بالكتاب الذى انزل الي . فكذلك اذا ارسل الله رسولا بعد المسيح وجب الايمان به ومن لم يؤمن به كان كافراً كما ان من لم يؤمن بالمسيح من بنى اسرائيل كان كافراً وبنوا اسرائيل اكثر اختصاصا بموسى والتوراة من الروم وغيرهم فالمسيح والانجيل فانهم كانوا عبرانيين والتوراة عبرانية . الوجه الثانى دعواهم انهم متمسكون فى هذا الوقت بالدين الذى نقله الحواريون عن المسيح عليه السلام كذب ظاهر بل هم عامة ماهم عليه من الدين عقائده وشرائعه كالامانة والصلاة الى المشرق واتخاذ الصور والتماثيل فى الكنائس واتخاذها وسائط والاستشفاع باصحابها وجعل الاعياد باسمائهم وبناء الكنائس على اسمائهم واستحلال الخنزير وترك الختان والرهبانية وجعل الصيام فى الربيع وجعله خمسين يوما والصلوات والقرابين والناموس لم ينقله الحواريون عن المسيح ولاهو موجود لافى التوراة ولافى الانجيل وانما هم متمسكون بقليل مما جاءت به الانبياء . واما كفرياتهم وبدعهم

فكثيرة جداً ولا ينقل احد عن المسيح والحواريين انهم امروهم ان يقولوا ما يقولونه فى صلاتهم السحرية تعالوا بنا نسجد للمسيح إلهنا وفى الصلاة الثانية والثالثة ياوالدة الاله مريم العذراء افتحي لنا ابواب الرحمة . الوجه الثالث قولهم انهم سلموا اليهم التوراة والانجيل بلغاتهم انما يستقيم ان كان صحيحا فى بعض النصارى لافى جميعهم فان العرب من النصارى وغير العرب لم يسلم احد اليهم توراة ولا انجيلا بلسانهم وهذا امر معروف ولا يوجد قط توراة ولا انجيل معرب من زمن الحواريين وانما عربت فى الازمان المتأخرة . فاذا كانت النصاري من العرب تقوم عليهم الحجة قبل محمد صلى الله عليه وسلم بكتاب نزل بغير لسانهم ثم عرب لهم فكيف لاتقوم على الروم وغيرهم الحجة بكتاب نزل بغير لسانهم ثم ترجم بلسانهم . الوجه الرابع ان يقال الامة اذا غيرت دين رسولها الذى ارسل اليها وبدلته ارسل الله اليها من يدعوها الى الدين الذى يحبه الله ويرضاه ٠ كما ان بنى اسرائيل لما غيروا دين موسى وبدلوه بعث الله اليهم والى غيرهم المسيح بالدين الذى يحبه الله وكذلك النصارى لما بدلوا دين المسيح وغيروه بعث الله اليهم والى غيرهم محمداً صلى الله عليه وسلم بالدين الذى يحبه ويرضاه وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب واولئك البقايا الذين كانوا متمسكين بدين المسيح قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم كانوا على دين الله عز وجل. وأما من حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم فمن لم يؤمن به فهو من اهل النار كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح

والذى نفسى بيده لايسمع بى احد من هذه الامة يهودى ولانصرانى ثم يموت ولايؤمن بالذى ارسلت به إلا كان من اصحاب النار . الوجه الخامس ان يقال دعواهم ان الرسل سلموا اليهم التوراة والانجيل وسائر النبوات باثنين وسبعين لسانا وانها باقية الى اليوم على لفظ واحد دعوى يعلم ان قائلها يتكلم بلا علم بل مفتر كاذب وذلك ان هذا يقتضى انه الآن فى الارض هذه الكتب باثنين وسبعين لسانا كلها منقولة عن الحواريين وكلها متفقة غير مختلفة البتة فهذا اربع دعاوى انها موجودة باثنين وسبعين لساناً . وانها متفقة . وانها كلها منقولة عن الحواريين • الرابعة انهم معصومون • فيقال من الذى منكم لو قدر ان هذه الكتب التى باثنين وسبعين لسانا هى عن الحواريين • وهى موجودة اليوم فمن الذى يمكنه ان يشهد بموافقة بعضها بعضا وذلك لا يمكن الا لمن يعلم الاثنين وسبعين لسانا ويكون ماعنده من الكتب يعلم انما هى ماخوذة عن الحواريين ويعلم ان كل نسخة فى العالم بذلك اللسان توافق النسخة التي عنده والا فلو جمع اثنين وسبعين نسخة باثنين وسبعين لسانا لم يعلم ان كل نسخة من هذه هي المأخوذة عن الحواريين ان قدر انه اخذ عنهم اثنين وسبعين لسانا . ولا يعلم ان كل نسخة فى العالم توافق تلك النسخة فانه من المعلوم انه فى زماننا وقبل زماننا لم تزل هذه الكتب تنقل من لسان الى لسان كما يترجم من العبرانية الى العربيــة ومن السريانية والرومية واليونانية الى العربية وغيرها، وحينئذ فاذا وجدت نسخة بالعربية لم يعلم انها مما عربت بعد الحواريين اوهى من المأخوذ عن الحواريين اذا قدر انه اخذ عنهم نسخة بالعربية ولا يمكن احداً

ان يجمع جميع النسخ المعربة ويقابل بينها • بل قدوجدناالنسخ المعربة يخالف بعضها بعضاً فى الترجمة مخالفة شديدة تمنع الثقة ببعضها وقد رأيت انا بالزبور عدة نسخ معربة بينها من الاختلاف مالا يكاد ينضبط وما يشهد بانها مبدلة مغيرة لا يوثق بها . ورأيت من التوراة المعربة من النسخ ما يكذب بكثير من ترجمتها طائفة من اهل الكتاب فكيف يمكنه ان يجمع جميع النسخ التى بالاثنين وسبعين لسانا ويقابل بين نسخ كل لسان حتى يكون فيها النسخة القديمة المأخوذة عن الحواريين ثم يقابل بين نسخ جميع الالسنة ولا يمكن ذلك الا لمن يكون عارفاً بالاثنين وسبعين لسانا معرفة تامة وليس في بني ادم من يقدر على ذلك ولو قدر وجود ذلك فلم يعرف ان القادر على ذلك فعل ذلك واخبرنا باتفاقها • ولو وجد ذلك لكان هذا خبر واحد وان يترجم كل لسان من يعلم صحة ترجمته حتى تنتهى الترجمة الى لسان واحد كالعربي مثلا ويعلم حينئذ اتفاقها . والا فاذا ترجم هذا الكتاب بلسان او لسانين او اكثر وترجم الآخر كذلك لم يعلم اتفاقها ان لم يعلم ان المعنى بهذا اللسان هو المعنى بهذا اللسان وهذا لا يكون الا ممن يعرف اللسانين او من ترجم له اللسانان باللسان الذي يعرفه ومعلوم ان احدا لم يترجم له الاثنان وسبعون لساناً بلسان واحد او السنة يعرفها ولا يعرف احد باثنين وسبعين لساناً . وحينئذ فالجزم باتفاق جميع الكتب المكتوبة باثنين وسبعين لسانا او الجزم بان نسخ كل لسان متفقة جزم بما لا يعلم صحته لو لم يكن فى الارض اليوم الاثنان وسبعون لسانا منقولة عن الحواريين لم تختلط بالمترجم بعد ذلك فكيف واكثر ما

بأيدى الناس هو مما يترجم بعد ذلك بالعربي وغيره هــذا اذا ثبت أن الحواريين سلموها باثنين وسبعين لسانا وانها باقية الى اليوم وهذا امر لا يمكن احدا معرفته • فليس اليوم توراة وانجيل ونبوات يشهد لها احد انها مترجمة باللسان العربى من عهد الحواريين بل ولا باكثر الالسنــة والا فاذا قدر ان الحواريين سلموها باثنين وسبعين لسانا مع حصول الترجمة بعد ذلك وكثرة المترجمات امكن وقوع التغيير فى بعض المترجمات وحينئذ فالعلم بان تلك النسخ القديمة لا تغيير فيها لا يمنع وقوع التغيير فى بعض ما ترجم بعدها أو فى بعض ما نسخ بعدها ولا سبيل الى العلم باتفاقها مع كونها باثنين وسبعين لسانا بخــلاف القرآن الذى هو بلسان العرب وخط العرب فان العلم باتفاق ما يوجــد من نسخه ممكن وهو محفوظ فى الصدور لا يحتاج الى حفظ فى الكتب فهو منقول بالتواتر لفظا وخطا • الوجه السادس قولهم وسلموا الينــا التوراة والانجيل بلساننا على ما يشهد لهما الكتاب الذي أتى به هذا • فيقال لهم ليس فى القرآن ما يشهد لكم بان التوراة والانجيــل سلمت اليكم بلسانكم فاستشهادكم بالقرآن على هــذه الدعوى من جنس استشهادكم به على ان دينكم حق • ومن جنس استشهادكم بالنبوات على ما احدثتموه وغيرتم به دين المسيح عليه السلام من التثليث والاتحاد وغير ذلك وقولهم حيث يقول الله (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) وقوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا) فيقال لاريب ان قوم موسى عليه السلام هم بنوا اسرآئيل وبلسانهم نزلت التوراة وكذلك بنوا اسرآئيل هم قوم المسيح عليه السلام وبلسانهم كان المسيح يتكلم فلم يخاطب واحــد من

الرسولين أحدا الا باللسان العبراني لم يتكلم احد منهما لا برومية ولا سريانية ولا يونانية ولا قبطية وقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) كلام مطلق عام كقوله (وان من أمة الا خلا فيها نذير) ليس في هذا تعرض • لكون التوراة والانجيل سلمت اليهم بالسنتهم • الوجه السابع ان يقال عمدتهم في هذه الحجة انهم يقولون الحواريون هم عندنا رسل الله كابراهيم وموسى • والمسيح عندنا هو الله وهو ارسل هؤلاء الينا فيجب ان يكونوا ارسلوا الينا بلساننا • وان يكونوا سلموا الينا التوراة والانجيل بلساننا • فيقال لهم هب انكم • تدعون هذا وتعتقدونه ونحن سنبين ان شاء الله تعالى ان هذه دعاوى باطلة لكن انتم في هذا المقام تذكرون ان هذا الكتاب الذي هو القران الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يشهد لكم بذلك وهذا كذب ظاهر على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى كتابه وانتم صدرتم كتابكم بان كتابه يشهد لكم • ونحن نبين كذبكم وافتراءكم عليه سواء اقررتم بنبوته اولم تقروا بها • فانه من المعلوم يقينا عنه انه لم يشهد للمسيح بانه الله بل كفر من قال ذلك ولا يشهد للحواريين بانهم رسل ارسلهم الله بل انما شهد للحواريين بانهم قالوا انا مؤمنون مسلمون وانهم قالوا نحن انصار الله كما شهد لمن آمن به بانهم مؤمنون مسلمون ينصرون الله ورسوله بل وانهم افضل من الحواريين لكون امته خير الامم كما قال تعالى (فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون) وقال تعالى (واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا

واشهد بأننا مسلمون) وقال تعالى (ياايها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) وسيأتي الكلام على هذا مبسوطاً ونبين ان الرسل المذكورين في سورة يس ليس هم الحواريين ولا كانوا رسلا للمسيح بل كان هذا الارسال قبل المسيح واهل القرية كذبوا اولئك الرسل فاهلكهم الله كما قال تعالى (وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون) والرسل المذكورون في سورة يس هم ثلاثة وكان في القرية رجل آمن بهم وهذه وان كانت انطاكية فكان هذا الارسال قبل المسيح • والمسيح عليه السلام ذهب الى انطاكية اثنان من اصحابه بعد رفعه الى السماء ولم يعززوا بثالث ولا كان حبيب النجار موجوداً اذ ذاك • وآمن أهل انطاكية بالمسيح عليه السلام وهم اول مدينة آمنت به كما قد بسط في غير هذا الموضع • والمقصود هنا ان محمداً صلى الله عليه وسلم لم يشهد للمسيح بالالهيه ولا للحواريين بانهم رسل الله ولا انهم سلموا اليهم التوراة والانجيل بلسانهم ولا بانهم معصومون وما ذكروه من قوله تعالى (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) انما يتناول رسل الله لا رسل رسل الله بل رسل رسل الله يجوز ان يبلغوا رسالات الرسل بلسان الرسل اذا كان هناك من يترجم لهم ذلك اللسان وان لم يكن هناك من يترجم ذلك اللسان كانت رسل الرسل تخاطبهم

بلسانهم لكن لايلزم من هذا ان يكونوا قد كتبوا الكتب الآلهية بلسانهم بل يكفي ان يقرؤها بلسان الانبياء عليهم السلام ثم يترجموها بلسان اؤلئك وهو سبحانه قال(وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) ولم يقل وما ارسلنا من رسول الا الى قومه بل محمد ارسل بلسان قومه وهم قريش وارسل الى قومه وغير قومه كما يذكرون هم ذلك عن المسيح عليه السلام

(فصل) واما قوله تعالى(ولقد بعثنا في كل امة رسولا) فيحق فتمام الآية ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وهذا كقوله تعالى في الآية الاخرى (انا ارسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وان من امة الا خلافيها نذير) وقوله انما انت منذر ولكل قوم هاد) في اصح الاقوال اى ولكل قوم داع يدعوهم الى توحيد الله وعبادته كما انت هاد اى داع لمن ارسلت اليه والهادي بمعنى الداعي المعلم المبلغ لابمعنى الذي يجعل الهدى في القلوب كقوله (وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض) وقوله (واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) ومعلوم ان بني اسرائيل كانوا اكثر الامم انبياء بعث اليهم موسى وبعث اليهم بعده انبياء كثيرون حتى قيل انهم الف نبي وكلهم يأمرون بشريعة التوراة ولا يغيرون منها شيئاً ثم جاء المسيح بعد ذلك بشريعة أخرى غير فيها بعض شرع التوراة بأمر الله عز وجل فاذا كان ارسال موسى والانبياء بعده اليهم لم يمنع ارسال المسيح اليهم

فكيف يمتنع ارسال محمد صلى الله عليه وسلم الى اهل الكتاب من اليهود والنصارى وهم من حين المسيح لم يأتهم رسول من الله كما قال تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير) وهذه الفترة التي كانت بين المسيح وبين محمد صلوات الله عليهما وسلامه وهي فيما ذكره غير واحد من العلماء كسلمان الفارسي وغيره كانت ستمائة سنة وقد قيل ستمائة سنة شمسية وهي ستمائة وعشرون او ثمانية عشر هلالية وذلك ان كل مائة سنة شمسية تكون مائة وثلاث سنين هلالية كما قال تعالى (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً وهذه التسع وبعض العاشرة . والتاريخ قد تحسب فيه التامة وتحسب فيه الناقصة فمن قال عشرين حسب الناقصة . ومن قال ثمانية عشر حسب التامة فقط

(فصل) وأما قولهم ونعلم ان الله عدل وليس من عدله ان يطالب امة يوم القيامة باتباع انسان لم يأت اليهم ولا وقفوا له على كتاب بلسانهم ولا من جهة داع من قبله. فيقال الجواب من وجوه. احدها ان هذا الكلام لا يجوز ان يقوله من كتب هذا الكتاب ولا احد يفهم بالعربية فان هؤلاء يفهمون هذا الكتاب بالعربية وقد قرأوه وناظروا بما فيه واذا كانوا مع ذلك يفهمون بغير العربية كان ذلك ابلغ في قيام الحجة عليهم فانهم يمكنهم فهم ما قال بالعربية وتفهيم ذلك لقومهم باللسان الآخر. الوجه الثاني انهم يفهمون ما في كتبهم الرومية والسريانية والقبطية وغيرها ويترجمونها للعرب من النصارى بالعربية فاذا قامت

الحجة على عرب النصارى باللسان الرومي فلان تقوم على الروم باللسان العربي اولى. فان اللسان العربي اكثر انتشاراً فى العالم من اللسان الرومى والناطقون به بعد ظهور الاسلام اكثر من الناطقين بغيره وهو اكمل بياناً واتم تفهما. وحينئذ فيكون وصول المعاني به الى غير أهل لسانه ايسر لكمال معناه ولكثرة العارفين به. وهؤلاء علماء النصارى يقرأون كتب الطب والحساب والفلسفة وغير ذلك باللسان العربى مع ان مصنفيها كانوا عجما من رومي ويونانى وغير ذلك. فما المانع ان يقرأ القرآن العربي وتفسيره وحديث النبي صلى الله عليه وسلم باللسان العبري؟ مع انه اخذ عن الرسول بالعربى فهو اولى بان يعرف به مراد المتكلم به. الوجه الثالث ان يقال. الناس لهم فى عدل الله ثلاثة اقوال. قيل كل مايكون مقدوراً لله فهو عدل. وقيل العدل منه نظير العدل من عباده وهما قولان ضعيفان وقيل من عدله ان يجزى المحسن بحسناته ولا ينقصه شيئاً منها ولا يعاقبه بلا ذنب. ومعلومٌ انه اذا امر العبد بما يقدر عليه كان جائزاً باتفاق طوائف أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى وان كان الفعل مكروهاً للانسان فان الجنة حفت بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقد كلفت بنوا اسرائيل والنصارى من الاعمال ماهو مكروه لهم وشاق عليهم فكيف يمتنع ان يأمرهم وينهاهم بلغة يبين بعض المسلمين معناها لهم والعرب الذي نزل القرآن بلسانهم طبقوا الارض. ومنهم نصارى لا يحصون فكل من عرف بالعربية من النصارى امكنه فهم مايقال بالعربى ومن كان منهم رومياً كان له اسوة من اسلم من سائر طوائف الاعاجم كالفرس والترك والهند والبربر والحبشة وغيرهم وهو متمكن من معرفة

ما امره الله به والعمل به كما يمكن هؤلآء كلهم . بل الروم اقدر على ذلك من غيرهم فلاى وجه يمتنع ان يامرهم الله بذلك ؟ وما لا يتم الواجب الا به اذا كان مقـدورا للعبد فعليـه ان يفعله باتفـاق اهل الملل المسلمين واليهود والنصارى . وان ما تنـازع الناس فيه هل يسمى واجبا؟ فقيل يسمى واجبا.وقيل لا يسمى واجبا . فان الآمر لم يقصده بالامر وقد لا يخطر بباله اذا كان الأمر مخلوقا قال هؤلاء ولان الواجب ما يذم تاركه شرعا او يعاقب تاركه شرعا او ما يستحق تاركه الذم او العقاب او ما يكون تركه سببا للذم او العقاب . قالوا وما لا يتم الواجب الا بهلا يستحق تاركه الذم والعقاب. فان الحج اذا وجب على شخصين احدهما بعيد والآخر قريب ولم يفعلاه لم تكن عقوبة البعيـد على الترك اعظم من عقوبة القريب مع ان المسـافة التى لا بد لهما من قطعها اكثر . وكذلك من وجب عليه قضاء دينه من غير احتياج الى بيع شيء من ماله ليست عقوبته على الترك باقل من عقوبة من يحتاج الى بيع مال لهليقضى بهدينه . وفصل الخطاب ان مالايتم الواجب الا به هو من لوازم وجود الواجب . ووجود الملزوم بدون لازمه ممتنـع فالمأمور به لايمكن فعـله الا بلوازمه والمنهى عنه لايمكن تركه الا بترك ملزوماته.لكن هذا الملزوم لزوم عقلى او عادى فوجوبه وجوب عقلى عادى.لا ان الامر نفسه قصد ايجابه والذم والعقاب على تركه وتنازع الناس هل يقال مالايتم الواجب الا به فهو واجب سواء كان وجوبه شرعياً او عقلياً.او يحتاج ان يقال مالا يتم الواجب الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب.فالجمهور اطلقوا العبارة الاولى وبعض المتأخرين

قيدوها بالمقدور ولا حاجة الى ذلك. فان مالم يكن مقدوراً ينتفي الوجوب مع انتفائه فيكون شرطاً في الوجوب لافي فعل الواجب والجمهور قالوا مالا يتم الواجب الا به فانه يجب. والمقصود هنا ان الله اذا اوجب على العباد شيئاً واحتاج اداء الواجب الى تعلم شيء من العلم كان تعلمه واجباً فاذا كان معرفة العبد لما امره الله به تتوقف على ان يعرف معنى كلام تكلم به بغير لغته وهو قادر على تعلم معنى تلك الالفاظ التي ليست بلغته او على معرفة ترجمتها بلغته وجب عليه تعلم ذلك. ولو جاءت رسالة من ملك الى ملك بغير لسانه لطلب من يترجم مقصود الملك المرسل ولم يجز ان يقول انت لم تبعث الى من يخاطبني بلغتي من قدرته على ان يفهم مراده بالترجمة فكيف يجوز ان يقال ذلك لرب العالمين؟ ولو امر بعض الملوك بعض رعاياه وجنوده بلغته وهم قادرون على معرفة ما امرهم به اما بتعلم لغته واما بمن يترجم لهم ماقاله لم يكن ذلك ظلما فكيف يكون ظلما من رب العالمين مع انه ليس بظلم من المخلوقين. ولو وجب لبعض الرعية حق على بعض او ظلم بعضهم بعضاً لوجب على الملك ان ينصف المظلوم ويرسل الى الظالم من يامره بالعدل والانصاف ويعاقبه اذا لم ينصف اذا كان الظالم متمكنا من معرفة امر الملك بالترجمة او غيرها وهذا هو العدل ليس العدل ان يترك الناس ظالمين في حق الله وحق عباده والله تعالى ارسل رسله وانزل كتبه ليقوم الناس بالقسط كما قال تعالى (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) فليس لاحد ممن ارسل اليه رسول وهو قادر على معرفة ما أرسل به اليه بالترجمة او غير الترجمة ان يمتنع من شرع الله

الذى انزله وهو القسط الذي بعث به رسوله لكون الرسول ليس لغته لغته مع قدرته على ان يعرف مراده بطرق متعددة والناس في مصالح دنياهم يتوسل احدهم الى معرفة مراد الآخر بالترجمة وغيرها فيتبايعون وبينهم ترجمان يبلغ بعضهم عن بعض ويتراسلون في عمارة بلادهم واغراض نفوسهم بالتراجم الذين يترجمون لهم وامر الدين اعظم من امر الدنيا فكيف لا يتوسلون الى معرفة مراد بعضهم من بعض؟ وكيف يكون امر الدنيا اهم من امر الدين الا عند من اغفل الله قلبه عن ذكر ربه واتبع هواه واعرض عن ذكر ربه ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم قال تعالى (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) وقال تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطاً) . الوجه الرابع انه من العجب ان تعد النصارى مثل هذا ظلماً خارجاً عن العدل وهم قد نسبوا الى الله من الظلم العظيم على هذا الاصل مالم ينسبه اليه احد من الامم كما سبوه وشتموه مسبة ما سبه اياها احد من الامم فهم من ابعد الامم عن توحيده وتمجيده وحمده والثناء عليه وذلك انهم يزعمون ان آدم لما أكل من الشجرة غضب الرب عليه وعاقبه وان تلك العقوبة بقيت في ذريته الى ان جاء المسيح وصلب وانه كانت الذرية في حبس ابليس فمن مات منهم ذهبت روحه الى جهنم فى حبس إبليس حتى قالوا ذلك في الانبياء نوح وابراهيم وموسى وداود وسليمان وغيرهم . ومعلوم ان ابراهيم كان ابوه كافرا ولم يؤاخذه الله بذنب ابيه فكيف يؤاخذه

بذنب آدم وهو ابوه الا بعد؟ هذا لو قدر ان آدم لم يتب فكيف وقد اخبر الله عنه بالتوبة؟ ثم يزعمون ان الصلب الذى هو من اعظم الذنوب والخطايا به خلص الله آدم وذريته من عذاب الجحيم وبه عاقب ابليس مع ان ابليس مازال عاصياً لله مستحقاً للعقاب من حين امتنع من السجود لادم ووسوس لادم الى حين مبعث المسيح . والرب قادر على عقوبته وبنوا ادم لاعقوبة عليهم فى ذنب ابيهم فمن كان قولهم مثل هذه الخرافات التي هي مضاحك العقلاء والتي لا تصلح ان تضاف الى اجهل الملوك واظلمهم فكيف يدعون مع هذا انهم يصفون الله بالعدل ويجعلون من عدله انه لايأمر الانسان بتعلم ما يقدر على تعلمه وفيه صلاح معاشه ومعاده ويجعلون مثل هذا موجبا لتكذيب كتابه ورسله والاصرار على تبديل الكتاب الاول وتكذيب الكتاب الآخر وعلى انه يتضمن مخالفة موسى وعيسى وسائر الانبياء والرسل . والنصارى يقولون ان المسيح الذى هو عندهم اللاهوت والناسوت جميعاً انما مكن الكفار من صلبه ليحتال بذلك على عقوبة ابليس .قالوا فاخفى نفسه عن ابليس لئلا يعلم قالوا ومكن اعداءه من اخذه وضربه والبصاق في وجهه ووضع الشوك على رأسه وصلبه واظهر الجزع من الموت وصار يقول يا الهى لم سلطت اعدائي عليّ ليخفى بذلك عن ابليس فلا يعرف ابليس انه الله او ابن الله ويريد ابليس ان يأخذ روحه الى الجحيم كما اخذ ارواح نوح وابراهيم وموسى وغيرهم من الانبياء والمؤمنين. فيحتج عليه الرب حينئذ ويقول بماذا استحللت يا أبليس ان تأخذ روحى؟ فيقول له أبليس بخطيئتك فيقول ناسوتي لاخطيئة له كناسوت الانبياء فانه كان لهم خطايا استحقوا

بها ان تأخذ ارواحهم الى جهنم. وانا لاخطيئة لي . قالوا فلما اقام الله الحجة على أبليس جاز للرب حينئذ ان يأخذ أبليس ويعاقبه ويخلص ذرية آدم من اذهابهم الى الجحيم • وهذا الكلام فيه من الباطل ونسبة الظلم الى الله مايطول وصفه فمن هذا قوله فقد قدح في علم الرب وحكمته وعدله قدحاً ما قدحه فيه احد وذلك من وجوه • احدها ان يقال أبليس ان كان اخذ الذرية بذنب ابيهم فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره وان كان بخطاياهم فلم ياخذهم بذنب ابيهم وهم قالوا انما اخذهم بذنب ادم. الثانى ان يقال من خلق بعد المسيح من الذرية كمن خلق قبله فكيف جاز ان يمكن ابليس من الذرية المتقدمين دون المتاخرين وكلهم بالنسبة الى ادم سواء وهم ايضا يخطئون اعظم من خطايا الانبياء المتقدمين فكيف جاز تمكن ابليس من عقوبة الانبياء المتقدمين ولم يمكن من عقوبة الكفار والجبابرة الذين كانوا بعد المسيح . الوجه الثالث أن يقال اخذ ابليس لذرية ادم وادخالهم جهنم • اما ان يكون ظلما من ابليس • واما ان يكون عدلا • فان كان عدلا فلا لوم على ابليس ولا يجوز ان يحتال عليه ليمتنع من العدل الذى يستحقه بل يجب تمكينه من المتقدمين والمتأخرين • وان كان ظلما فلم لا يمنعه الرب منه قبل المسيح • فان قيل لم يقدر فقد نسبوه الى العجز • وان قيل قدر على دفع ظلم ابليس ولم يفعله فلا فرق بين دفعه في زمان دون زمان او جاز ذلك جاز في كل زمان وان امتنع امتنع في كل زمان. الوجه الرابع ان ابليس ان كان معذورا قبل المسيح فلا حاجة الي عقوبته ولا يلام عليه • وان لم يكن معذورا استحق العقوبة ولا حاجة ان يحتال عليه بحيلة تقام بها الحجة عليه. الوجه الخامس

انه بتقدير انه لم يقم عليه حجة قبل الصلب فلم يقم عليه بالصلب فانه يمكنه ان يقول انا ما علمت ان هذا الناسوت هو ناسوت الرب وانت يارب قد اذنت لى ان آخذ جميع ذرية ادم فاؤديهم الى الجحيم وهذا واحد منهم وما علمت انك او ابنك اتحد به ولو علمت ذلك لعظمته فانا معذور في ذلك فلا يجوز ان تظلمني. الوجه السادس ان نقول ان ابليس يقول حينئذ يارب فهذا الناسوت الواحد اخطأت في اخذ روحه لكن سائر بنى ادم الذين بعده لى ان احبس ارواحهم في جهنم كما حبست ارواح الذين كانوا قبل المسيح اما بذنب ابيهم واما بخطاياهم انفسهم • وحينئذ فان كان ما يقوله النصارى حقا فلا حجة لله على ابليس. الوجه السابع ان يقال هب ان ادم اذنب وبنوه اذنبوا بتزيين الشيطان فعقوبة بنى ادم على ذنوبهم هي الى الله او الى ابليس؟ فهل يقول عاقل ان ابليس له ان يغوي بني ادم بتزيينه لهم ثم له ان يعاقبهم جميعا بغير اذن من الله له فى ذلك وهل هذا القول الا من قول المجوس الثنوية الذين يقولون ان كل ما في العالم من الشر من الذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل ابليس لم يفعل الله شيئاً من ذلك ولا عاقب الله احدا على ذنب. ولا ريب ان هذا القول سرى الي النصارى من المجوس ولهذا لا ينقلون هذا القول في كتاب منزل ولا عن احد من الحواريين ولهذا كان المانوية دينهم مركبا من دين النصارى والمجوس وكان رأسهم مانى نصرانياً مجوسياً فالنسب بين النصارى والمجوس بل وسائر المشركين نسب معروف . الوجه الثامن ان يقال ابليس عاقب بنى آدم وادخلهم جهنم باذن الله او بغير اذنه. ان قالوا باذنه . فلا ذنب له ولا يستحق ان

يحتال عليه ليعاقب ويمتنع. وان كان بغير اذنه فهل جاز في عدل الله ان يمكنه من ذلك ام لم يجز؟ فان جاز ذلك في زمان جاز في جميع الازمنة وان لم يجز في زمان لم يجز في جميع الأزمنة فلا فرق بين ماقبل المسيح وما بعـده. الوجه التاسع ان يقال هل كان الله قادراً على منع ابليس وعقوبته بدون هذه الحيلة وكان ذلك عدلا منه لو فعله ام لا؟ فان كان ذلك مقدوراً له وهو عدل منه لم يحتج ان يحتال على ابليس ولا يصلب نفسه او ابنه ثم ان كان هذا العدل واجباً عليه وجب منع ابليس وان لم يكن واجباً جاز تمكينه في كل زمان فلا فرق بين زمان وزمان وان قيل لم يكن قادراً على منع ابليس فهو تعجيز للرب على منع ابليس وهذا من اعظم الكفر باتفاق أهل الملل من جنس قول الثنوية الذين يقولون لم يكن يقـدر النور ان يمنع العالم من الشر ومن جنس قول ديمقراطيس والحنانين الذين يقولون لم يكن واجب الوجود الذى يمنع النفس عن ملابسة الهيولى بل تعلقت النفس بها بغير اختياره . الوجه العاشر ان مافعـله به الكفار اليهود الذين صلبوه قد كان طاعة لله او معصية؟ فان كان طاعة لله. استحق اليهود الذين صلبوه ان يثيبهم ويكرمهم على طاعته كما يثيب سائر المطيعين له والنصارى متفقون على ان اولئك من اعظم الناس اثمـا وهم من شر الخلق وهم يستحلون من دمهم ولعنتهم مالا يستحلونه من غيرهم بل يبالغون فى طلب اليهود وعقوبتهم في آخر صومهم الايام التى تشبه ايام الصليب. وان كان اولئك اليهود عصاة لله فهل كان قادراً على منعهم من هذه المعصية ام لا؟ فان لم يكن قادراً لم يكن قادراً على منع ابليس من ظلم الذرية في الزمن المستقبل. وان كان قادراً

على منعهم من المعاصي ولم يمنعهم كان قادراً على منع ابليس بدون هذه الحيلة. وان كان حسنا منه تمكينهم من هذه المعصية كان حسنا منه تمكين ابليس من ظلم الذرية في الماضي والمستقبل فلا حاجة الى الحيلة عليه واعلم ان الوجوه الدالة على فساد دين النصارى كثيرة جداً وكلما تصور العاقل مذهبهم وتصور لوازمه تبين له فساده لكن المقصود هنا بيان تناقضهم فى انهم يقيمون عذر انفسهم فى ترك الايمان بكتابه ورسوله ودينه لكونه سبحانه عدلا لايأمر الناس بما يعجزون عنه وهو سبحانه لم يأمرهم الا بما يقدرون عليه وقد نسبوا اليه من الظلم مالم ينسبه اليه أحد من بنى آدم يوضح هذا الوجه الحادى عشر وهو اما ان نقول فى الظلم كما نقول الجهمية المجبرة الذين يقولون يفعل مايشاء بلا حكمة ولا سبب ولا مراعاة عدل. واما ان يقال بقول القدرية انه يجب عليه العدل الذى يجب على المخلوقين . واما ان يقال هو عادل منزه عن الظلم ولكن ليس عدله كعدل المخلوقين فهذه اقوال الناس الثلاثة . فان قيل بالاول جاز ان يسلط ابليس على جميع الذرية بلا ذنب وان يعاقبهم جميعاً بلا ذنب ولا حاجة حينئذ الى الحيلة على ابليس. وان قيل بالثانى فمعلوم ان الواحد من الناس لو علم ان بعض مماليكه امره غيره بذنب يكرهه السيد ففعله كان العدل منه ان يعاقب الآمر والمأمور جميعاً. واما تسليطه للآمر على عقوبة المامور فليس من العدل وكذلك تسليط الآمر الظالم على جميع ذرية المأمور الذين لم يذنبوا ذنب ابيهم ليس من العدل. وان قيل بل هو استحق ان يستعبدهم لكون ابيهم اطاعه قيل فحينئذ يستحق ان يأسر الاولين والآخرين فلا يجوز ان يمنع من حقه بالاحتيال عليه

وان قيل انما يستحق اخذهم بخطاياهم . قيل فله ان يأخذ الاولين والآخرين.وان قيل هو لما طلب اخذ روح ناسوت المسيح منع بهذا الذنب.قيل هذا ان كان ذنباً فهو اخف ذنوبه فانه لم يعلم انه ناسوت الاله فاذا استحق الرجل ان يسترق اولاد غيره فطلب رجلا ليسترقه اظنه انه منهم ولم يكن منهم لم يكن هذا ذنباً يمنع استرقاق الباقين.وان قيل ان عدل الرب ليس كعدل المخلوقين بل من عدله ان لا ينقص احداً من حسناته ولا يعاقبه الا بذنبه لم يجز حينئذ ان يعاقب ذرية ادم بذنب ابيهم ولم يجز ان يعاقب الانبياء الذين ليس لهم ذنب الا ذنب تابوا منه بذنب غيرهم بان الانبياء معصومون أن يقروا على ذنب فكل من مات منهم مات وليس له ذنب يستحق عليه العقوبة فكيف يعاقبون بعد الموت بذنب ابيهم ان قدر انه مات مصرا على الذنب مع ان هذا تقدير باطل ولو قدر أن الانبياء لهم خطايا يستحقون بها العقوبة بعد الموت وتسليط ابليس على عقوبتهم مع أن هذا تقدير باطل فمن بعد المسيح من غير الانبياء اولى بذلك فكيف يجوز فى العدل الذى يوجب التسوية بين المتماثلين عقوبة الانبياء ومنع عقوبة من هو دونهم بل من هو من الكفار الوجه الثانى عشر ان الرب اذا قصد بهذا دفع ظلم ابليس فهلا اتحد بناسوت بعض اولاد ادم ليحتال على ابليس فيمنعه من ظلم من تقدم فان المنع من الشر الكثير اولى من المنع من الشر القليل.اتراه ما كان يعلم ان ابليس يعمل هذا الشر كله فهذا تجهيل له.او كان يعترف وعجز عن دفعه فهذا تعجيز له.ثم ما الفرق بين زمان وزمان؟ام كان ترك منعه عدلا منه فهو عدل في كل زمان

(فصل) واما تفسيرهم لقوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) بأن مراده قومه كما قالوا واما قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بحسب مقتضى العدل قومه الذين اتاهم بلغتهم لا غيرهم ممن لم يأتهم بما جاء به. فيقال لهم من فسر مراد متكلم اي متكلم كان بما يعلم الناس انه خلاف مراده فهو كاذب مفتر عليه وان كان المتكلم من احاد العامة ولو كان المتكلم من المتنبئين الكذابين فان من عرف كذبه اذا تكلم بكلام وعرف مراده به لم يجز ان يكذب عليه فيقال اراد كذا وكذا فان الكذب حرام قبيح على كل احد سواء كان صادقاً او كاذباً. فكيف بمن يفسر مراد الله ورسوله بما يعلم كل من خبر حاله علما ضروريا انه لم يرد ذلك بل يعلم علما ضروريا انه اراد العموم. فان قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا صيغة عامة وصيغة من الشرطية من ابلغ صيغ العموم كقوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) ثم ان سياق الكلام يدل على انه اراد اهل الكتاب وغيرهم. فان هذا في سورة آل عمران في اثناء مخاطبته لاهل الكتاب ومناظرته للنصارى فانها نزلت لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد نجران النصارى. وروى انهم كانوا ستين راكباً وفيهم السيد والايهم والعاقب وقصتهم مشهورة معروفة كما تقدم ذكرها وقد قال قبل هذا الكلام بذم دين النصارى الذين ابتدعوه وغيروا به دين المسيح ولبسوا الحق الذى بعث به المسيح بالباطل الذى ابتدعوه حتى صار دينهم مركباً من حق وباطل واختلط احدهما بالآخر فلا

يكاد يوجد معه من يعرف مانسخه المسيح من شريعة التوراة مما اقره والمسيح قرر اكثر شرع التوراة وغيّر المعنى وعامة النصارى لايميزون ما قرره مما غيره فلا يعرف دين المسيح قال تعالى (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون) فقد بين ان من اتخذ الملائكة والنبيين ارباباً فهو كافر فمن اتخذ من دونهم ارباباً كان اولى بالكفر وقد ذكر ان النصارى اتخذوا من هو دونهم ارباباً بقوله تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله الا هو سبحانه عما يشركون) ثم قال تعالى في سورة آل عمران (وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين) قال ابن عباس وغيره من السلف ما بعث الله نبياً الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرنه وأمره ان يأخذ الميثاق على امته لئن بعث محمد وهم احياء ليؤمنن به ولينصرنه • والآية تدل على ما قالوا فان قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين) يتناول جميع النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وهذه اللام الاولى تسمى اللام الموطئة للقسم • واللام الثانية تسمى لام جواب القسم والكلام اذا اجتمع فيه شرط وقسم وقدم القسم سد جواب

القسم مسد جواب الشرط والقسم كقوله تعالى (لئن اخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولنّ الادبار ثم لا ينصرون) ومنه قوله تعالى (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) وقوله (واقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) وقوله (وأقسموا باللّه جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن قل لاتقسموا طاعة معروفة) وقوله (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من إحدى الامم) ومنه قوله (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله. ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب. لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين. لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم. ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) وقوله (لئن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا. ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونن من الصاغرين) وقوله تعالى (ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون. ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم. ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امّة معدودة ليقولن مايحبسه) ومثل هذا كثير وحيث لم يذكر القسم فهو محذوف مراد. تقدير الكلام والله لئن اخرجوا لايخرجون معهم والله لئن قوتلوا لاينصرونهم. ومن محاسن لغة العرب انها تحذف من الكلام مايدل المذكور عليه اختصاراً وايجازاً لاسيما فيما يكثر استعماله كالقسم وقوله (لما أتيتكم من كتاب وحكمة) هي ما الشرطية والتقدير اي شيء أعطيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ولا تكتفوا بما

عنـــدكم عما جاء به ولا يحملنكم ما أتيتكم من كتاب وحكمة على ان تتركوا متابعته بل عليكم ان تؤمنوا به وتنصروه وان كان معكم من قبله من كتاب وحكمة فلا تستغنوا بما اتيتكم عما جاء به فان ذلك لاينجيكم من عذاب الله. فدل ذلك على ان من ادرك محمداً من الانبياء واتباعهم وان كان معه كتاب وحكمة فعليه ان يؤمن بمحمد وينصره كما قال(لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) وقد اقر الانبياء بهذا الميثاق وشهد الله عليهم به كما قال تعالى أأقررتم واخذتم على ذلكم إصرى قالوا اقررنا قال فاشـــهدوا وانا معكم من الشاهدين) ثم قال تعالى (فمن تولى بعــد ذلك فاولئك هم الفاسقون) ثم قال تعالى(افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليــه ترجعون) ثم قال تعالى (قل آمنا بالله وما انزل علينـــا وما انزل على ابراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) ثم قال تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) قالت طائفة من السلف لمـــا انزل الله هـــذه الآية قال من قال من اليهود والنصارى نحن مسلمون فقال تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليـــه سبيلا) فقالوا لانحج فقال تعالى (ومن كفر فان الله غنى عن العالمين) فكل من لم يرَ حج البيت واجباً عليه مع الاستطاعة فهو كافر باتفاق المسلمين كما دل عليه القرآن. واليهود والنصارى لايرونه واجباً عليهم فهم من الكفار حتى انه روى في حديث مرفوع الى النبي صلى الله

عليه وسلم . من ملك زاداً وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانياً.وهو محفوظ من قول عمر بن الخطاب وقد اتفق المسلمون على ان من جحد وجوب مباني الاسلام الخمس الشهادتين .والصلوات الخمس.والزكاة.وصيام شهر رمضان.وحج البيت فانه كافر وايضاً فقد قال تعالى فى أول سورة آل عمران (شهد الله انه لااله الاهو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لااله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) فقد امره تعالى بعد قوله (ان الدين عند الله الاسلام) ان يقول اسلمت وجهى لله ومن اتبعن وان يقول للذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى والاميين وهم الذين لا كتاب لهم من العرب وغيرهم أأسلمتم فالعرب الاميون يدخلون في لفظ الاميين باتفاق الناس . واما من سواهم.فاما ان يشمله هذا اللفظ أو يدخل في معناه بغيره من الالفاظ المبينة انه ارسل الى جميع الناس قال تعالى (فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد)فقد امر أهل الكتاب بالاسلام كما أمر به الاميين وجعلهم اذا اسلموا مهتدين وان لم يسلموا فقد قال انما عليك البلاغ اى تبلغهم رسالات ربك اليهم والله هو الذى يحاسبهم فدل بهذا كله على انه عليه ان يبلغ اهل الكتاب ما امرهم به من الاسلام كما يبلغ الاميين وان الله

يحاسبهم على ترك الاسلام كما يحاسب الاميين. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه و ا في الكتاب الذى كتبه الى هرقل ملك النصارى، من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم واسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان عليك اثم الاريسيين (ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) وابلغ من ذلك ان الله تعالى اخبر فى كتابه ان الاسلام دين الانبياء كنوح وابراهيم ويعقوب واتباعهم الي الحواريين وهذا تحقيق لقوله تعالي (ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه) وان الدين عند الله الاسلام فى كل زمان ومكان قال تعالي عن نوح اول رسول بعثه الله الي اهل الارض (واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم عليكم غمة ثم اقضوا اليّ ولا تنظرون فان توليتم فما سألتكم من اجر إن اجري إلا على الله وامرت ان اكون من المسلمين) فهذا نوح الذى غرّق الله اهل الارض بدعوته وجعل جميع الادميين من ذريته يذكر انه امر ان يكون من المسلمين واما الخليل فقال تعالى (واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم) (ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه

في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون) فقد اخبر تعالى انه امر الخليل بالأسلام وانه قال اسلمت لرب العالمين وان ابراهيم وصى بنيه ويعقوب وصى بنيه ان لايموتن الا وهم مسلمون) وقال تعالى (ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) وقال تعالى عن يوسف الصديق ابن يعقوب انه قال (رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين) وقال تعالى عن موسى (وقال موسى لقومه ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين) وقال عن السحرة الذين آمنوا بموسى (قالوا لاضير انا الى ربنا منقلبون انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين) وقال تعالى (وما تنقم منـا الا ان أمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين) وقال تعالى في قصة سليمان (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لاتعلوا عليّ واتوني مسلمين) و (قال يا ايها الملاء ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين) وقال تعالى (واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين) وقال تعالى عن بلقيس التي امنت بسليمان (رب اني ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال عن انبياء بني اسرائيل (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا) وقال تعالى

عن الحواريين (واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) فهؤلاء الانبياء كلهم واتباعهم كلهم يذكر تعالى انهم كانوا مسلمين وهذا مما يبين ان قوله تعالى (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين) وقوله (ان الدين عند الله الاسلام) لا يختص بمن بعث اليه محمد صلى الله عليه وسلم بل هو حكم عام في الاولين والآخرين ولهذا قال تعالى (ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا) وقال تعالى (وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

(فصل) قولهم ثم وجدنا فى هذا الكتاب من تعظيم السيد المسيح وامه حيث يقول فى سورة الانبياء (والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وقال فى سورة آل عمران (اذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين) مع الشهادات للسيد المسيح بالمعجزات وانه حبلت به امه من غير مباضعة رجل لبشارة ملائكة الله لامه وانه تكلم فى المهد واحياء الميت وابرآء الاكمه ونقى الابرص وانه خالق من الطين كهيئة الطير فنفخ فيه فكان طيراً بأذن الله أى بأذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة فى الناسوت. ووجدنا أيضاً فى الكتاب ان الله رفعه اليه قال في

سورة النسآء (وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه) وفي سورة آل عمران (اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) وقال في سورة البقرة (وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس) وقال في سورة الحديد (وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم) وقال في سورة آل عمران (من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واؤلئك من الصالحين) ثم وجدناه يعظم انجيلنا * الجواب * اما تعظيم المسيح وامه فهو حق وكذلك مدح من كان على دينه الذى لم يبدل قبل ان انبعث محمد صلى الله عليه وسلم او بقي على ذلك الى ان بعث محمد صلى الله عليه وسلم فامن به فان هؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون وكذلك من كان على دين موسى الذى لم يبدل الى ان بعث المسيح فأمن به فهؤلاء مؤمنون مسلمون مهتدون وقد قدمنا ان المسلمين هم عدل متوسطون لا ينحرفون لا الى غلو ولا الى تقصير. واما اليهود والنصارى فهم على طرفي نقيض. هؤلآء ينحرفون الى جهة. وهؤلآء الى الجهة التى تقابلها كما ذكرنا تقابلهم في النسخ. وكذلك تقابلهم في التحريم والتحليل والطهارة والنجاسة. فان اليهود حرمت عليهم الطيبات وهم يبالغون فى اجتناب النجاسات حتى ان الحائض لا يؤاكلونها ولا يشاربونها ولا يجامعونها وكانوا لا يرون ازالة النجاسة من الثوب بل بقرض موضعها

ويستخرجون الدم من العروق الى غير ذلك من الاصار والاغلال التى كانت عليهم. واما النصارى ففى مقابلتهم تجدعامتهم لا يرون شيئاً حراما ولا نجسا إلاّ ما كرهه الانسان بطبعه ويصلون مع الجنابة والحدث وحمل النجاسات وياكلون الخبائث كالدم والميتة ولحم الخنزير الا من كره منهم شيئاً فتركه والمسلمون وسط كما قال تعالى فيهم (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) اي عدلا خيارا كما قال تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين أمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه اولئك هم المفلحون) ولهذا كان من انحرف من المسلمين الى شبه اليهود والنصارى مامورا بترك ذلك الانحراف واتباع الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا غير المغضوب عليهم كاليهود. ولا الضالين كالنصارى. وذلك مثل من بالغ فى اجتناب النجاسات فينجس مالم ينجسه الله ورسوله ويحرم مالم يحرمه الله ورسوله وياخذه الوسواس فى اجتناب النجاسات ويحرم الطيبات التى احلها الله للمسلمين مثل من يرى ان القياس ان النجاسة لا تزول لا بماء ولا غيره او يرى انها وان زالت فلم يبق لها اثر فالمحل نجس اذا لم تزل بما يشترطه هو من الماء او غيره اويرى ان الطيبات التى أحلها الله حرام

خبيثة لانها مستحيلة عن المحرم مع ان الخل حلال وان كان قد كان خمرا باتفاق المسلمين اذا بدا الي حالته. او يرى ان الماء الطيب والمائعات الطيبة التي ليس فيها اثر من الخبيث حرام لكون الخبيث لاقاها او استهلك فيها مع انها من الطيبات لا من الخبائث. اويرى تحريم ما سوى موضع الدم الذى هو اذى الى غير ذلك من اقوال قالها بعض العلماء ولكن غيرهم نازعهم فى ذلك واتبع مادل عليه الكتاب والسنة. واعظم من ذلك من يكفر من خالفه من المسلمين ويرى نجاسة الكفار كما دل عليه كثير من اهل البدع من الرافضة والخوارج وغيرهم فاذا اكل غيرهم من وعائهم نجسه عندهم. واما ما يفعله كثير من الناس من غير ان يقوله عالم مثل من يغسل يديه وثيابه وحصر بيته بتوهم نجاستها او يأمر الحائض اذا طهرت ان تبدل ثيابها الاول او تغسلها او يمنع الجنب ان ياكل او يشرب حتى يغتسل فهذا كثير فيمن يشبه اليهود بل يشبه سامرة اليهود. واما من يشبه النصارى فمثل من يحسن الظن بمن لا يتطهر ولا يصلي من المنسوبين الى الفقر والزهد والعبادة مثل من يكون في مواضع الشياطين والنجاسات كالحمام والاتانين والمزابل وهو ملوث بالبول والعذرة ويعاشر الكلاب ولا يتوضأ ولا يغتسل من الجنابة بل ولا يصلي او ويصلي بلا وضوء وقد علم بالاضطرار من دين الاسلام ان الصلوات الخمس فرض على كل احد وان الوضوء من الحدث والاغتسال من الجنابة فرض ولا يصلي الا به مع القدرة وان لا يتيمم مع القدرة. فمن انكر وجوب ذلك فهو كافر باتفاق المسلمين. ومن جعل الزاهد العابد الذي له نوع من الخوارق مثل نوع من الكشف والتصرف

الذى يكون من الشياطين .والجهال يظنون انه من كرامات اولياء الله اذا لم يكن يصلى الصلوات الخمس ويتوضأ ويغتسل من الجنابة من المؤمنين او من اولياء الله فهو كافر باتفاق المسلمين ومن لم يحرم الخبائث التي حرمها الله ورسوله كالبول والعذرة والدم والميتة ولحم الخنزير والخمر فهو كافر باتفاق المسلمين. ومن جعل مستحل ذلك مع العلم بمخالفته لدين الرسول ولياً لله فهو كافر باتفاق المسلين • وكذلك فيمن ينتحل الاسلام ويذم أهل الكتاب من يكون منافقاً فى الدرك الاسفل من النار ويكون كثير من اليهود والنصارى اخف عذابا فى الآخرة منه قال تعالى (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين اجراً عظيما) وكذلك المسلمون وأهل السنة فى المسلمين فى التوحيد• فان اليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فيما يختص بالمخلوق وهو صفات النقص الذى يجب تنزيه الرب عنها والنصارى شبهوا المخلوق بالخالق فيما يختص بالخالق وهو صفات الكمال التى لا يستحقها الا الله تبارك وتعالى فقال من قال من اليهود ان الله فقير ونحن أغنياء وقالوا (يد الله مغلولة) وهو بخيل وقالوا انه خلق العالم فتعب فاستراح وحكى عن بعضهم انه قال بكى على الطوفان حتى رمد وعادته الملائكة وانه ناح على بعض من اهلكه من عباده كما ينوح المصاب على ميته وامثال ذلك مما يتعالى الله عنه ويتقدس سبحانه وتعالى وأيضاً فهم يستكبرون عن عبادة الله وطاعة رساله ويعصون أمره ويتعدون حدوده ولا يجوزون له ان ينسخ ماشرعه بل يحجرون عليه

والنصارى يصفون المخلوق بما يتصف به الخالق فيجعلونه رب العالمين خالق كل شيء ومليكه الذى هو بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لااله الا هو سبحانه عما يشركون واتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً من دون الله وصوروا تماثيل المخلوقات واتخذوهم شفعاء يشفعون لهم عند الله كما فعلت عباد الاوثان كما قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض) ولهذا قال تعالى (وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولىّ ولا شفيع لعلهم يتقون) وقال تعالى (الله الذى خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش مالكم من دونه من ولي ولا شفيع) والمسلمون وسط يصفون الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل يصفونه بصفات الكمال وينزهونه عن النقائص التى تمتنع على الخالق ولا يتصف بها المخلوق فيصفونه بالحياة. والقدرة. والرحمة. والعدل. والاحسان وينزهونه عن الموت والنوم والجهل والعجز والظلم والفناء ويعلمون مع ذلك انه لا مثل له فى شيء من صفات الكمال فلا احد يعلم كعلمه ولا يقدر كقدرته ولا يرحم كرحمته ولا يسمع كسمعه ولا يبصر كبصره ولا يخلق كخلقه ولا يستوى كاستوائه ولا يأتى كاتيانه ولا ينزل كنزوله كما قال تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) ولا يصفون أحداً من المخلوقين بخصائص الخالق جل

جلاله بل كل ماسواه من الملائكة والانبياء وسائر الخلق فقير اليه عبد
ه وهو الصمد الذى يحتاج اليه كل شيء ويسأله كل احد وهو غنى
نفسه لايحتاج الى أحد فى شيء من الاشياء كما قال تعالى (وقالوا اتخذ
لرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إدّاً تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
لارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغى للرحمن ان
تخذ ولدا ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا
قد احصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيمة فردا) وقال تعالى
ياأهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما
لمسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه
آمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله
احد سبحانه ان يكون له ولد له مافى السموات وما فى الارض وكفى
الله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين
ستنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولايجدون لهم من دون الله ولياً
ولا نصيرا) وكذلك هم فى المسيح فالنصارى يقولون هو الله ويقولون
يضاً ابن الله وهو اله تام وانسان تام. واليهود يقولون هو ولد زنا وهو
بن يوسف النجار ويقولون عن مريم انها بغى بعيسى كما قال تعالى
(وقولهم على مريم بهتانا عظيما) ويقولون عنه هو ساحر كذاب. واما
لمسلمون فيقولون هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم العذراء
لبتول وروح منه وهو وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويصفونه

بما وصفه الله به في كتابه لا يغلون فيــه غلوّ النصارى ولا يقصرون في حقه تقصير اليهود وكذلك قولهم في سائر الانبياء والمرسلين وفي اولياء الله. فاليهود قتلوا النبيين والذين يأمرون بالقسط من الناس. والنصارى اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الاليعبدوا الها واحدا لااله الاهو سبحانه عما يشركون ومع هذا فقد شارك النصارى لليهود في نقص حق كثير من الانبياء فيقولون ان سليمان لم يكن نبيا ويقولون ان الحواريين مثل موسى وابراهيم ويقولون ان من عمل بوصايا الله من غير الانبياء صار مثل الانبياء وكان له ان يشرع شريعة وبعض اليهود غلو في العزير حتى قالوا انه ابن الله ولهذا قال نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لاتطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله والله تعالى ذكر في القرآن في سورة كهيعص قصــة ابنى الخالة يحي وعيسى. ويحي يسمونه النصارى يوحنا المعمداني عندهم فقال تعالى بعد ان ذكر قصة يحي (واذكــر في الكتاب مريم اذ انتبــذت من أهلهــا مكانا شرقيا فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكياً قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان امرا مقضيا فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجأها المخاض الى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا فناداها من تحتهــا ألاّ تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط

عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقرّى عينا فاما ترينّ من البشر احداً فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا فاتت به قومها تحمله قالوا يامريم لقد جئت شيئاً فريا يا أخت هرون ما كان ابوك إمرأ سوء وما كانت امك بغيا فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلاة والزكوة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقيا والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا) ثم قال الله تعالى (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فأختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) فذكر سبحانه قصة مريم والمسيح في هذه السورة المكية التي انزلها في اول الامر بمكة في السور التي ذكر فيها اصول الدين التي اتفق عليها الانبياء ثم ذكرها في سورة آل عمران وهي من السور المدنية التي يخاطب فيها من اتبع الانبياء من اهل الكتاب والمؤمنين لما قدم عليه نصارى نجران فكان فيها الخطاب لأهل الكتاب فقال تعالى (ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت أمرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى واني سميتها مريم وأني اعيذها بك وذريتها

من الشيطان الرجيم)وفي الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مامن مولود الا يمسه الشيطان فيستهل صارخا من الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرأوا ان شئتم واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قال تعالى (فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتاً حسنا وكفلها ذكريا كلما دخل عليها ذكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب)ثم ذكر قصة زكريا ويحيي ثم قال (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيي مصدقاً بكلمة من الله وسيدا وحصوراً ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وأمرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل مايشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشي والابكار واذ قالت الملائكة يامريم ان الله اصطفيك وطهرك واصطفيك على نساء العالمين يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذقالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا

الى بني اسرائيل اني قد جئتكم بآية من ربكم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وابرىء الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله ياعيسى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فأما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكون من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا

نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ياأهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانياً ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) فهو سبحانه قد ذكر قصة مريم والمسيح في هاتين السورتين احداها مكية نزلت في اول الامر مع السور الممهدة لاصول الدين وهي سورة كهيعص . والثانية مدنية نزلت بعد ان امر بالهجرة والجهاد ولهذا تضمنت مناظرة اهل الكتاب ومباهلتهم كما نزلت في براءة مجاهدتهم فاخبر في السور المكية انها لما انفردت للعبادة ارسل الله اليها روحه فتمثل لها بشرا سويا فقالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال ابو وائل علمت ان المتقي ذو نهية اي تقواه ينهاه عن الفاحشة وانها خافت منه ان يكون قصده الفاحشة(فقالت اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) اي تتقي الله وما يقوله بعض الجهال من انه كان فيهم رجل فاجر اسمه تقي فهو من نوع الهذيان وهو من الكذب الظاهر الذي لا يقوله الا جاهل ثم قال (انما انا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا) وفي القراءة الاخرى (ولاهب لك غلاما زكيا) فاخبر هذا الروح الذي تمثل لها بشرا سويا انه رسول ربها فدل الكلام على ان هذا الروح عين قائمة بنفسها ليست صفة لغيرها وانه رسول من الله ليس صفة من صفات الله ولهذا قال جماهير العلماء انه جبريل عليه

السلام فان الله سماه الروح الامين وسماه روح القـدس وسماه جبريل وهكذا عند اهل الكتاب انه تجسد من مريم ومن روح القدس لكن ضلالهم حيث يظنون ان روح القدس حياة الله وانه اله يخلق ويرزق ويُعبد وليس في شيء من الكتب الالهية ولا في كلام الانبيآء ان الله سمى صفته القائمة به روح القدس ولا سمى كلامه ولا شيئاً من صفاته ابناً وهذا احد ما تبين به ضلال النصارى وانهم حرفوا كلام الانبيآء وتأوّلوه على غير ما ارادت به الانبيـآء فان اصل تثليثهم مبنى على ما فى احد الاناجيل من ان المسيح عليه السلام قال لهم عمـدوا الناس باسم الاب والابن وروح القدس. فيقال لهم هذا اذا كان قد قاله المسيح وليس فى لغة المسيح ولا لغة احـد من الانبيآء انهم يسمون صفة الله القائمة به لا كلمته ولا حياته لا ابنا ولا روح قدس ولا يسمون كلمته ابنا ولا يسمونه نفسه ابنا ولا روح قـدس ولكن يوجد فيما ينقلونه عنهم انهم يسمون المصطفى المكرم ابنا وهذا موجود فى حق المسيح وغيره كما يذكرون انه قال تعالى لاسرائيل انت ابنى بكرى اى بنى اسرائيل وروح القـدس يراد به الروح التى تنزل على الانبياء كما نزلت على داود وغيره فان فى كتبهم ان روح القـدس كانت فى داود وغيره وان المسيح قال لهم ابى وابيكم والهى والهكم فسماه ابا للجميع لم يكن المسيح مخصوصا عندهم باسم الابن ولا يوجد عندهم لفظ الابن الا اسما للمصطفى المكرم لا اسما لشيء من صفات الله القديمة حتى يكون الابن صفة الله تولدت منه واذا كان كذلك كان فى هـذا ما يبين انه ليس المراد بالابن كلمة الله القديمة الازليـة التى يقولون انها تولدت من الله

عنـدهم مع كونها ازلية ولا بروح القدس حياة الله بل المراد بالابن ناسوت المسيح وبروح القدس ما انزل عليه من الوحي والملك الذى نزل به فيكون قـد أمرهم بالايمـان بالله وبرسـوله وبمـا انزله على رسوله والملك الذي نزل به وبهـذا الذى نزل به وبهـذاامرت الانبياء كلهـم وليس للمسيح خاصـةٌ استحق بها ان يكون فيـه شيء من اللاهوت لـكن ظهر فيه نور الله وكلام الله وروح الله كماظهر في غيره من الانبياء والرسـل . ومعلوم ان غيره ايضاً فيما ينقلونه عن الانبياء يسمى ابنا وروح القدس حلت فيه وهذا مبسوط في غير هذا الموضع والمقصود هنا التنبيه على ان كلام الانبياء عليهـم السلام يصدق بعضه بعضاً وانه ليس مع النصادى حجة سـمعية ولا عقلية توافق ما ابتدعوه ولكن فسروا كلام الانبياء بما لا يدل عليه وعنـدهم في الانجيل انه قال ان الساعة لا يعلمها الملائكة ولا الابن وانما يعلمها الاب وحده فبين ان الابن لا يعلم الساعة فعلم ان الابن ليس هو القديم الازلى وانما هو المحدث الزمانى

(فصل) والمضـاف الى الله نوعان فان المضاف اما ان يكون صفة لا تقوم بنفسها كالعلم والقدرة والـكلام والحياة . واما ان يكون عيناً قائمة بنفسها فالاول اضافة صـفة كقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه) وقوله (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو أشـد منهم قوة) وقول النبى صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح حديث الاستخارة اذاهمّ احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك

واسألك من فضلك وقوله تعالى (وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا) وقوله (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) وقوله (ذلك امر الله انزله اليكم) والثانى اضافة عين كقوله تعالى (وطهر بيتى للطائفين) وقوله (ناقة الله وسقياها) وقوله (عينا يشرب بها عباد الله) فالمضاف فى الاول صفة لله قائمة به ليست مخلوقا له بائن عنه والمضاف في الثانى مملوك لله مخلوق له بائن عنه لكنه مفضل مشرف لما خصه الله به من الصفات التى اقتضت اضافته الى الله تبارك وتعالى كما خص ناقة صالح من بين النوق وكما خص بيته بمكة من بين البيوت وكما خص عباده الصالحين من بين الخلق ومن هذا الباب قوله تعالى (فارسلنا اليها روحنا) فانه وصف هذا الروح بانه تمثل لها بشرا سويا وانها استعاذت بالله منه ان كان تقيا وانه قال انما انا رسول ربك وهذا كله يدل على انها عين قائمة بنفسها وهى التي تسمى في اصطلاح النظار جوهرا وقد تسمى جسما اذا كانت مشاراً اليها مع اختلاف الناس في الجسم هل هو مركب من الجواهر المفردة ام من المادة والصورة ام ليس مركبا لامن هذا ولا من هذا واذا كان الله قد بين ان المضاف هنا ليس من الصفات القائمة بغيرها بل من الاعيان القائمة بنفسها علم ان المضاف مملوك لله مخلوق له لكن اضافته الى الله تدل على تخصيص الله له من الاصطفاء والاكرام بما اوجب التخصيص بالاضافة وقد ذكرت فيما كنت كتبته قبل هذا من الرد على النصارى الكلام فى ذلك وغيره وبينت ان المضافات الى الله نوعان اعيان . وصفات . فالصفات اذا اضيفت اليه كالعلم والقدرة والكلام والحياة والرضا والغضب ونحو ذلك دلت الاضافة على انها اضافة وصف له

قائم به ليست مخلوقة لأن الصفة لاتقوم بنفسها فلا بد لها من موصوف تقوم به فاذا اضيفت اليه علم انها صفة له لكن قد يعبر باسم الصفة عن المفعول بها يسمى المقدور قدرة والمخلوق بالكلمة كلاما والمعلوم علما والمرحوم به رحمة كقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة وقوله تعالى فيما يروى عنه نبيه انه قال للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء ويقال للمطر والسحاب هذه قدرة قادر وهذه قدرة عظيمة ويقال في الدعاء غفر الله لك علمه فيك أى معلومه . وأما الاعيان اذا اضيفت الى الله تعالى فأما ان تضاف بالجهة العامة التي يشترك فيها المخلوق مثل كونها مخلوقة ومملوكة له ومقدورة ونحو ذلك فهذه اضافة عامة مشتركة كقوله هذا خلق الله وقد يضاف لمعنى يختص بها يميز به المضاف عن غيره مثل بيت الله وناقة الله وعبد الله وروح الله فمن المعلوم اختصاص ناقة صالح بما تميزت به عن سائر النياق وكذلك اختصاص الكعبة واختصاص العبد الصالح الذى عبد الله وأطاع امره وكذلك الروح المقدسة التي امتازت بما فارقت به غيرها من الارواح فان المخلوقات اشتركت في كونها مخلوقة مملوكة مربوبة لله يجرى عليها حكمه وقضاؤه وقدره وهذه الاضافة لا اختصاص فيها ولا فضيلة للمضاف على غيره وامتاز بعضها بأن الله يحبه ويرضاه ويصطفيه ويقربه اليه ويأمر به أو يعظمه ويحبه فهذه الاضافة يختص بها بعض المخلوقات كاضافة البيت والناقة والروح وعباد الله من هذا الباب . وقد قال تعالى في سورة الأنبياء (والتي احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين) وقال في سورة التحريم (وضرب الله مثلا للذين آمنوا

إمرأة فرعون اذقالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين) فذكر أمرأة فرعون التي ربت موسى بن عمران وجمعت بينه وبين امه حتى ارضعته امه عندها وذكر مريم ام المسيح التي ولدته وربته فهاتان المرءتان ربتا هذين الرسولين الكريمين فلما قال هنا فنفخنا فيها أى فى المرأة وفيه اي فى فرجها من روحنا وقال هنا فأرسلنا اليها روحنا الى قوله انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكيا دل على ان قوله روحنا ليس المراد به انه صفة لله لا الحياة ولا غيرها ولا هو رب خالق فلا هو الرب الخالق ولا صفة الرب الخالق بل هو روح من الارواح التي اصطفاها الله واكرمها كما تقدم فى قوله فأرسلنا اليها روحنا وان الاكثرين على انه جبريل وهذا الاصل الذي ذكرناه من الفرق فيما يضاف الى الله من صفاته وبين مملوكاته اصل عظيم ضل فيه كثير من اهل الارض من اهل الملل كلهم فأن كتب الانبياء التوراة والانجيل والقرآن وغيرها اضافت الى الله اشياء على هذا الوجه واشياء على هذا الوجه فأختلف الناس فى هذه الاضافة فقالت المعطلة نفاة الصفات من اهل الملل ان الجميع اضافة ملك وليس لله حياة قائمة به ولا علم قائم به ولا قدرة قائمة به ولا كلام قائم به ولا حب ولا بغض ولا غضب ولا رضى بل جميع ذلك مخلوق من مخلوقاته وهذا اول ما أبتدعه في الاسلام الجهمية وانما ابتدعوه بعد انقراض عصر الصحابة واكابر التابعين لهم باحسان وكان مقدمهم رجل يقال له الجهم ابن صفوان فنسبت الجهمية

اليه ونفوا الاسماء والصفات. واتبعهم المعتزلة وغيرهم فنفوا الصفات دون الاسمآء ووافقهم طائفة من الفلاسفة. اتباع ارسطو وقالت الحلولية بل ما يضاف الى الله قد يكون هو صفة له وان كان بائنا عنه بل قالوا هو قديم ازلي فقالوا روح الله قديمة ازلية صفة لله حتى قال كثير منهم ان ارواح بنى آدم قديمة ازلية صفة لله وقالوا ان ما يسمعه الناس من اصوات القرآء ومداد المصاحف قديم ازلى وهو صفة لله وقال حذاق هؤلاء بل غضبه ورضاه وحبه وبغضه وارادته لما يخلقه قديم ازلي وكلامه الذي سمعه موسى قديم ازلى وانه لم يزل راضيا محبا لمن علم أنه يطيعه قبل أن يخلق ولم يزل غضبانا ساخطا على من علم انه يكفر قبل ان يخلق ولم يزل ولا يزال قائلا ياادم يانوح ياابراهيم قبل ان يوجدوا وبعد موتهم ولم يزل ولا يزال يقول يا معشر الجن والانس قبل ان يخلقوا وبعد ما يدخلون الجنة والنار واما سلف المسلمين من الصحابة والتابعين لهم باحسان وأئمة المسلمين المشهورون بالامامة فيهم كالاربعة وغيرهم واهل العلم بالكتاب والسنة فيفرقون بين مملوكاته وبين صفاته فيعلمون ان العباد مخلوقون وصفات العباد مخلوقة واجسادهم وارواحهم وأصواتهم وكلامهم بالكتب الآلهية وغيرها ومدادهم وأوراقهم والملائكة والانبيآء وغيرها ويعلمون ان صفات الله القائمة به ليست مخلوقة كعلمه وقدرته وكلامه وارادته وحياته وسمعه وبصره ورضاه وغضبه وحبه وبغضه بل هو موصوف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل فلا ينفون عنه ماوصف به نفسه ولا بما وصفه به رسله ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا

يتأولون كلام الله بغير ما اراده ولا يمثلون صفات الخالق بصفات المخلوق بل يعلمون ان الله سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله بل هو موصوف بصفات الكمال منزه عن النقائص وليس له مثل في شيء من صفاته ويقولون انه لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال لم يزل متكلما اذا شآء بمشيئته وقدرته ولم يزل عالما ولم يزل قادرا ولم يزل حيا سميعا بصيرا ولم يزل مريداً فكل كمال لا نقص فيه يمكن اتصافه به فهو موصوف به لم يزل ولا يزال متصفا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال والاكرام سبحانه وتعالى والنصارى من اعظم الناس اضطرابا في هذا الاصل فتارة يجعلون كلامه الذى تكلم به كالتوراة والانجيل مخلوقا منفصلا عنه وينفون عنه الصفات وتارة يجعلون كلمته قديمة أزلية متولدة عنه لم تزل ولا تزال ثم يقولون هذه الكلمة هي ابنه ويجعلون هذه الكلمة علمه او حكمته ويقولون ان هذه الكلمة هي آله خالق وهو الذى خالق السموات والارض ويقولون هذه الكلمة هي المسيح والمسيح اله خالق العالم ويقولون مع هذا ان هذه الكلمة ليست هي الاب الذى خالق السموات والارض فيجعلون كلمته صفة قديمة أزلية ويجعلونها ابنا له ويجعلون الصفة إلها خالقا ويجعلون المسيح هو الاله الخالق ويقولون مع هذا هو آله حق من آله حق من جوهر ابيه ولهم في كلام الله وصفاته من التناقض والاضطراب ومخالفة كلام الانبيآء وتفسيره بغير ما اراده ومخالفة صريح المعقول وصحيح المنقول ما سنذكر ان شآء الله تعالى منه ما يسره الله اذ بيان فساد دين النصارى بالاستقصآء لا يتسع له هذا الكتاب ولما

قص الله تعالى قصة المسيح قال (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) اى يشكون ويتمارون كتمارى اليهود والنصارى ثم قال تعالى (فاختلف الاحزاب من بينهم) فاختلفت اليهود والنصارى فيه ثم اختلفت النصارى فيه وصاروا احزابا كثيرة جدا كالنسطورية واليعقوبية والملكية والباروبية والمرعانية والسمياطية وامثال هذه الطوائف كما سنذكر ان شآء الله تعالى كثيرا من طوائفهم واختلافهم فى مجامعهم كما حكي ذلك عنهم احذا كابرهم سعيد بن البطريق وغيره فانه ليس فى الامم اكثر اختلافا في رب العالمين منهم فويل للذين كفروا من هذه الطوائف كلها من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا يقول تعالى ما اسمعهم وما ابصرهم يوم ياتوننا لكن الظالمون اليوم كالنصارى الذين ظلموا بافكهم وشركهم فى ضلال مبين ضلوا عن الحق فى المسيح وقد وصف الله النصارى بالضلال فى مثل قوله تعالى (يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهوآء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سوآء السبيل) وقال تعالي (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ماهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا) لان الغالب عليهم الجهل بالدين وانهم يتكلمون بكلام لا يعقلون معناه ليس منقولا عن الانبيآء حتي يسلم لقائله بل هم ابتدعوه واذا سألتهم عن معناه قالوا هذا لا يعرف بالعقول فيبتدعون كلاما يعرفون بانهم لا يعقلونه وهو كلام متناقض ينقض اوله اخره ولهذا لا تجدهم يتفقون على قول واحد فى معبودهم حتى قال بعض الناس لو اجتمع عشرة نصارى

افترقوا على احد عشر قولا. وقال الربيعي النصارى اشد الناس اختلافا في مذاهبهم واقلهم تحصيلا لها لا يمكن ان يعرف لهم مذهب ولو سألت قسا من اقسائهم عن مذهبهم في المسيح وسألت اباه وامه لاختلفوا عليك الثلاثة واقال كل واحد منهم قولا لا يشبه قول الآخر. وقال بعض النظار مامن قول يقوله طائفة من العقلاء الا اذا تأملته تصورت منه معنى معقولا وان كان باطلا الا قول النصارى فانك كلما تأملته لم تتصور له حقيقة تعقل لكن غايتهم ان يحفظوا الامانة او غيرها واذا طولبوا بتفسير ذلك فسره كل منهم بتفسير يكفر به الآخر كما يكفر اليعقوبية والملكانية والنسطورية بعضهم بعضاً لاختلافهم في أصل التوحيد والرسالة اذ كان قولهم في التوحيد والرسالة من افسد الاقوال واعظمها تناقضاً كما بين في موضع آخر

(فصل) واما قولهم فكان طيراً باذن الله اي باذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت فهذا اذا قالوه على انه مذهبهم من غير ان يقولوا ان محمداً أراده. تكلمنا معهم في ذلك وبينا فساد ذلك عقلا ونقلا. واما قولهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يقول ان المراد إذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت فهذا من البهتان الظاهر على محمد صلى الله عليه وسلم وهو من جنس قولهم ان قوله (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم) اراد به النصارى ومن جنس قولهم ان قوله (ومن يبتغ غير الاسلام دينا) اراد به من العرب ومن جنس قولهم (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) اراد بهم الحواريين ومن جنس قولهم (الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين) اراد به الانجيل. فهذه

المواضع التى فسروا بها القرآن وزعموا ان محمداً صلى الله عليه وسلم
الذى بين للناس ما انزل اليهم كان يريد بها مايتلوه من القرآن هـذه
المعانى التى ذكروها وهى من الكذب الظاهر الذى يدل على غاية جهل
قائلها أو غاية معاندته ولكن مثل هذا التأويل غير مستنكر من النصارى
فانهم قد فسروا مواضع كثيرة من التوراة والانجيل والزبور والنبوات بنحو
هذه التفاسير التى حرفوا فيها الكلام الذي جاءت به الانبياء عن مواضعه
تحريفاً ظاهرا فبدلوا بذلك كتب الله ودين الله وضاهوا بذلك اليهود
الذين حرفوا وبدلوا وان اختلفت جهة التحريف والتبديل فتحريفهم
للقرآن من جنس تحريفهم للتوراة والانجيل وهم من الذين يدعون
المحكم ويتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله لكن في
هذه المواضع حرفوا المحكم الذى معناه ظاهر لايحتمل الا معنى واحدا
فكانوا من الجهل والمعاندة ابعد عن الصواب ممن حرف معنى المتشابه
وذلك انه قد علم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم انه كان
يقول ان المسيح عند الله مخلوق كسائر المرسلين وانه يكفر النصارى
الذين يقولون هو الله وابن الله قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله
هو المسيح بن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح
بن مريم وامه ومن في الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما
بينهما يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير) وقال تعالى (لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) وقال المسيح (يابني اسرائيل
اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين

كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) فقد ذكر كفر النصارى فى قولهم هو الله مرتين وذكر انه ليس المسيح الا رسول قد خلت من قبله الرسل فغايته الرسالة كما قال في محمد صلى الله عليه وسلم (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) وغاية امه ان تكون صديقة ودل بهذا انها ليست بنبية ثم قال كانا يأكلان الطعام وهذا من اظهر الصفات النافية للالهية لحاجة الاكل الى ما يدخل فى جوفه ولما يخرج منه مع ذلك من الفضلات . والرب تعالى احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد. والنصارى تقول انه يلد وانه يولد وان له كفوا كما قد بين فى موضع آخر وقد اخبر بعبودية المسيح فى غير موضع كقوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا اآلهتنا خيرام هو ما ضربوه لك الاجدلاً بل هم قوم خصمون ان هو الاعبد إنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل) واخبر تعالى ان اول شيء نطق به المسيح قوله اني عبد الله أتاني الكتاب وجعلى نبياً وقال تعالى (واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وامي الهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى ان اقول ماليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته) الآيات الى قوله

شهيد. وقال تعالى (يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم) الآيات كلها فاذا كان قد علم بالاضطرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم وبالنقل المتواتر عنه وباجماع امته اجماعاً يستندون فيه الى النقل عنه وبكتابه المنزل عليه وسنته المعروفة عنه انه كان يقول ان المسيح عبد الله ورسوله ليس هو الا رسول وانه يكفر النصارى الذين يقولون هو الله وهو ابن الله والذين يقولون ثالث ثلاثة وامثال ذلك كان بعد هذا تفسيرهم لقول الله الذى بلغه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيكون طيرا بأذن الله أى بأذن اللاهوت الذى هو كلمة الله المتحدة بالناسوت كذباً ظاهراً على محمد صلي الله عليه وسلم. وهذا مما يعرف كذبهم فيه على محمد صلى الله عليه وسلم جميعُ اهل الارض العالم بحال محمد صلى الله عليه وسلم سوآء اقروا بنبوته او انكروها. فالمقصود فى هذا المقام ان هؤلاء كذبوا على محمد صلي الله عليه وسلم كذباً ظاهراً معلوماً للخلق المؤمنين به والمكذبين له ليس هو كذباً خفيا. وان قدر ان ما قالوه يكون ممكنا معقولا فكيف اذا كان ممتنعاً في صرائح العقول بل هو قول غير معقول أي غير معقول ثبوته في الخارج وان كان يعقل مايتخلفون ويعلم به فساد عقولهم لمن قال سائر الاقوال المتناقضة الفاسدة التى يمتنع ثبوتها فى الخارج وذلك كما قد بسط في موضع آخر فأن قولهم بأذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت باطل من وجوه. منها ان تلك الكلمة اما ان تكون هي الله او صفة لذاته. اولا هي ذاته ولا هي صفة له. او الذات والصفة جميعاً. فان لم تكن هي ذات الاله ولا صفته. ولا الذات والصفة كانت بائنة

عنه مخلوقة له ولم يكن لاهوتا بل ولا خالقه وحينئذ فلم يتحد بالمسيح لاهوت بل لم يتحد به ان كان اتحد به الا مخلوق. وان كانت الكلمة هي الذات او الذات والصفة فهي رب العالمين وهي الاب عندهم وهم متفقون على ان المسيح ليس هو الاب ولم يتحد به الاب بل الابن. وان كانت الكلمة صفة لله عز وجل فصفة الله ليست هي الآله الخالق والمسيح عندهم هو الاله الخالق وأيضاً فصفة الله قائمة بذاته لا تفارق ذاته وتحل بغيره وتتحد به وكلمة الله عندهم اتحدت بالمسيح وان قالوا قولنا هذا كما يقول طائفة من المسلمين ان القرآن او التوراة او الانجيل حل في القرآء او اتحد بهم وان القديم حل في المخلوق او اتحد به ونحو ذلك قيل لو كان قول هؤلآء صواباً لم يكن لهم فيه حجة فانه على هذا التقدير لا فرق بين المسيح و بين سائر من يقرأ التوراة والانجيل والزبور والقرآن وانتم تدعون ان المسيح هو الله او ابن الله مخصوصاً بذلك دون غيره وأيضاً فهؤلآء وجميع الامم متفقون على ان قراء القرآن وسائر الكتب الالهية ليس واحد منهم هو الله ولا هو ابن الله ولا انه خالق العالم فاذا جعلتم قولكم مثل قول هؤلآء لزمكم ان لا يكون المسيح هو الله ولا ابن الله ولا ربا للعالم وأيضاً فلم نعلم احداً من هؤلآء قال ان اللاهوت اتحد بالناسوت ولا ان القديم اتحد بالمحدث ولا ان كلام الله صار هو والمخلوق شيئاً واحدا فالاتحاد باطل باتفاق هؤلاء وغيرهم ولكن طائفة منهم اطلقت لفظ الحلول. وطائفة انكرت لفظ الحلول وقالوا انما نقول ظهر القديم في المحدث لا حل فيه لكن قالوا ما يستلزم الحلول. وسلف المسلمين وجمهورهم يخطئون هؤلآء ويبينون خطأهم عقلا ونقلا وقولهم ليس هو قول احد

من أئمة المسلمين ولا قول طائفة مشهورة من طوائف المسلمين كالمالكية والشافعية والحنفية والحنبلية والثورية والداودية والاسحاقية وغيرهم ولا قول طائفة من طوائف المتكلمين من المسلمين لا المتسببين الي السنة كالاشعرية والكرامية ولا غيرهم كالمعتزلة والشيعة وامثالهم وانما قال ذلك طائفة قليلة انتسبت الى بعض علماء المسلمين مثل قليل من المالكية والشافعية والحنبلية وهؤلآء غايتهم ان يقولوا بحلول صفة من صفات الله وكذلك من قال بحلول الرب واتحاده فى العبد من طوائف الغلاة المتسببين الى التشيع والتصوف او غيرهم فهم ضلال كالنصارى مع انه لا حجة للنصارى على هؤلاء اذ كان مايقولونه لايختص به المسيح بل هو مشترك بينه وبين غيره من الانبياء والصالحين والنصارى تدعى اختصاص المسيح بالاتحاد مع ان المتحد بالناسوت صار هو والناسوت شيئاً واحداً ومع الاتحاد فيمتنع ان يكون لاحدهما فعل اوصفة خارج عن الآخر .والنصارى يدعون الاتحاد ثم يتناقضون . فمنهم من يقول جوهر واحد . ومنهم من يقول جوهران . ومنهم من يقول مشيئة واحدة.ومنهم من يقول مشيئتان كما سيأتي الكلام ان شآء الله تعالى على ذلك

(فصل) واما قوله تعالى (ياعيسى انى متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) فهذا حق كما اخبر الله به فمن اتبع المسيح عليه السلام جعله الله فوق الذين كفروا الى يوم القيامة وكان الذين اتبعوه على دينه الذى لم يبدل قد جعلهم الله فوق اليهود وايضا فالنصارى فوق اليهود

الذين كفروا به الى يوم القيامة.واما المسلمون فهم مؤمنون به ليسوا كافرين به بل لمّا بدل النصارى دينه و بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بدين الله الذي بعث به المسيح وغيره من الانبيآء جعل الله محمداً وامته فوق النصارى الى يوم القيامة كما في الصحيحين عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبيآء ديننا واحد وإنَّ اولى الناس بابن مريم لانا لانه ليس بيني وبينه نبي ٌ وقال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه كبر على المشركين) وقال تعالى (ياايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون) فكل من كان اتم ايمانا بالله ورسله كان احق بنصر الله تعالى فان الله تعالى يقول في كتابه (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقال فى كتابه (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنالهم الغالبون) واليهود كذبوا المسيح ومحمدا صلى الله عليهما وسلم كما قال الله فيهم(بئس ماشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغياً ان ينزل الله من فضله على من يشآء من عباده فبآؤا بغضب على غضب) فالغضب الاول تكذيبهم المسيح والثانى محمداً صلى الله عليه وسلم.والنصارى لم يكذبوا المسيح وكانوا منصورين على اليهود والمسلمون منصورون على اليهود والنصارى فانهم آمنوا بجميع كتب الله ورسله ولم يكذبوا بشيء من كتبه ولا كذبوا أحدا من رسله بل

تبعوا ما قال الله لهم حيث قال (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون) وقال تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير) ولما كان المسلمون هم المتبعون لرسل الله كلهم المسيح وغيره وكان الله قد وعد الرسل واتباعهم قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح لا تزال طائفة من امتي ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة.وقال ايضا سالت ربي ان لا يسلط على امتي عدوا من غيرهم فيجتاحهم فاعطانيها (الحديث) فكان ما احتجوا به حجة عليهم لا لهم

(فصل) واما قولهم وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس فهذا حق كما قال تعالى وقد ذكر تعالى تأييد عيسى بن مريم بروح القدس في عدة مواضع فقال تعالى في سورة البقرة (ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس) وقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) وقال تعالي (ياعيسى بن

مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني) وقد قال تعالى في القرآن (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق) وقال تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله) فروح القدس الذى نزل بالقرآن من الله هو الروح الامين وهو جبريل وثبت فى الصحيح عن أبي هريرة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت أجب عنى اللهم أيده بروح القدس وفى صحيح مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت ان روح القدس لايزال يؤيدك مانافحت عن الله ورسوله. وفى الصحيحين عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان بن ثابت إهجهم أو هاجهم وجبريل معك فهذا حسان بن ثابت واحد من المؤمنين لما نافح عن الله ورسوله وهجا المشركين الذين يكذبون الرسول أيده الله بروح القدس وهو جبريل عليه السلام وأهل الارض يعلمون ان محمدا صلي الله عليه وسلم لم يكن يجعل اللاهوت متحدا بناسوت حسان بن ثابت فعلم ان أخباره بان الله أيده بروح القدس لا يقتضى اتحاد اللاهوت بالناسوت فعلم ان التأييد بروح القدس ليس من خصائص المسيح وأهل الكتاب

يقرون بذلك وان غيره من الانبياء كان مؤيدا بروح القدس كداود وغيره بل يقولون ان الحواريين كانت فيهم روح القدس وقد ثبت باتفاق المسلمين واليهود والنصارى ان روح القدس يكون في غير المسيح بل في غير الانبياء كما سيأتي ان شاء الله تعالى وانما المقصود في هذا المقام بيان كذبهم على محمد صلى الله عليه وسلم وهذا التأييد نظير قوله تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا أباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) فهذا التأييد بروح منه عام لكل من لم يحب اعداء الرسل وان كانوا اقاربه بل يحب من يؤمن بالرسل وان كانوا اجانب ويبغض من لم يؤمن بالرسل وان كانوا اقارب وهذه ملة ابراهيم قال تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده) وقال تعالى (واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني برآء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون) وقال تعالى (فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه) وهذا التأييد بروح القدس لمن ينصر الرسل عام في كل من نصرهم على من خالفهم من المشركين واهل الكتاب كما تقدم وليس في القرآن ولا في الانجيل ولا غير ذلك من كتب الانبياء ان روح القدس الذي أيد به المسيح هو صفة الله القائمة به وهي حياته ولا ان روح القدس يخلق ويرزق فليس روح القدس هي الله ولا صفة من صفات الله بل ليس في شيء من

كلام الانبياء ان صفة الله القائمة به تسمى ابنا ولا روح القدس . فاذا
تأول النصارى قول المسيح عمدوا الناس باسم الاب والابن وروح
القدس على ان الابن صفته التى هي العلم وروح القدس صفته التى هي
الحياة كان هذا كذباً بيناً على المسيح ولا يوجد قط فى كلامه ولا كلام
غيره من الانبياء تسمية الله ولا شيء من صفاته ابنا ولا حياته روح
القدس . وايضافهم يذكرون في الامانة ان المسيح تجسد من مريم ومن
روح القدس وهذا يوافق ماأخبر الله به من انه ارسل روحه الذى
هو جبريل وهو روح القدس فنفخ فى مريم فحملت بالمسيح فكان
المسيح متجسداً مخلوقا من امه من ذلك الروح وهذا الروح ليس صفة
الله لا حياته ولا غيرها بل روح القدس قد جاء ذكرها كثيراً فى كلام
الانبياء ويراد بها اما الملك واما مايجعله الله فى قلوب انبيائه واوليائه من
الهدى والتأييد ونحو ذلك كما قال تعالى (اولئك كتب في قلوبهم الايمان
وايدهم بروح منه) وقال تعالى (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به
من نشاء من عبادنا) وقال تعالى (ينزل الملائكة بالروح من امره على
من يشاء من عباده) وقال تعالى (يلقى الروح من امره على من
يشاء من عباده لينذر يوم التلاق) فسمى الملك روحا وسمى ماينزل به
الملك روحا وهما متلازمان والمسيح عليه السلام مؤيد بهذا وهذا . ولهذا
قال كثير من المفسرين انه جبريل وقال بعضهم انه الوحي وهذا
كلفظ الناموس يراد به صاحب سر الخير كما يراد بالجاسوس صاحب
سر الشر فيكون الناموس جبريل ويراد به الكتاب الذى نزل به وما

فيه من الامر والنهي والشرع ولما قال ورقة بن نوفل للنبي صلى الله عليه وسلم هذا هو الناموس الذى كان يأتى موسى فسر الناموس بهذا وهذا وهما متلازمان

(فصل)واما قوله تعالى (ولقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فأتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون) فهو حق كما قال تعالى وليس فى ذلك مدح للرهبانية ولا لمن بدل دين المسيح وانما فيه مدح لمن اتبعه بما جعل الله في قلوبهم من الرحمة والرأفة حيث يقول وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم أى وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم وهذه الرهبانية لم يشرعها الله ولم يجعلها مشروعة لهم بل نفى جعله عنها كما نفى ذلك عما ابتدعه المشركون بقوله (ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) وهذا الجعل المنفى عن البدع هو الجعل الذى اثبته للمشروع بقوله تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقوله (ولكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه)فالرهبانية ابتدعوها لم يشرعها الله وللناس فى قوله ورهبانية قولان احدهما انها منصوبة يعنى ابتدعوها اما

بفعل مضمر على قوله وأصحابه يفسره ما بعده (١) أو يقال هذا الفعل يعمل في المضمر والمظهر كما هو قول الكوفيين حكاه عنهم ابن جرير وثعلب وغيرهما ونظيره قوله يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما وقوله (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) وعلى هذا القول فلا تكون الرهبانية معطوفة على الرأفة والرحمة فالقول الثاني انها معطوفة عليها فيكون الله قد جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية المبتدعة ويكون هذا جعلا خلقيا كونيا والجعل الكوني يتناول الخير والشر كقوله تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) وعلى هذا القول فلا مدح للرهبانية لانها في القلوب فثبت انه على التقديرين ليس في القرآن مدح ثم قال الا ابتغاء رضوان الله اي لم يكتب عليهم إلا ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله بفعل ما أمر به لا بما يبتدع. وهذا يسمى استثناء منقطعاً كما في قوله مالهم به من علم الا اتباع الظن) وقوله (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم) وقوله تعالى (لايذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى) وقوله (فما لهم لايؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لايسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله اعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب اليم الاالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) وقوله تعالى (لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الاقيلا سلاما سلاما) وقوله (وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمناً الاخطأً) وهذا اصح الاقوال في هذه الآية كما هو مبسوط في موضع

---

(١) المعنى ابتدعوا رهبانية ابتدعوها واصحاب هذا يقولون تفسيره ما بعده

آخر وذكر انهم ابتدعوا الرهبانية ولايجوز ان يكون المعنى ان الله كتبها عليهم ابتغاء رضوان الله فان الله لا يفعل شيئاً ابتغاء رضوان نفسه ولا ان المعنى انهم ابتدعوها ابتغاء رضوانه كما يظن هذا. وهذا بعض الغالطين كما قد بسط في موضع آخر و ذكر انهم ابتدعوا الرهبانية وما رعوها حق رعايتها وليس في ذلك مدح لهم بل هو ذم ثم قال تعالى (فآتينا الذين آمنوا منهم اجرهم) وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكثير منهم فاسقون ولو اريد الذين آمنوا بالمسيح أيضاً فالمراد من اتبعه على دينه الذي لم يبدل والآن فكلهم يقولون انهم مؤمنون بالمسيح وبكل حال فلم يمدح سبحانه الا من اتبع المسيح على دينه الذى لم يبدل ومن آمن بمحمد صلي الله عليه وسلم لم يمدح النصارى الذين بدلوا دين المسيح ولا الذين لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم. فان قيل قد قال بعض الناس ان قوله تعالى (ورهبانية ابتدعوها) عطف على رأفة ورحمة وان المعنى ان الله جعل فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها وجعلوا الجعل شرعيا ممدوحاً. قيل هذا غلط لوجوه. منها ان الرهبانية لم تكن في كل من اتبعه بل الذين صحبوه كالحواريين لم يكن فيهم راهب وانما ابتدعت الرهبانية بعد ذلك بخلاف الرأفة والرحمة فانها جعلت فى قلب كل من اتبعه . ومنها انه اخبر انهم ابتدعوا الرهبانية بخلاف الرأفة والرحمة فأنهم لم يبتدعوها واذا كانوا ابتدعوها لم يكن قد شرعها لهم فان كان المراد هو الجعل الشرعى الدينى لا الجعل الكونى القدرى فلم تدخل الرهبانية في ذلك وان كان المراد الجعل الخلقي الكونى فلا مدح للرهبانية في ذلك .ومنها ان الرأفة والرحمة جعلها في

القلوب . والرهبانيـة لاتختص بالقلوب بل الرهبانيـة تتضمن ترك المباحات من النكاح واللحم وغير ذلك وقـد كان طائفة من الصحابة رضوان الله عليهم هموا بالترهب فانزل الله تعـالى نهيهم عن ذلك بقوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لـكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين) وثبت في الصحيحين ان نفرا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال احدهم . اما انا فاصوم لا افطر وقال الآخر . اما انا فاقوم لا انام . وقال الآخر اما انا فلا اتزوج النسآء وقال الاخر اما انا فلا أكل اللحم . فقام النبي صلى لله عليه وسلم خطيباً فقال مابال رجال يقول احدهم كذا وكذا لـكني اصوم وافطر واقوم وأنام واتزوج النساء وأكل اللحم فمن رغب عن سنتي فليس مني . وفي صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم رأي رجلا قائماً في الشمس فقال ماهذا . قال هذا ابو اسرائيل نذر ان يقوم في الشمس ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم فقال مروه فليجلس وليستظل وليتكلم وليتم صومه وثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليـه وسلم انه كان يقول في خطبته خير الكلام كلام الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضـلالة . وفي السنن عن العرباض بن سارية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة . قال الترمذي حديث حسن صحيح وقد بينت النصوص الصحيحة ان الرهبـانية بدعة وضلالة وما كان بدعة وضلالة لم يكن هدى ولم يكن الله جعلها بمعنى انه شرعها كما لم يجعل الله ما شرعـه

المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام. فان قيل قد قال طائفة معناها ما فعلوها إلاَّ ابتغآء رضوان الله ما كتبناها عليهم الا ابتغآء رضوان الله . وقالت طائفة مافعلوها او ما ابتدعوها الا ابتغاء رضوان الله . قيل كلا القولين خطأ والاول اظهر خطأ فان الرهبانية لم يكتبها الله عليهم بل لم يشرعها لا ايجابا ولا استحبابا ولكن ذهبت طائفة الى انهم لما ابتدعوها كتب عليهم اتمامها وليس في الآية ما يدل على ذلك فانه قال (ما كتبناها عليهم الا ابتغآء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) فلم يذكر انه كتب عليهم نفس الرهبانية ولا اتمامها ولا رعايتها بل اخبر انهم ابتدعوا بدعة وان تلك البدعة لم يرعوها حق رعايتها . فان قيل قوله تعالى (فما رعوها حق رعايتها) يدل على انهم لو رعوها حق رعايتها لكانوا ممدوحين. قيل ليس في الكلام مايدل على ذلك بل يدل على انهم مع عدم الرعاية يستحقون من الذم مالا يستحقونه بدون ذلك فيكون ذم من ابتدع البدعة ولم يرعها حق رعايتها أعظم من ذم من رعاها وان لم يكن واحد منهما محموداً بل مذموماً مثل نصارى بني تغلب ونحوهم ممن دخل في النصرانية ولم يقوموا بواجباتها بل أخذوا منها ماوافق أهواءهم فكان كفرهم وذمهم أغلظ ممن هو أقل شرا منهم والنار دركات كما ان الجنة درجات وأيضاً فالله تعالى اذا كتب شيئاً على عباده لم يكتب ابتغاء رضوانه بل العباد يفعلون مايفعلون ابتغاء رضوان الله وأيضاً فتخصيص الرهبانية بانه كتبها ابتغاء رضوان الله دون غيرها تخصيص بغير موجب فان ما كتبه ابتداء لم يذكر انه كتبه ابتغاء رضوانه فكيف بالرهبانيه ؟ وأما قول من قال

مافعلوها الا ابتغاء رضوان الله) فهذا المعنى لو دل عليه الكلام لم يكن في ذلك مدح للرهبانية فان من فعل مالم يأمر الله به بل نهاه عنه مع حسن مقصده غايته ان يثاب على قصده لا يثاب على ما نهى عنه ولا على ماليس بواجب ولا مستحب فكيف والكلام لا يدل عليه فانه قال (ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله) لم يقل مافعلوها الا ابتغاء رضوان الله ولا قال ما ابتدعوها الا ابتغاء رضوان الله ولو كان المراد مافعلوها أو ما ابتدعوها الا ابتغاء رضوان الله لكان منصوبا على المفعولية ولم يتقدم لفظ الفعل ليعمل فيه ولا نفى الابتداع بل أثبته لهم وانما تقدم لفظ الكتابة فعلم ان القول الذى ذكرناه هو الصواب وانه استثناء منقطع فتقديره وابتدعوا رهبانية ما كتبناها عليهم لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله فان ارضاء الله واجب مكتوب على الخلق وذلك يكون بفعل المأمور وبترك المحظور لا بفعل مالم يأمر بفعله وبترك مالم ينه عن تركه والرهبانية فيها فعل مالم يأمر به وترك مالم ينه عنه

(فصل) وأما قوله تعالى (من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين) فهذه الآية لا اختصاص فيها للنصارى بل هى مذكورة بعد قوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم

يولوكم الادبار ثم لاينصرون ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ثم قال (ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة) ومعلوم ان الصفة المذكورة في قوله (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) صفة لليهود وكذلك قوله ضربت عليهم الذلة والمسكنة فقوله عقب ذلك من اهل الكتاب امة قائمة لابد ان يكون متناولا لليهود ثم قد اتفق المسلمون والنصارى على ان اليهود مع كفرهم بالمسيح ومحمد صلى الله عليهما وسلم ليس فيهم مؤمن وهذا معلوم بالاضرار من دين محمد صلى الله عليه وسلم والآية اذا تناولت النصارى كان حكمهم في ذلك حكم اليهود والله تعالى انما اثنى على من آمن من اهل الكتاب كما قال تعالى (وانّ من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) وقد ذكر اكثر العلماء ان هذه الآية الاخرى في آل عمران نزلت في النجاشي ونحوه ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم لكنه لم تمكنه الهجرة الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا العمل بشرائع الاسلام لكون اهل بلده نصارى لايوافقونه على اظهار شرائع الاسلام وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم انما صلى عليه لما مات لاجل هذا فانه لم يكن هناك من يظهر الصلاة عليه في جماعة كثيرة ظاهرة كما يصلى المسلمون على جنائزهم. وهذا جعل من أهل الكتاب مع

كونه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم بمنزلة من يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فى بلاد الحرب ولا يتمكن من الهجرة الى دار الاسلام ولا يمكنه العمل بشرائع الاسلام الظاهرة بل يعمل مايمكنه ويسقط عنه مايعجز عنه كما قال تعالى (وان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) فقد يكون الرجل في الظاهر من الكفار وهو فى الباطن مؤمن كما كان مؤمن آل فرعون قال تعالى (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لايهدى من هو مسرف كذاب ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله انجاءنا قال فرعون ما اريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد وياقوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فماله من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى إله موسى وانى لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد

فرعون الا في تباب وقال الذي آمن ياقوم اتبعونى أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزي الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب وياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لا كفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لاجرم انّ ما تدعوننى اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا فى الآخرة وان مردنا الي الله وان المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) فقد اخبر سبحانه وتعالى انه حاق بآل فرعون سوء العذاب واخبر انه كان من آل فرعون رجل مؤمن يكتم ايمانه وانه خاطبهم بالخطاب الذي ذكره فهو من آل فرعون باعتبار النسب والجنس والظاهر. وليس هو من آل فرعون الذين يدخلون اشد العذاب وكذلك امرأة فرعون ليست من آل فرعون هؤلاء قال تعالى (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتاً في الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين) وامرأة الرجل من آله بدليل قوله (الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته كانت من الغابرين) وهكذا أهل الكتاب فيهم من هو في الظاهر منهم وهو فى الباطن يؤمن بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم يعمل بما يقدر عليه ويسقط عنه

ما يعجز عنه علما وعملا ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وهو عاجز عن الهجرة الى دار الاسلام كعجز النجاشى وكما ان الذين يظهرون الاسلام فيهم من هم فى الظاهر مسلمون وفيهم من هو منافق كافر فى الباطن. امايهودى. واما نصرانى. وامامشرك واما معطل. كذلك فى اهل الكتاب والمشركين من هو فى الظاهر منهم وهو في الباطن من أهل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يفعل ما يقدر على علمه وعمله ويسقط عنه ما يعجز عنه من ذلك . وفي حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن انس قال لما مات النجاشى قال النبي صلى الله عليه وسلم استغفروا لاخيكم فقال بعض القوم تأمرنا ان نستغفر لهذا العلج يموت بارض الحبشة فنزلت (وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم) ذكره ابن ابى حاتم وغيره باسانيدهم وذكره حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن البصرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استغفروا لاخيكم النجاشي فذكر مثله وكذلك ذكر طائفة من المفسرين عن جابر وابن عباس وانس وقتادة انهم قالوا نزلت هذه الآية في النجاشى ملك الحبشة واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فقالوا ومن هو؟ قال النجاشي فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع وزاد بعضهم وكشف له من المدينة الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له. فقال المنافقون ابصروا الى هذا

يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فأنزل الله تعالى هذه الآية (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لايشترون بآيات الله ثمناً قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب) وقد ذهبت طائفة من العلماء الى انها نزلت فيمن كان على دين المسيح عليه السلام الى ان بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فآمن به كما نقل ذلك عن عطآء. وذهبت طائفة الى انها نزلت في مؤمن اهل الكتاب كلهم. والقول الاول اجود فان من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم واظهر الايمان به وهو من اهل دار الاسلام يعمل بما يعمله المسلمون ظاهراً وباطنا فهذا من المؤمنين وان كان قبل ذلك مشركا يعبد الاوثان فكيف اذا كان كتابيا وهذا مثل عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وغيرهما وهؤلآء لايقال انهم من اهل الكتاب كما لايقال في المهاجرين والانصار انهم من المشركين وعباد الاوثان ولا ينكر احد من المنافقين ولا غيرهم ان يصلى على واحد منهم. بخلاف من هو في الظاهر منهم وفي الباطن من المؤمنين وفي بلاد النصارى من هذا النوع خلق كثير يكتمون ايمانهم اما مطلقا واما يكتمونه عن العامة ويظهرونه لخاصتهم وهولآء قد يتناولهم قوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله) الآية فهؤلآء لايدعون الايمان بكتاب الله ورسوله لأجل مال يأخذونه كما يفعل كثير من الاحبار والرهبان الذين يأكلون اموال الناس بالباطل ويصدونهم عن سبيل الله فيمنعونهم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم. واما قوله (من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله انآء الليل وهم يسجدون يؤمنون

بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واؤلئك من الصالحين) فهذه الآية تتناول اليهود اقوى مما تتناول النصارى ونظيره قوله تعالى (ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون) هذا مدح مطلق لمن تمسك بالتوراة ليس فى ذلك مدح لمن كذب المسيح ولا فيها مدح لمن كذب محمداً صلى الله عليه وسلم وهذا الكلام تفسيره سياق الكلام فانه قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ثم قال تعالى (ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون) فقد جعلهم نوعين نوعاً مؤمنين ونوعا فاسقين وهم اكثرهم لقوله تعالى(منهم المؤمنون) يتناول من كان مؤمناً قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم كما يتناولهم قوله تعالى (وجعلنافى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) الى قوله (وكثير منهم فاسقون) وكذلك قوله تعالى (ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) وقوله عن ابراهم الخليل (وباركنا عليه وعلى اسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) ثم لما قال (واكثرهم الفاسقون) قال (لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لاينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) وضرب الذلة عليهم اينما ثقفوا ومبآؤهم بغضب من الله الآية وما ذكر معه من قتل الانبياء بغير حق وعصيانهم

واعتدائهم كان اليهود متصفين به قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى في سورة البقرة (واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وبآؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) ثم قال بعد ذلك (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون) فتناولت هذه الآية من كان من أهل هذه الملل الاربع متمسكا بها قبل النسخ بغير تبديل كذلك آية آل عمران لما وصف أهل الكتاب بما كانوا متصفاً به اكثرهم قبل محمد صلى الله عليه وسلم من الكفر قال (ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين) وهذا يتناول من كان متصفا منهم بهذا قبل النسخ فانهم كانوا على الدين الحق الذى لم يبدل ولم ينسخ كما قال فى الاعراف (ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم فى الارض امماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لايقولوا على الله الا

الحق ودرسوا مافيه والدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاة انا لا نضيع اجر المصلحين) وقد قال تعالى مطلقا (وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون) فهذا خبر من الله عمن كان متصفا بهذا الوصف قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم ومن ادرك من هؤلاء محمداً صلى الله عليه وسلم فآمن به كان له اجره مرتين

(فصل) قالوا ثم وجدناه يعظم انجيلنا ويقدم صوامعنا ويشرف مساجدنا ويشهد بأن اسم الله يذكر فيها كثيراً وذلك مثل قوله (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) . والجواب ان فيها ذكر الصوامع والبيع واما قوله ويذكر فيها اسم الله كثيرا فانما ذكره عقب ذكر المساجد والمساجد للمسلمين وليس المراد بها كنائس النصارى فانما هي البيع ثم قوله يذكر فيها اسم الله كثيراً اما ان يكون مختصا بالمساجد فلا يكون في ذلك اخبار بان اسم الله يذكر كثيرا في الصوامع والبيع . واما ان يكون ذكر اسم الله في الجميع فلا ريب ان الصوامع والبيع قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم كان فيها من يتبع دين المسيح الذي لم يبدل ويذكر فيها اسم الله كثيراً . وقد قيل انها بعد النسخ والتبديل يذكر فيها اسم الله كثيرا وان الله يحب ان يذكر اسمه قال الضحاك ان الله يحب ان يذكر اسمه وان كان يشرك به يعني ان المشرك به خير من المعطل الجاحد الذي لا يذكر اسم الله بحال . واهل الكتاب خير من المشركين وقد

ذكرنا انه لما اقتتل فارس والروم وانتصرت الفرس ساء ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهوا انتصار الفرس على النصارى لان النصارى اقرب الى دين الله من المجوس . والرسل بعثوا بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وتقديم خير الخيرين على ادناهما حسب الامكان ودفع شر الشرين بخيرهما فهدم صوامع النصارى وبيعهم فساد اذا هدمها المجوس والمشركون.واما اذا هدمها المسلمون وجعلوا اماكنها مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً فهذا خير وصلاح وهذه الآية ذكرت في سياق الاذن للمسلمين بالجهاد بقوله تعالى (اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) وهذه الآية اول آية نزلت في الجهاد ولهذا قال(الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله) ثم قال (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) فيدفع بالمؤمنين الكفار ويدفع شر الطائفتين بخيرهما كما دفع المجوس بالروم النصارى ثم دفع النصارى بالمؤمنين امة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا كما قال في سورة البقرة (وقتل داوود جالوت واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض و لكن الله ذو فضل على العالمين) واما التقديم في اللفظ فانه يكون للانتقال من الادنى الى الاعلى كقوله تعالى (قل انما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً وان تقولوا على الله مالا تعلمون)وقوله (يوم يفر المرء من أخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه) وقوله (والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا)ونظائره متعددة

وكذلك فى قوله تعالى (لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) بين سبحانه انه لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت مواضع العبادات. وهدمها فساد اذا هدمها من لا يبدلها بخير منها وادناها هى الصوامع فان الصومعة تكون لواحد او طائفة قليلة فبدا بادنى المعابد وختم باشرفها وهى المساجد التي يذكر فيها اسم الله كثيراً ففى الجملة حكم هذه المعابد حكم اهلها. واهلها قبل النسخ والتبديل مؤمنون مسلمون وهدم معابد المؤمنين المسلمين فساد وبعد النسخ والتبديل اذا غلب أهل الكتاب من هو شر منهم كالمجوس والمشركين وهدموا معابدهم كان ذلك فسادا واذا هدمها من هو خير منهم كأمة محمد صلى الله عليه وسلم وابدلوها مساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولا يشرك به ويذكر فيها الايمان بجميع كتبه ورسله كان ذلك صلاحا لافساداً ولهذا امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخذ المساجد مواضع معابد الكفار كما كان لثقيف أهل الطائف معبد يعبدون فيه اللات التي قال الله فيها (افرأيتم اللات والعزى) فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يهدم ذلك المعبد ويتخذ مكانه المسجد الذى يعبد الله وحده فيه فان المساجد هى بيوت الله فى الارض قال تعالى (قل امر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدا كم تعودون وقال تعالى (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا) وقال تعالى (ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم) الآية الى قوله المهتدين وقال تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره) الآية الى قوله (بغير حساب) ثم لما

ذكر المؤمنين ذكر الكفار من أهل الكتاب والمشركين فذكر اهل الجهل المركب والبسيط فقال تعالى (والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب او كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) فقد تبين انه ليس لهم حجة في شيء مما جاء به محمد صلي الله عليه وسلم بل ماجاء به حجة عليهم من وجوه متعددة

(فصل) قالوا وهذا وغيره اوجب لنا التمسك بديننا وان لانهمل ما معنا ولا نرفض مذهبنا ولا نتبع غير السيد المسيح كلمة الله وروحه وحوارييه الذين ارسلهم الينا * والجواب * انهم احتجوا بحجتين باطلتين أحدها ان محمداً لم يرسل اليهم بل الى العرب وقد تبين ان الاحتجاج بها من اعظم الكذب والافتراء على محمد صلى الله عليه وسلم فانه لم يقل قط انى لم ارسل الى اهل الكتاب ولا قال قط اني لم ارسل الا الى العرب بل نصوصه المتواترة عنه وافعاله تبين انه مرسل الى جميع اهل الارض اميهم وكتابيهم . والحجة الثانية قولهم ان محمداً صلى الله عليه وسلم اثنى على دين النصارى بعد التبديل والنسخ وهي ايضاً اعظم كذبا عليه من التي قبلها فكيف يثنى عليهم وهو يكفرهم في غير موضع من كتابه ويأمر بجهادهم وقتالهم ويذم المتخلفين عن جهادهم غاية الذم ويصف من لم يرَ طاعته في قتالهم بالنفاق والكفر ويذكر انه يدخل جهنم وهذا كله يخبر به عن الله عز وجل ويذكره تبليغاً لرسالة ربه

وانما يضاف اليه لانه بلغه وأداه لا لا انه انشاه وابتداه كما قال تعالى (انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ماتذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم) واما ثناء الله ورسوله على المسيح وامه وعلى من اتبعه وكان على دينه الذى لم يبدل فهذا حق وهو لاينافى وجوب اتباع محمد صلى الله عليه وسلم على من بعث اليه فلو قدر ان شريعة المسيح لم تبدل وان محمدا اثنى على كل من اتبعها وقال مع ذلك ان الله ارسلني اليكم لم يكن متناقضا واذا كفر من لم يؤمن به لم يناقض ذلك ثناؤه عليهم قبل ان يكذبوه. فكيف وهو انما مدح من اتبع ديناً لم يبدل. واما الذين بدلوا دين المسيح فلم يمدحهم بل ذمهم كما قال (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون) وقد قدمنا ان النصارى كفروا كما كفرت اليهود كفروا بتبديلهم مافى الكتاب الاول وكفروا بتكذيبهم بالكتاب الثانى. واما من لم يبدل الكتاب او ادرك محمداً فآمن به فهؤلاء مؤمنون ومما يبين ذلك ان تعظيم المسيح للتوراة وأتباعه لها وعمله بشرائعها اعظم من تعظيم محمد صلى الله عليه وسلم للانجيل ومع هذا فلم يكن ذلك مسقطاً عن اليهود وجوب اتباعهم للمسيح فكيف يكون تعظيم محمد صلى الله عليه وسلم للانجيل مسقطاً عن النصارى وجوب اتباعه

(فصل) واما قولهم وحوارييه الذين ارسلهم الينا انذرونا بلغاتنا وسلموا الينا ديننا الذين قد عظموا في هذا الكتاب بقوله في سورة الحديد (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) وقال في سورة البقرة (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) فاعنى بقوله انبياءه المبشرين ورسله يحو بذلك الحواريين الذين داروا في سبعة اقاليم العالم وبشروا بالكتاب الواحد الذى هو الانجيل الطاهر لانه لو عنى عن ابراهيم وداوود وموسى ومحمد لكان قال معهم الكتب لان كل واحد منهم جاء بكتاب دون غيره ولم يقل الا الكتاب الواحد لانه ما أتى جماعة مبشرين بكتاب واحد غير الحواريين الذين اتوا بالانجيل الطاهر وجاء ايضاً في الكتاب (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين) يعني الحواريين لم يقل رسول انما قال المرسلين*والجواب* من وجوه.احدها انه ليس فيما ذكر ولا في غيره مايوجب تكذيب الرسول الذى ارسل اليكم او الى غيركم وتمسككم بدين مبدل منسوخ . كما انه ليس فيما يعظم به موسى والتوراة ومن اتبع موسى ما يوجب لليهود تكذيب الرسول الذى ارسل اليهم وتمسكهم بدين مبدل منسوخ . الثانى ان قولهم ولا نتبع غير المسيح وحوارييه قول باطل فانهم ليسوا متبعين لا للمسيح ولا لحوارييه لوجهين.احدهما ان دينهم مبدل ليس كله عن المسيح والحواريين بل اكثر شرائعهم او كثير منها ليست عن المسيح والحواريين . الثاني ان المسيح بشر باحمد كما قال تعالى (واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى

رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدي اسمه احمد) فاذا لم يتبعوا احمدكانوا مكذبين للمسيح وعندهم من البشارات عن المسيح وغيره من الآنبياء بأحمد ما هو مبسوط في موضع آخر كما سيأتي ان شاء الله وانما المقصود هنا منع احتجاجهم بشيء مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وبيان انه حجة عليهم لانهم اذ زعموا ان في بعضه حجةلهم . الثالث ان قولهم عن الحواريين انهم الرسل الذين عظموا فى هذا الكتاب قول باطل فسروا به القرآن تفسيراً باطلا من جنس تفسيرهم الذين انعمت عليهم بالنصارى وتفسيرهم بأذنى أى ينفخ فيه فيكون طيراً بأذن اللاهوت الذى هو كلمة الله المتحدة فى الناسوت وتفسيرهم آلم ذلك الكتاب بالانجيل وتفسيرهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون هم النصارى وتفسيرهم قوله ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هي احسن هم النصارى الا الذين ظلموا هم اليهود وأمثال ذلك من تفسيرهم القرآن بمثل ما يفسرون به التوراة والانجيل والزبور من التفاسير التى هي من تحريف الكلم عن مواضعه والالحاد في آيات الله والكذب على انبيائه بما يظهر انه كذب على الانبياء لكل من تدبر ذلك . وبطلان ذلك يظهر من وجوه . احدها ان الله قال (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز) وقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا اسم جمع مضاف يعم جميع من ارسله الله تعالى . الثانى ان احق الرسل بهذا الحكم

الرسل الذين سماهم الله تعالى في القرآن كما قال تعالى (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داوود زبوراً ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما) وقال تعالى في سورة الشعراء (كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول آمين فاتقوا الله واطيعون وما أسألكم عليه من اجر ان اجريَ إلا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول آمين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجريَ إلا على رب العالمين كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول آمين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجران اجري الا على رب العالمين كذب اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين) وقال تعالى (انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فاخذناه اخذا وبيلا) وقال تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق

فاخذتهم فكيف كان عقاب) وقال تعالى (ولقد ارسلنا نوحا الي قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون) وذكر قصته ثم قال من بعد ذلك (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين فارسلنا فيهم رسولا منهم ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون) ثم لما قضى قصته قال تعالى (ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون ثم ارسلنا رسلنا تترا كلما جآء أمةرسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين) فذكر ارسال رسله تترا اي متواترة ثم ذكر ارسال موسى وهرون وارسالُ موسى وهرون قبل ارسال المسيح بمدة طويلة وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمةرسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (فهذا اخبار منه سبحانه وتعالى بانه بعث فى كل أمة رسولا يدعوهم الى عبادة الله وحده وقال تعالى في المسيح صلوات الله عليه (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) فاخبر ان المسيح رسول من هؤلاء الرسل (قد خلت من قبله الرسل) وقبله قد بعث في كل أمة رسولا وقد روي فى حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانبيآء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وان الرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر • وبعض الناس يصحح هذا الحديث وبعضهم يضعفه فان كان صحيحاً فالرسل ثلثمائة وثلاثة عشر • وان لم تعرف صحته امكن

ان يكونوا بقدر ذلك وان يكونوا اكثر كما يمكن ان يكونوا أقل فان الله اخبر انه بعث فى كل أمــة رسولا وقال تعالى (انا ارسلنــاك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير) وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انتم توفون سبعين امة انتم اكرمها وافضلها على الله وهو حديث جيد وقد قال تعالى فى سورة الزمر (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقآء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وقال تعالى في سورة تبارك (والذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) وقال تعالى (كلما القي فيها فوج سألهم خزنتها الم ياتكم نذير قالوا بلى قد جآءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزل الله من شيء ان انتم الا فى ضــلال كبير) فهذا اخبار منه بان كل فوج يلقى فى النار وقد جآءهم نذير كما قال تعالى . (وما كنا معــذبين حتى نبعث رسولا) وقد قال تعالى (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى (يامعشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي وينذرونكم لقآء يومكم هذا قالوا بلى شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) فقد ارسل الله قبل المسيح رسلا كثيرين الى جميع الامم فكيف يجوز ان يدعى ان المراد بقوله (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) هم الحواريون فقط الذين ارسلهم المسيح مع ان الحواريين رســل المسيح بمنزلة رسل موسى وابراهيم ورسل محمد صلى الله عليه وسلم ومن ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت على الناس طاعته فيما يبلغه عن

رسول الله كما فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من اطاعنى فقد اطاع الله ومن اطاع اميرى فقد اطاعنى ومن عصانى فقد عصى الله ومن عصى اميرى فقد عصانى • فبين ان اميره انما تجب طاعته فى المعروف الذى امر الله به ورسوله لا فى كل ما يأمر به ففي الصحيحين عن على عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا وامر عليهم رجلا وامرهم ان يسمعوا ويطيعوا فاغضبوه فقال اجمعوا لى حطبا فجمعوا له ثم قال اوقدوا نارا فاوقدوا نارا ثم قال ألم يامركم رسول الله ان تسمعوا لى وتطيعوا. قالوا بلى؟ قال فادخلوها فنظر بعضهم الى بعض فقالوا انما فررنا الى رسول الله من النار فكانوا كذلك حتى سكن غضبه فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله وقال لو دخلوها ما خرجوا منها ابدا وقال لا طاعة في معصية الله انما الطاعة في المعروف وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال على المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان يؤمر بمعصية فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة. وفى صحيح مسلم عن ام الحصين سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع يقول ولو استعمل عليكم عبد اسود يقودكم بكتاب الله فاستمعوا واطيعوا وفى الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم انه قال فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ اوعى له من سامع وفى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بلغوا عنى ولو آية وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ومن كذب علىّ متعمدا فليتبوء مقعده من النار وفي السنن عنه انه قال نضر الله امرأ استمع فسمع منا حديثاً ويبلغه الى من لم يسمعه

فرب حامل فقه غير فقيــه ورب حامل فقــه الى من هو افقه منه فالحواريون في تبليغهم عن المسيح كسائر اصحاب الانبياء في تبليغهم عنهم وقال الله تعالى في كتابه (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) واولوا الامر هم العلماء والامراء فاذا امروا بما امر الله به ورسوله وجبت طاعتهم وان تنازع الناس في شيء وجب رده الى الله والرسول لايرد الى احد دون الرسل الذين ارسلهم الله كما قال في الآية الاخرى (كان الناس أمة واحــدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنــذرين وانزل معهم الــكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ماجاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) والكتاب اسم جنس لكل كتاب انزله الله ليس المراد به كتابا معيناً كما قال تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) ولم يرد بهذا ان يؤمن بكتاب معين واحد بل هذا يتضمن الايمــان بالتوراة والانجيل والقرآن وكل ما انزله الله من كتاب كما قال في سورة الشورى (فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبــع اهواءهم وقل آمنت بمــا انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم) فامره الله تعالى ان يؤمن بكل ما انزله الله من كتاب وان يعــدل بين من بلغتهم رسالته كما قال (لانذركم به ومن بلغ) وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال بلغوا عني ولو آية فكل من بلغه القرآن فهو مخاطب به يتناوله خطاب القرآن وقال تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله) وفي القراءة الاخرى وكتابه ورسله وكلا القراءتين موافقة للاخرى وقوله تعالى (كان الناس امة واحدة) اى فاختلفوا بعد ذلك كما قال في السورة الاخرى (وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا فلما اختلف بنوا آدم بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب) وذلك يتناول كل كتاب انزله الله ليحكم الله ويحكم كتابه بين الناس بالحق فالحاكم بين الناس هو الله تعالى وحكمه في كتبه المنزلة فلهذا امر الله المؤمنين اذا تنازعوا في شيء ان يردوه الى الله والرسول. والرد الى الله هو الرد الى كتابه فامرهم بالرد الى كتابه ورسوله وقد ذم تعالى من لم يتحاكم الى كتابه ورسوله فقال تعالى (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيداً واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احساناً وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

فقد تبين ان الرسل الذين ذكرهم الله في قوله (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات) يتناول الرسل الذين ارسلهم الله كلهم ومن احقهم بذلك الرسل الذين اخبر فى القرآن انه ارسلهم الى عباده فظهر بطلان قولهم انهم الحواريون . الوجه الثالث انه قال (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز) فذكر انه انزل الحديد أيضاً ليتبين من يجاهد فى سبيل الله بالحديد. والنصارى يزعمون ان الحواريين والنصارى لم يؤمروا بقتال احد بالحديد. الوجه الرابع انه قال بعد ذلك (ولقد ارسلنا نوحاوابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) واخباره بارسال نوح وابراهيم بعد قوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات من باب ذكر الخاص بعد العام وبيان ما أختص به الخاص من الاحكام التي امتاز بها عن غيره مما دخل في العام كما يأمر السلطان العسكر بالجهاد ويأمر فلاناً وفلاناً بان يفعلوا كذا وكذا ومثل ان يقال ارسل رسله الى فلان وفلان وارسل اليهم فلاناً وأمره بكذا وكذا قال تعالي (ولقد ارسلنا نوحاً وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) فنوح هو ابو الآدميين الذين حدثوا بعد الطوفان فان الله اغرق ولد آدم الا اهل السفينة وقال في نوح (وجعلنا ذريته هم الباقين) وابراهيم جعل الانبياء بعده من ذريته كما قال تعالى فى ابراهيم (ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره فى

الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين) ثم قال بعد ان ذكر ارسال نوح وابراهيم وانه جعل في ذريتهما النبوة والكتاب (ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل) فاخبر انه قفا على آثارهم برسله وقفا بعيسى بن مريم واتاه الانجيل وهؤلاء رسل قبل المسيح وآخرهم المسيح ولم يذكر انه ارسل احداً من اتباع المسيح بل اخبر انه جعل في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة فكيف يجوز ان يقال ان مراده بالرسل الذين ارسلهم بالبينات وانزل معهم الكتاب والميزان هم الحواريون دون الرسل الذين ذكرهم وارسلهم قبل المسيح ٠ الوجه الخامس انه ليس في القرآن آية تنطق بأن الحواريين هم رسل الله بل ولا صرح في القرآن بأنه ارسلهم لكن قال في سورة يس (واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم ائن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسئلكم اجراً وهم مهتدون ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون أتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون اني اذاً لفي ضلال مبين اني امنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان

كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) فهذا كلام الله ليس فيه ذكر ان هؤلاء المرسلين كانوا من الحواريين ولا ان الذين ارسل اليهم آمنوا بهم وفيه ان هؤلآء القوم الذين ارسل اليهم هؤلآء الثلاثة انزل الله عليهم صيحة واحدة فاذاهم خامدون وقد ذكر طائفة من المفسرين ان هؤلآء كانوا من الحواريين وان القرية انطاكية وان هذا الرجل اسمه حبيب النجار ثم ان بعضهم يقول ان المسيح ارسلهم في حياته لكن المعروف عند النصارى ان اهل انطاكية آمنوا بالحواريين واتبعوهم لم يهلك الله اهل انطاكية. والقرآن يدل على ان الله اهلك قوم هذا الرجل الذى امن بالرسل وأيضاً فالنصارى يقولون انما جاؤا الى اهل انطاكية بعد رفع المسيح وان الذين جاؤا كانوا اثنين لم يكن لهما ثالث. قيل احدهما شمعون الصفا والآخر بولص ويقولون ان اهل انطاكية آمنوا بهم ولا يذكرون حبيب النجار ولا مجيء رجل من اقصى المدينة بل يقولون ان شمعون وبولص دعوا الله حتى احيا ابن الملك فالامر المنقول عند النصارى ان هؤلآء الرسل المذكورين في القرآن ليسوا من الحواريين وهذا اصح القولين عند علماء المسلمين. وأئمة المفسرين ذكروا ان الرسل المذكورين في القرآن في سورة يس ليسوا من الحواريين بل كانوا قبل المسيح وسموهم باسماء غير اسماء الحواريين كما ذكر محمد بن اسحاق قال سلمة بن الفضل كان من حديث صاحب يس فيما حدثنى محمد بن اسحاق عن ابن عباس وعن كعب وعن وهب بن منبه انه كان رجل من اهل انطاكية وكان اسمه حبيبا وكان يعمل بالحرث وكان رجلا سقيما قد اسرع فيه

الجذام وكان منزله عند باب من ابواب المدينة يتأجر و كان موءمناً ذا صدقة يجمع كسبه اذا امسى فيما يذكرون فيقسمه نصفين فيطعم نصفه عياله ويتصدق بنصفه وكان بالمدينة التي هو بها مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يقال له انطيخس بن انطيجس يعبد الاصنام صاحب شرك فبعث الله اليه المرسلين وهم ثلاثة صادق وصدوق وسلوم فقدم الله اليه والى اهل المدينة منهم اثنين فكذبوهما ثم عزز الله بالثالث • وروى الربيع ابن انس عن ابي العالية في قوله واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) لكي تكون الحجة عليهم اشد فاتوا اهل القرية فدعوهم الى الله وحده وعبادته لاشريك له فكذبوهم فاتوا على رجل في ناحية القرية في زرع له فسألهم الرجل ما انتم قالوا نحن رسل رب العالمين ارسلنا الى اهل هذه القرية ندعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له قال لهم اتسألون على ذلك اجرا قالوا لا. قال فالقى ما في يده ثم أتى اهل المدينة فقال (يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجراً وهم مهتدون) وهذا القول هو الصواب وان هؤلاء المرسلين كانوا رسلا لله قبل المسيح وان كانوا قد ارسلوا الى انطاكية وآمن بهم حبيب النجار فهم كانوا قبل المسيح ولم تؤمن اهل القرية بالرسل بل اهلكهم الله تعالى كما اخبر في القرآن ثم بعد هذا عمرت انطاكية وكان اهلها مشركين حتى جاءهم من جاءهم من الحواريين فآمنوا بالمسيح على ايديهم ودخلوا في دين المسيح • ويقال ان انطاكية اول المدائن الكبار الذين آمنوا بالمسيح عليه السلام وذلك بعد رفعه الى السماء

ولكن ظن من ظن من المفسرين ان المذكورين في القرآن هم رسل المسيح وهم من الحواريين فهذا غلط لوجوه . منها ان الله قد ذكر في كتابه انه اهلك الذين جآءتهم الرسل واهل انطاكية لما جآءهم من دعاهم الى دين المسيح آمنوا ولم يهلكوا . ومنها أن الرسل في القرآن ثلاثة وجآءهم رجل من اهل المدينة يسعى والذين جاؤا من اتباع المسيح كانوا اثنين ولم ياتهم رجل يسعى لا حبيب ولا غيره . ومنها ان هؤلاء جآءوا بعد المسيح فلم يكن الله ارسلهم وهذا كما ان الله ذكر في القرآن انه اهلك اهل مدين بالظلة لما جآءهم شعيب وذكر في في القرآن أن موسى اتاها وتزوج ببنت واحد منها فظن بعض الناس انه شعيب النبي وهذا غلط عند علمآء المسلمين مثل ابن عباس والحسن البصري وابن جريج وغيرهم كلهم ذكروا ان الذي صاهره موسى ليس هو شعيبا النبي وحكي انه شعيب عمن لا يعرف ولم يثبت ذلك عن احد من الصحابة والتابعين كما قد بسطناه في موضع آخر . واهل الكتاب يقرون بان الذي صاهره موسى ليس هو شعيبا بل رجل من اهل مدين ومنهم من يقول انها غير مدين التي اهلك الله اهلها والله اعلم وكذلك ذكر المفسرون في المرسلين هل ارسلهم الله او ارسلهم المسيح قولين . احدهما ان الله هو الذي ارسلهم قال ابو الفرج ابن الجوزي وهذا ظاهر القرآن وهو مروي عن ابن عباس وكعب ووهب بن منبه قال وقال المفسرون في قوله تعالى (ان كانت الا صيحة واحدة) اخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فاذا هم ميتون لا يسمع لهم حس كالنار اذا اطفئت وذلك قوله (فاذاهم خامدون)

اى ساكتون كهيئة الرماد الخامد. ومعلوم عند الناس ان اهل انطاكية لم يصبهم ذلك بعد مبعث المسيح بل آمنوا به قبل ان يبدل دينه وكانوا مسلمين مؤمنين به على دينه الى ان تبدل دينه بعد ذلك. ومما يبين ذلك ان المعروف عند اهل العلم انه بعد نزول التوراة لم يهلك الله مكذبي الامم بعذاب سماوي يعمهم كما اهلك قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون وغيرهم بل أمر المؤمنين بجهاد الكفار كما امر بني اسرائيل على لسان موسى بقتال الجبابرة وهذه القرية اهلك الله اهلها بعذاب من السماء فدل ذلك على ان هؤلاء الرسل المذكورين في يس كانوا قبل موسى عليه السلام وايضا فان الله لم يذكر في القرآن رسولا ارسله غيره وانما ذكر الرسل الذين ارسلهم هو وايضا فانه قال (اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث) فاخبر انه ارسلهم كما اخبر انه ارسل نوحا وموسى وغيرهما وفي الآية (قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء ومثل هذا هو خطاب المشركين لمن قال ان الله ارسله وانزل عليه الوحي لا من جاء رسولا من عند رسول وقد قال بعد هذا (يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) وهذا انما هو في الرسل الذين جاءوهم من عند الله لا من عند رسله ، وايضا فان الله ضرب هذا مثلا لمن ارسل اليه محمداً صلى الله عليه وسلم يحذرهم ان ينتقم الله منهم كما انتقم من هؤلاء ومحمد انما يضرب له المثل برسول نظيره لا بمن اصحابه افضل منهم فان ابا بكر وعمر وعثمان وعلياً افضل من الحواريين باتفاق علماء المسلمين ولم يبعث الله بعد المسيح رسولا بل جعل ذلك الزمان زمان فترة كقوله (يا اهل الكتاب قد

جآءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل) وايضا فانه قال تعالى (اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا) ولو كانوا رسل رسول لكان التكذيب لمن ارسلهم ولم يكن في قولهم ان انتم الا بشر مثلنا شبهة . فان احدا لا ينكر ان يكون رسل رسل الله بشرا وانما انكروا ان يكون رسول الله بشرا وايضا فلو كان التكذيب لهما وهما رسل الرسول لا مكنهما ان يقولا فارسلوا الى من ارسلنا او الى اصحابه فانهم يعلمون صدقنا فى البلاغ عنه بخلاف ما اذا كانا رسل الله وايضا فقوله اذ ارسلنا اليهم اثنين) صريح في ان الله هو المرسل ومن ارسلهم غيره انما ارسلهم ذلك لم يرسلهم الله كما لا يقال لمن ارسله محمد بن عبد الله انهم رسل الله فلا يقال لدحية بن خليفة الكلبي ان الله ارسله ولا يقال ذلك للمغيرة بن شعبة وعبد الله بن حذافة وامثالهم ممن ارسلهم الرسول وذلك ان النبي صلي الله عليه وسلم ارسل رسله الى ملوك الارض كما ارسل دحية بن خليفة الى قيصر وارسل عبد الله بن حذافة الى كسرى وارسل حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس كما تقدم ذكر ذلك . ومعلوم انه لا يقال فى هؤلآء ان الله ارسلهم ولا يسمون عند المسلمين رسل الله ولا يجوز باتفاق المسلمين ان يقال هؤلآء داخلون فى قوله (لقد ارسلنا رسلنا بالبينات فاذا كانت رسل محمد صلى الله عليه وسلم لم يتناولهم اسم رسل الله فى الكتاب الذى جاء به . فكيف يجوز ان يقال ان هذا الاسم يتناول رسل رسول غيره والمقصود هنا بيان معاني القرآن وما اراده الله تبارك وتعالى بقوله (اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين) هل

مراد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من ارسالهم الله او من ارسالهم رسوله وقد علم يقيناً ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم يدخل في مثل هذا فمن قال ان محمدا اراد بذلك من ارساله رسول فقد كذب على محمد صلى الله عليه وسلم عمدا او خطأ

(فصل) وقد تبين بما ذكرناه فساد قولهم فى تفسير آية البقرة فانهم قالوا وقال فى سورة البقرة (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) قالوا فاعنى بقوله انبياءه المبشرين ورسله يحو بذلك عن الحواريين الذين داروا فى سبعة أقاليم العالم وبشروا بالكتاب الواحد الذى هو الانجيل الطاهر لانه لو كان اعنى عن ابراهيم وموسي وداوود ومحمد لكان قال ومعهم الكتب لان كل واحد منهم جاء بكتاب دون غيره ولم يقل الا الكتاب الواحد لانه ما أتي جماعة مبشرين بكتاب واحد غير الحواريين الذين اتوا بالانجيل الطاهر . فيقال لهم قد تقدم بعض مايدل على فساد هذا التفسير وأيضاً فانه قال تعالى (كان الناس امة واحدة اى فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . والحواريون ليسوا من النبيين وان كان المسيح ارسلهم ولا يلزم من ارساله لهم ان يكونوا انبياء كمن ارسلهم موسى ومحمد وغيرهما ولهذا تسميهم عامة النصارى رسلا ولا يسمونهم انبياء وايضاً فانه قال وانزل معهم الكتاب والحواريون لم ينزل معهم الكتاب انما انزل الكتاب مع المسيح ولكن الانبياء انزل معهم جنس الكتاب فان الكتاب اسم جنس فيدخل فيه الكتب المنزلة كلها كما فى قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة

والكتاب والنبيين) وفى قوله (كل آمن بالله وملائكته وكتبه)وفي القرآءة الاخرى وكتابه ورسله وكذلك قوله عن مريم (وصدقت بكلمات ربها وكتبه (وفى القرآءة الاخرى وكتابه وايضاً قال تعالى (كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين) وقال تعالى فى سورة يونس (وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا) وهذا يدل انه لما اختلفت بنو آدم بعث الله النبيين وكان اختلافهم قبل المسيح بل قبل موسى بل قبل الخليل بل قبل نوح كما قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام ثم حدث فيهم الشرك والاختلاف على وجهين ، تارة يختلفون فيؤمن بعضهم ويكفر بعضهم كما قال تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر) وقال تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) يعنى اهل الايمان والكفر وقد يكون المختلفون كلهم على باطل كقوله (وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد وقوله (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) وأيضاً فالانجيل ليس فيه حكم بين الناس فيما اختلفوا فيه بل عامته مواعظ ووصايا واخبار المسيح بخلاف التوراة والقرآن فان فيهما من الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ما ليس في الانجيل وايضا فأنه قال (وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بأذنه) وذلك يقتضي ان الله هدى الذين آمنوا بعد اختلاف الذين اوتوا الكتاب بغيا بينهم لما اختلفوا فيه من الحق وهذا ذم لمن أوتوا الكتاب فاختلفوا . والنصارى داخلون في هذا الذم

ولو كان المراد الانجيل كانوا هم المذمومين دون غيرهم وليس كذلك بل اليهود وغيرهم من المختلفين مذمومون ايضا وانما الممدوح هم المؤمنون الذين هداهم الله لما اختلف اولئك فيه من الحق باذنه • وهذا يتناول امة محمد صلى الله عليه وسلم قطعا وقد يتناول كل من آمن من الامم المتقدمة كالذين كانوا على دين موسى والمسيح وابراهيم الخليل كما قال تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الاخر وعمل صالحاً فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وأما امة محمد صلى الله عليه وسلم فأن الله هداهم لما اختلف فيه الامم قبلهم من الحق بأذنه وهذا بين فأنهم على الحق والعدل الوسط بين طرفي الباطل وهذا ظاهر فى اتباعهم الحق الذى اختلفت فيه اليهود والنصارى فى التوحيد والانبياء والاخبار والتشريع والنسخ والحلال والحرام والتصديق والتكذيب وغير ذلك • اما التوحيد فان اليهود شبهوا الخالق بالمخلوق فوصفوا الرب سبحانه بصفات النقص الذى يختص بها المخلوق فقالوا انه فقير وبخيل وانه يتعب وغير ذلك والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق صفات الكمال التي يختص بها الخالق فقالوا عن المسيح انه خالق السموات والارض القديم الازلى علام الغيوب القادر على كل شيء واتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله . والمسلمون هداهم الله لما اختلف فيه من الحق فلم يشبهوا الخالق بالمخلوق ولا المخلوق بالخالق بل اثبتوا لله ما يستحقه من صفات الكمال ونزهوه عن النقائص واقروا بأنه احد ليس كمثله شيء وليس له كفؤا احد في شيء من

صفات الكمال فنزهوه عن النقائص خلافاً لليهود وعن مماثلة المخلوق
له خلافاً للنصارى. واما الانبياء عليهم السلام فأن اليهود قتلوا بعضاً
وكذبوا بعضاً كما قال تعالى (افكلما جاءكم رسول بما لاتهوى انفسكم
استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقاتقتلون) والنصارى اشركوا بهم وبمن هو
دونهم فعبدوا المسيح بل اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله
وجعلوا الحواريين رسلا لله وزعموا ان الانسان بطاعته يصير بمنزلة
الانبياء وصوروا تماثيل الانبياء والصالحين وصاروا يدعونهم ويستشفعون
بهم بعد موتهم واذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً
وصوروا فيه تماثيلهم وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر
له كنيسة بارض الحبشة وذكر من حسنها وتصاوير فيها فقال اولئك
اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك
التصاوير اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة. واما المسلمون فهداهم
الله لما اختلف فيه من الحق بأذنه فآمنوا بانبياء الله كلهم ولم يفرقوا
بين احد منهم ولم يغلوا فيهم غلو النصارى ولا قصروا في حقهم تقصير
اليهود وكذلك قتل اليهود الذين يأمرون بالقسط من الناس .
والنصارى يطيعون من يأمر بالشرك وان الشرك لظلم عظيم ويطيعون
من يحرم الحلال ويحلل الحرام . والمسلمون يطيعون من
يأمر بطاعة الله ولا يطيعون من يأمر بمعصية الله . والنصارى فيهم
الشرك بالله . واليهود فيهم الاستكبار عن عبادة الله كما قال تعالى في
النصارى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن
مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحداً لااله الاهو سبحانه عما يشركون

وقال في اليهود (افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) والاسلام هو ان يستسلم العبد لله وحده فيعبده وحده بما امره به. فمن استسلم له ولغيره كان مشركا والله لا يغفر ان يشرك به. ومن لم يستسلم له بل استكبر عن عبادته كان ممن قيل فيه ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين فلهذا كان جميع الانبياء واممهم مسلمين لله يعبدونه وحده بما امرهم به وان تنوعت شرائعهم فالمسيح لم يزل مسلما لما كان متبعاً لشرع التوراة ولما نسخ الله له مانسخه منها. ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يزل مسلماً لما كان يصلي الى بيت المقدس ثم لما صلى الى الكعبة ولما بعثه الله الى الخلق كانوا كلهم مأمورين بطاعته وكانت عبادة الله طاعته فمن لم يطعه لم يكن عابداً لله فلم يكن مسلماً. واما التشريع فان اليهود زعموا ان ما أمره الله به يمتنع منه ان ينسخه. والنصارى زعموا ان ما أمر الله به يسوغ لاكابرهم ان ينسخوه فهدى الله المؤمنين لما اختلفوا فيه من الحق فقالوا ان الله سبحانه له ان ينسخ ماشرعه خلافا لليهود وليس لمخلوق ان يغير شيئاً من شرع الخالق خلافا للنصارى. واما الحلال والحرام والطهارة والنجاسة فان اليهود حرمت عليهم الطيبات وشدد عليهم في امر النجاسات فمنعوا من مواكلة الحائض والجلوس معها في بيت ومن ازالة النجاسة وحرم عليهم شحم الثرب والكليتين وكل ذي ظفر وغير ذلك. والمسيح عليه السلام احل لهم بعض الذى حرم عليهم فقابلهم النصارى فقالوا ليس شيء محرم لا الخنزير ولا غيره بل ولا شيء نجس لا البول ولا غيره وزعموا ان بعض اكابرهم رأى

ملاءة صور له فيها صور الحيوان وقيل له كل ما طابت نفسك ودع ما تكره وانه ابيح لهم جميع الحيوان وسخوا شرع التوراة بمجرد ذلك. فالحلال عندهم ما اشتهته انفسهم. والحرام عندهم ما كرهته انفسهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق فاحل الله لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث وازال عنهم الاصار والاغلال التى كانت على بنى اسرائيل خلافا لليهود وامرهم بالطهارة طهارة الحدث والخبث خلافا للنصارى. والمسيح عليه السلام جعلته اليهود ولدزنا كذابا ساحراً وجعلته النصاري هو الله خالق السموات والارض فهدى الله الذين آمنوا لما أختلف فيه من الحق باذنه فشهدوا انه عبد الله مخلوق خلافا للنصارى وانه رسول الله وجيه في الدنيا والآخرة ومن المقربين خلافا لليهود واما التصديق والتكذيب فان اليهود من شأنهم التكذيب بالحق والنصارى من شأنهم التصديق بالباطل فان اليهود كذبوا من كذبوه من الانبياء وقد جاؤا بالحق كما قال تعالى (اوكلما جاءكم رسول بما لاتهوى انفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون) والنصارى يصدقون بمحالات العقول والشرائع كما صدقوا بالتثليث والاتحاد ونحوها من الممتنعات

(فصل) قالوا عن القرآن انه شهد لهم انهم انصار الله حيث يقول كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) فيقال هذا حق والحواريون مؤمنون مسلمون وهم انصار الله لكن ليس فى هذا انهم رسل الله ولا فى هذا ان كل ما انتم عليه من الدين مأخوذ

عنهم ولا في هذا ان الواحد من الحواريين معصوم من الغلط بل يأمر الله المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ان يكونوا أنصار الله كما طلب المسيح ذلك بقوله (من أنصاري الى الله) وقد وصف الله المؤمنين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من أهل المدينة النبوية بانهم أنصار بقوله تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين أتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه) والمهاجرون أفضل من الانصار وهم أيضاً من انصار الله نصروه كما نصره الانصار لكن لما كان لهم اسم يخصهم وهم المهاجرون وهو افضل الاسمين خص الانصار بهذا الاسم. والمهاجرون والانصار افضل ممن آمن بموسى ومن آمن بعيسى عند المسلمين ومع هذا فليس فيهم عندهم نبي ولا رسول لله ولكن فيهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما

(فصل) قالوا واما تعظيمه لانجيلنا وكتبنا التي في ايدينا فيقول (ثم انزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) وقال في سورة آل عمران (آلم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس) وقال في سورة البقرة (آلم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) فاعنى بالكتاب الانجيل والذين يؤمنون بالغيب نحن النصارى الذين آمنا بالسيد المسيح وما رأيناه ثم اتبع بالقول والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك

فاعنى بهم المسلمين الذين آمنوا بما أتى به وما أتى من قبله وقال فى سورة المائدة وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاؤلئك هم الفاسقون) وقال فى سورة آل عمران (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير فأعنى أيضاً بالكتاب المنير الذى هو الانجيل المقدس وقال أيضاً فأن كنت فى شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلاتكونن من الممترين) فثبت بهذا ماهعنا ونفى عن انجيلنا وكتبنا التى في ايدينا التهم والتبديل والتغيير لما فيها بتصديقه اياها* والجواب* بعد ان تعرف ان لفظ الآية الاولى في سورة المائدة ثم انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ان يقال . اما تصديق خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم لما انزل الله قبله من الكتب ولمن جاء قبله من الانبياء فهذا معلوم بالاضطرار من دينه متواتر تواتراً ظاهراً كتواتر ارساله الى الخلق كلهم وهذا من اصول الايمان قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما أمنتم به فقد اهتدوا وأن تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وقال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من

ربهم لانفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينافلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرمن آمن باللّه واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال على حبه ذوى القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وأتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فيالبأساء والضرآء وحين البأس اؤلئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون) وقال تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن باللّه وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لايكلف الله نفسا الاوسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمناانت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) وتصديقه للتوراة والانجيل مذكور فى مواضع من القرآن وقد قال تعالى (وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) وقال تعالى (الله نزل احسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين الخ وقال تعالى (نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن) فبين انه انزل هذا القرآن مهيمنا على مابين يديه من الكتب والمهيمن الشاهد المؤتمن الحاكم فشهد بما فيها من الحق ويبين ماحرف فيها ويحكم باقرار ما اقره الله من احكامها وينسخ مانسخه الله منها وهو مؤتمن في ذلك عليها واخبر انه احسن الحديث واحسن القصص وهذ

يتضمن انه كل من كان متمسكا بالتوراة قبل النسخ من غير تبديل شيء من احكامها فأنه من اهل الايمان والهدى وكذلك من كان متمسكا بالأنجيل من غير تبديل شيء من احكامه قبل النسخ فهو من اهل الايمان والهدى، وليس فى ذلك مدح لمن تمسك بشرع مبدل فضلا عمن تمسك بشرع مبدل منسوخ ولم يؤمن بما ارسل الله اليه من الرسل وما انزل اليه من الكتب بل قد بين سبحانه كفر اليهود والنصارى بتبديل الكتاب الاول وبترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في غير موضع. واما تأويلهم قوله ذلك الكتاب انه الانجيل وان الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون عنى بهم النصارى فهو من تحريف الكلم عن مواضعه وتبديل كلام الله كما فعلوه فى قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا وفي قوله باذنى أى بأذن اللاهوت وفى قوله اهدنا الصراط المستقيم وفي غير ذلك مما ذكروه وتأولوه من القرآن على غير المعنى الذى اراد الله به وهذا مما يؤيد انهم فعلوا كذلك بالتوراة والانجيل فانه اذا كان القرآن الذى قد عرف تفسيره والمراد به العام والخاص ونقل ذلك عن الرسول. نقلا متواتراً حتى عرف معناه علما يقينيا اضطرارياً فيبدلون معناه ويحرفون الكلم عن مواضعه فما ذا يصنعون بالتوراة والانجيل ولم ينقل لفظ ذلك ومعناه كما نقل القرآن وليس في اهل تلك الكتب من يذب عن لفظها ومعناهـا كما يذب المسلمون عن لفظ القرآن ومعنـاه وهؤلاء غرهم قوله (ذلك الكتاب) فظنوا ان لفظ ذلك لما كان يشار بها الى الغائب اشير بهـا الى الانجيل. فيقال لهم هـذا كقوله (ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم)

واشار بذلك الى ما تلاه قبل هــذه الآية وقوله (واسالوا ما انفقتم وليسئلوا ما انفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم (وقوله (فاذا بلغن اجلهن فامسكوهنّ بمعروف او سرحوهنّ بمعروف واشهدوا ذوي عدل منكم ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) ومثله قوله تعــالى بعد ان ذكر خبر يوسف الصديق (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك) وقال ايضاً لما ذكر خبر مريم (ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم) كما قال لما ذكر آيات يخبر فيها عن نوح (تلك من انباء الغيب نوحيهـا اليك) الآية وقال (آلر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربياً لعلـكم تعقلون) وتلك في المؤنث مثل ذلك في المذكر ومع هذا فاشار الى القرآن ومنه قوله (آلر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) وقوله (طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين) ومنه قوله (طسم تلك آيات الكتاب المبين) ومنــه قوله (حم عسق كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم) وقوله (وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربياً) وقوله (المر تلك آيات الكتاب والذى أنزل اليك من ربك الحق) الآية ومثل هــذا كثير وذلك أنه لمــا انزل قوله (ذلك الكتاب . وتلك آيات الكتاب ونحو ذلك لم يكن الكتاب المشار اليه قد انزل تلك الساعة وانما كان قد انزله قبل ذلك فصار كالغائب الذى يشار اليه كما يشار الى الغائب وهو باعتبار حضوره عند النبي صلى الله عليه وسلم يشار اليه كما يشار الى الحــاضر كما قال تعالى (وهذا ذكر مبارك انزلناه) ولهذا قال غير واحــد من السلف ذلك الكتاب اي هذا الكتاب يقولون المراد هــذا الكتاب

وان كانت الاشارة تكون تارة اشارة غائب وتارة اشارة حاضر وقد قال (هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب) وقد وصف النصارى بانهم لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وانهم كافرون ظالمون فكيف يجعلهم المتقين الذين يؤمنون بالغيب قال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) واول التقوى تقوى الشرك وقد وصف النصارى بالشرك فى قوله (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما امروا الا ليعبدوا إلهاً واحداً لا آله الا هو سبحانه عما يشركون) وقال تعالى لما ذكر المسيح (فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وابصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) ونهى عن موالاتهم فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم) وقد أخبر أن الله ولي المتقين فقال (ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) فلو كانوا من المتقين فضلا عن ان يكونوا هم المتقين لكان الله وليهم ولكانت موالاتهم واجبة على المؤمنين وهو قد نهى عن موالاتهم وجعل من يتولاهم ظالما وجعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض والكفار بعضهم أولياء بعض ولهذا لما قطع الله

الموالاة بين المؤمنين و بين الكافرين قال النبي صلى الله عليـه وسلم في الحديث الصحيح لا يرث المسلم الـكافر ولا يرث الكافر المسلم واتفق المسلمون على ان اليهودى والنصرانى لا يرث مسلما ولو كان ابنه واباه لان الله قطع الموالاة بينهما وقد قال تعالى (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه) وايضافانه قال تعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) وهي الصلاة التى امر بها فى قوله (اقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً) وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة بغير طهور . والنصارى يصلون بغير طهور وقال صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وهم لا يقرؤنها والصلاة التي فرضها وأثنى عليها مشتملة على استقبال الكعبة وعلى ركوع وسجدتين فى كل ركعة وغير ذلك مما لا يفعله النصارى فكيف يمدحهم باقام الصلاة وهم لا يقيمون الصلاة التي امر باقامتها ثم لو قال اليهودى المراد بقوله ذلك . الكتاب التوراة وبالمتقين اليهود . لكان هـذا مع بطلانه اقرب من قول القائل ان المراد بالكتاب الانجيل لان التوراة أحق بذلك من الانجيل فانها الاصل والله تعالى يقرن بينها وبين القرآن في غير موضع كقوله (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهـد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمـة) وقوله تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهـد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين) وقد قالت الجن

لما سمعت القرآن (ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم) وقال النجاشى لما سمع القرآن ان هذا والذى جآء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة وكذلك ورقة بن نوفل قال هذا هو الناموس الذي كان ينزل على موسى ابن عمران وقال تعالى (وقالوا لولا أوتى مثل ماأوتى موسى أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا اى التوراة والقرآن وقالوا ساحران تظاهرا اي موسى ومحمد وقالوا انا بكل كافرون قال الله (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين) فقد بين أنه لم يأت من عند الله كتاب أهدي من التوراة والقرآن وقال تعالى (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذى جآء به موسى)اى الله هو الذى انزل الكتاب الذى جآء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) واما قوله تعالى (والذين يؤمنون بما انزل اليك وما أنزل من قبلك) فهى صفة ثانية للذين يؤمنون بالغيب وصفهم بالايمان بالغيب مجملا ثم وصفهم بايمان مفصل بما انزل اليه وما أنزل من قبله والعطف بالواو يكون لتغاير الذوات ويكون لتغاير الصفات كقوله تعالى (سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى والذى اخرج المرعى فجعله غثآء أحوى) والذى

خلق فسوى هو الذي قدر فهدى وهو الذى أخرج المرعى وكذلك قوله تعالي (ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ خلقهنّ العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السمآء مآء بقدر فانشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ماتركبون) ومثله قوله (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون الاعلى ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) فهم صنف واحد وصفهم بهذه الصفات بحرف الواو وكذلك في قوله (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسّه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى ورآء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلاتهم يحافظون اولئك في جنات مكرمون) وقد فسر قبل قوله يؤمنون بالغيب صفة المؤمنين من غير أهل الكتاب كمشركى العرب والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك صفة من آمن به

من أهل الكتاب. وعلى هذا القول هولآء غير هولآء لكن هذا ضعيف فانه لابد فى المؤمنين من غير اهل الكتاب ان يؤمنوا بما انزل اليه وما أنزل من قبله ولا بد فى مؤمن أهل الكتاب ان يؤمن بالغيب. فكل من الايمانين واجب على كل واحد ولا يكون احد على هدى من ربه مفلحا الا بهذا وهذا . وأما قول النصارى نحن الذين آمنا بالسيد المسيح وما رأيناه . فهكذا اليهود آمنوا بموسى عليه السلام وما راوه والمسلمون آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما رأوه بل المسلمون آمنوا بموسى وعيسى وسائر النبيين وما رأوهم بخلاف اليهود والنصارى الذين أمنوا ببعض وكفروا ببعض. ثم الغيب ليس المراد به صورة النبي عليه السلام فان صورة النبي ليست من الغيب فان الناس يرونها وليس في رؤيتها مايوجب ايماناً ولا كفرا ولكن الغيب ماغاب عن مشاهدة الخلق وهو ما اخبرت به الانبيآء من الغيب فيدخل فيه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وهو الايمان بأنهم رسل الله وسوآء رؤيت أبدانهم او لم ترَ فقد يراهم من لم يؤمن برسالتهم وقد يؤمن برسالتهم من لم يرهم . والمقصود الايمان برسالتهم لابنفس صورهم حتى يقول القائل آمنا بنبي ولم نره وقد يعلم من دلائل نبوته واعلام رسالته من لم يره اكثر مما يعلمها من رآه

(فصل)وأما قوله في سورة المائدة(وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراةوآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيـه ومن لم يحكم بمـا انزل الله فاؤلئك هم الفاسقون

فهذا ثناء منه على المسيح والانجيل وأمر للنصارى بالحكم بما انزل فيه كما اثنى على موسى والتوراة باعظم مما عظم به المسيح والانجيل فقال تعالى (يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أي قائلون للكذب مصدقون مستجيبون مطيعون لقوم آخرين لم يأتوك فهم مصدقون للكذب مطيعون لما يخالفك وانت رسول الله . فكل من تصديق الكذب والطاعة لمن خالف رسول الله من اعظم الذنوب . ولفظ السمع يراد به الاحساس بالصوت ويراد به فهم المعنى ويراد به قبوله فيقال فلان سمع ما يقول فلان أي يصدقه او يطيعه ويقبل منه بقوله سماعون للكذب أى مصدقون به والا مجرد سماع صوت الكاذب وفهم كلامه ليس مذموماً على الاطلاق وكذلك سماعون لقوم آخرين لم يأتوك . أى مستجيبون لهم مطيعون لهم كما قال في حق المنافقين وفيكم سماعون لهم أى مستجيبون مطيعون لهم ومن قال ان المراد به الجاسوس فهو غالط كغلط من قال سماعون لهم هم الجواسيس فأن الجاسوس انما ينقل خبر القوم الى من لايعرفه ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ما يذكره ويأمر به ويفعله يراه ويسمعه كل من بالمدينة مؤمنهم ومنافقهم ولم يكن يقصد ان يكتم يهود المدينة ما يقوله ويفعله . خلاف من كان يأتيهم من اليهود وهم يصدقون الكذب ويطيعون لليهود الآخرين الذين لم يأتوه والله نهى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحزنه المسارعون فى الكفر من هاتين الطائفتين المنافقتين الذين اظهروا الايمان به ولم تؤمن قلوبهم ومن اهل

الكتاب الذين يطلبون ان يحكم بينهم وليس مقصودهم ان يطيعوه ويتبعوا حكمه بل ان حكم بما يهوونه قبلوه . وان حكم بخلاف ذلك لم يقبلوه لكونهم مطيعين لقوم آخرين لم يأتوه قال تعالى (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) أى لم يأتك اؤلئك القوم الاخرون يقولون اي يقول السماعون (ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فان تملك له من الله شيئاً اؤلئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) والحكم يفتقر الى الصدق والعدل فلا بد ان يكون الشاهد صادقا والحاكم عادلا وهؤلاء يصدقون الكاذبين من الشهود ويتبعون حكم المخالفين للرسل الذين يحكمون بغير ما انزل الله واذا لم يكن قصدهم اتباع الصدق والعدل فليس عليك ان تحكم بينهم بل ان شئت فاحكم بينهم وان شئت فلاتحكم ولكن اذا حكمت فلاتحكم الا بما انزل الله اليك اذ هو العدل قال تعالى (سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين) وقال تعالى (سماعون للكذب أكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وان تعرض عنهم فان يضروك شيئاً وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين) ثم قال (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والانف

بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون) فهذا ثناؤه على التوراة وأخباره انا فيها حكم الله وأنه أنزل التوراة وفيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا وقال عقب ذكرها (ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون) وهذا أعظم مما ذكره في الانجيل فانه قال في الانجيل (وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور) وقال فيه (وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون) وقال في التوراة (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) وقال عقب ذكرها (ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون) فهو سبحانه مع اخباره بانزال الكتابين يصف التوراة باعظم مما يصف به الانجيل كما قال تعالى (انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) واذا كان ما ذكره من مدح موسى والتوراة لم يوجب ذلك مدح اليهود الذين كذبوا المسيح ومحمداً صلى الله عليهما وسلم تسليما وليس فيه ثناء على دين اليهود المبدل المنسوخ باتفاق المسلمين والنصارى فكذلك ايضاً ما ذكره من مدح المسيح والانجيل ليس فيه مدح النصارى الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم وبدلوا أحكام التوراة والانجيل واتبعوا المبدل المنسوخ . واليهود توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح للنصارى والنصارى توافق المسلمين على أنه ليس فيما ذكر مدح لليهود بعد النسخ والتبديل . فعلم اتفاق أهل الملل كلها المسلمون واليهود والنصارى على أنه ليس فيما ذكر في القرآن من ذكر التوراة والانجيل وموسى وعيسى

مدح لاهل الكتاب الذين كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم ولا مدح لدينهم المبدل قبل مبعثه فليس فى ذلك مدح لمن تمسك بدين مبدل ولا بدين منسوخ فكيف بمن تمسك بدين مبدل منسوخ

(فصل) وهذا أصل لا بد من ثباته وهو أنه قد دلت النصوص على أن الله لا يعذب الا من أرسل اليه رسولا تقوم به الحجة عليه قال تعالى (وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وقال تعالى عن أهل النار (كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا فى ضلال كبير) (وقال (وسيق الذين كفروا الى جهنم زمراً حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وقال تعالى (يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين) وقال تعالى (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى امها رسولا يتلو عليهم اياتنا وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) وقال تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب

من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا) الى قوله (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى او لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون) وقال تعالى (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير) واذا كان كذلك فمعلوم ان الحجة انما تقوم بالقرآن على من بلغه كقوله (لانذركم به ومن بلغ) فمن بلغه بعض القرآن دون بعض قامت عليه الحجة بما بلغه دون مالم يبلغه فاذا اشتبه معنى بعض الآيات وتنازع الناس فى تأويل الآية وجب رد ماتنازعوا فيه الى الله والرسول. فاذا اجتهد الناس فى فهم ما أراده الرسل فالمصيب له أجران والمخطيء له أجر واحد. فلا يمتنع أن يقال ذلك فى أهل الكتاب قبلنا فمن لم يبلغه جميع نصوص الكتاب قبلنا لم تقم عليه الحجة بما بلغه فيما خفي عليهم معناه منه فاجتهد في معرفته فان أصاب فله أجران. وان أخطأ فله أجر وخطأه محطوط عنه . فأما من تعمد تحريف الكتاب لفظه أو معناه وعرف ماجاء به الرسول فعانده فهذا مستحق للعقاب وكذلك من فرط فى طلب الحق واتباعه متبعاً لهواه مشتغلا عن ذلك بدنياه. وعلى هذا فاذا كان بعض أهل الكتاب قد حرفوا بعض الكتاب وفيهم آخرون لم يعلموا ذلك وهم مجتهدون فى اتباع ماجاء به الرسول لم يجب ان يجعل هؤلاء من المستوجبين للوعيد فاذا جاز ان يكون في اهل الكتاب من لم يعرف جميع ماجاء به المسيح بل خفي عليه بعض ماجاء به أو بعض معانيه فاجتهد لم يعاقب على مالم يبلغه . وقد تحمل

أخبار اليهود الذين كانوا مع تبع والذين كانوا ينتظرون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم من أهل المدينة كابن الهتيان وغيره على هذا وانهم لم يكونوا مكذبين للمسيح تكذيب غيرهم من اليهود وقد تنازع الناس هل يمكن مع الاجتهاد واستفراغ الوسع ان لايبين للناظر المستدل صدق الرسول اولا٠ واذا لم يتبين له ذلك هل يستحق العقوبة في الآخرة أم لا يستحقها. بل وتنازع بعض الناس في المفسد منهم أيضاً والكلام في مقامين المقام الاول في شأن خطأ المخالف للحق وضلاله. وهذا مما يعلم بطرق متعددة عقلية وسمعية وقد يعرف الخطأ في اقوال كثيرة من اهل القبلة المخالفين للحق وغير أهل القبلة بانواع متعددة من الدلائل. والمقام الثاني الكلام في كفرهم واستحقاقهم الوعيد في الآخرة فهذا فيه ثلاثة أقوال للناس من أصحاب الأئمة المشهورين مالك والشافعي واحمد لهم الاقوال الثلاثة. قيل انه يعذب في النار من لم يؤمن وان لم يرسل اليه رسول لقيام الحجة عليه بالعقل وهذا قول كثير ممن يقول بالحكم العقلي من أهل الكلام والفقه من اصحاب ابي حنيفة وغيرهم وهو اختيار ابي الخطاب. وقيل لا حجة عليه بالعقل بل لايجوز ان يعذب من لم يقم عليه حجة لا بالشرع ولا بالعقل وهذا قول من يجوز تعذيب اطفال الكفار ومجانينهم وهذا قول كثير من أهل الكلام كالجهم وكابي الحسن الاشعري واصحابه والقاضي ابي يعلى وابن عقيل وغيرهم. والقول الثالث وعليه السلف والأئمة انه لايعذب الا من بلغته الرسالة ولا يعذب الا من خالف الرسل كما دل عليه الكتاب والسنة قال تعالى لابليس (لأملئن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين) واذا كان كذلك

فهو كما تناظر فيه أهل الكتاب متقدميهم ومتأخريهم تارة تتكلم في المقام الاول وهو بيان مخالفتهم للحق وجهلهم وضلالهم فهذا تنبيه لجميع الادلة الشرعية والعقلية وتبين كفرهم الذى يستحقون به العذاب في الدنيا والآخرة فهذا أمره الى الله ورسوله لايتكلم فيه الا بما اخبرت به الرسل كما انا أيضاً لا نشهد بالايمان والجنة الا لمن شهدت له الرسل ومن لم تقم عليه الحجة في الدنيا بالرسالة كالاطفال والمجانين وأهل الفترات فهؤلاء فيهم اقوال اظهرها ما جاءت به الاثار انهم يمتحنون يوم القيامة فيبعث اليهم من يأمرهم بطاعته فان أطاعوه استحقوا الثواب وان عصوه استحقوا العقاب. واذا كان كذلك فنحن نشهد لمن كان مؤمناً بموسى متبعاً له مؤمن مسلم مستحق للثواب. وكذلك من كان مؤمناً بالمسيح متبعاً له. ونشهد لمن قامت عليه الحجة بموسى فلم يتبعه كآل فرعون انهم من أهل النار. وكذلك لمن قامت عليه الحجة بالمسيح الذين قال الله فيهم (انى منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا لا اعذبه أحداً من العالمين) والذين قال فيهم (ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لايحب الظالمين) واما من بعد عهده بالمسيح وبلغته بعض اخباره دون بعض او بموسى وبلغته بعض أخباره دون بعض فهؤلاء قامت عليهم الحجة بما بلغهم من اخبارهم دون مالم يبلغهم من اخبارهم واذا

اختلفوا فى تأويل بعض التوراة والانجيل فمن قصد الحق واجتهد فى طلبه لم يجب ان يعذب وان كان مخطئاً للحق جاهلا به ضالا عنه كالمجتهد فى طلب الحق من امة محمد صلى الله عليه وسلم. وعلى هذا فاذا قيل ان الحواريين او بعضهم او كثيراً من أهل الكتاب أو اكثرهم كانوا يعتقدون ان المسيح نفسه صلب. كانوا مخطئين فى ذلك ولم يكن هذا الخطأ مما يقدح في ايمانهم بالمسيح اذا آمنوا بما جاء به ولا يوجب لهم النار فان الاناجيل التي بايدى اهل الكتاب فيها ذكر صلب المسيح وعندهم انها مأخوذة عن الاربعة مرقس ولوقا ويوحنا ومتى ولم يكن فى الاربعة من شهد صلب المسيح ولا من الحواريين بل ولا فى اتباعه من شهد الصلب وانما الذين شهدوا الصلب طائفة من اليهود فمن الناس من يقول انهم علموا ان المصلوب غيره وتعمدوا الكذب فى انهم صلبوه وشبه صلبه على من اخبروهم. وهذا قول طائفة من اهل الكلام المعتزلة وغيرهم وهو قول ابن حزم وغيره. ومنهم من يقول بل اشتبه على الذين صلبوه وهذا قول اكثر الناس والاولون يقولون ان قوله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم أى شبه للناس الذين اخبرهم أولئك بصلبه. والجمهور يقولون بل شبه للذين يقولون صلبوه كما قد ذكرت القصة فى غير هذا الموضع والمقصود هنا ان الناس في هذا المقام على طرفين ووسط. اما الطرف الواحد فهم الغلاة من النصارى الذين يدعون ان الحواريين كانوا معصومين فيما يقولونه ويروونه ويرونه وكذلك يقولون بتصويب علماء النصارى فيما يقولونه من تأويل الانجيل والطرفُ الآخر يقول بل كل من غلط واخطأ فى شيء من ذلك فانه

يستحق الوعيد بل كافر . والثالث الوسط أنهم لايعصمون ولا يؤثمون بل قد يكونون مخطئين خطأ مغفوراً لهم اذا كانوا مجتهدين فى معرفة الحق واتباعه بحسب وسعهم وطاقتهم وعلى هذا تصح الادلة الصحيحة وكتبُ الله تدل على ذم الضال والجاحد ومقته مع انه لايعاقب الا بعد انذاره وقد ثبت فى الصحيح عن عياض ابن حماد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب فاخبر انه مقتهم إلاَّ هؤلآء البقايا . والمقت هو البغض بل اشد البغض ومع هذا فقد أخبر في القرآن انه لم يكن ليعذبهم حتى يبعث اليهم رسولا فقال (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال (ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى) وقال تعالى (ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) فدل ذلك على ان المقتضي لعذابهم قائم ولكن شرط العذاب هو بعد بلوغ الرسالة ولهذا قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انّه قال ما أحد احب اليه العذر من الله عز وجل من اجل ذلك ارسل الرسل وانزل الكتب وفى رواية من اجل ذلك بعث الرسل مبشرين ومنذرين وما أحد أحب اليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه وما أحد أغير من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد تنازع الناس فى حسن الافعال وقبحها كحسن العدل والتوحيد والصدق وقبح الظلم والشرك والكذب هل يعلم بالعقل ام لا يعلم الا

بالسمع واذا قيل انه يعلم بالعقل فهل يعاقب من فعل ذلك قبل ان يأتيه رسوله على ثلاثة اقوال معروفة في اصحاب الائمة الاربعة وغيرهم وهي ثلاثة اقوال لاصحاب الامام احمد وغيرهم. فقالت طائفة لا يعرف ذلك الا بالشرع لا بالعقل وهذا قول نظار المجبرة كالجهم بن صفوان وامثاله وهو قول ابي الحسن الاشعري واتباعه من اصحاب الائمة الاربعة كالقاضي ابي بكر ابن الطيب وابي عبد الله بن حامد والقاضي ابي يعلى وابي المعالي وابي الوفاء بن عقيل وغيرهم وقيل بل قد يعلم حسن الاقوال وقبحها بالعقل وقال ابو الخطاب محفوظ بن احمد وهذا قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وهذا هو المنقول عن ابي حنيفة نفسه وعليه عامة اصحابه وكثير من اصحاب مالك والشافعي واحمد وأهل الحديث كأبي الحسن التميمي وابي الخطاب وابي بكر القفال وابي نصر السنجري وابي القاسم سعد بن علي الريحاني وهو قول الكرامية وغيرهم من نظار المثبتة للقدر وهو قول المعتزلة وغيرهم من نظار القدرية ثم هؤلاء على قولين. منهم من يقول يستحقون عذاب الآخرة بمجرد مخالفتهم للعقل كقول المعتزلة والحنفية وابي الخطاب. وقول هؤلاء مخالف للكتاب والسنة. ومنهم من يقول لا يعذبون حتى يبعث اليهم رسول كما دل عليه الكتاب والسنة لكن افعالهم تكون مذمومة ممقوتة يذمها الله ويبغضها ويوصفون بالكفر الذي يذمه الله ويبغضه وان كان لا يعذبهم حتى يبعث اليهم رسولا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كما تقدم ان الله نظر الى اهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الا بقايا من اهل الكتاب وان ربي قال لي قم في قريش فانذرهم قلت اذا يثلغوا

رأسي حتى يدعوه خبزة قال اني مبتليك ومبتلي بك ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظانا فابعث جندا ابعث مثلهم وقاتل بمن اطاعك من عصاك وانفق انفق عليك وقال اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم ان يشركوا بي مالم انزل به سلطاناً .وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث كل مولود يولد على الفطرة وفي رواية على هـذه الملة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعا ثم يقول ابو هريرة رضى الله عنه اقرؤا ان شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها . قيل يارسول الله أرأيت من يموت وهو صغير قال الله اعلم بما كانوا عاملين ومع مقت الله لهم فقد أخبر أنه لم يكن ليعذبهم حتى يبعث اليهم رسولا وهـذا يدل على أبطال قول من قال انهم لم يكونوا مسيئين ولا مرتكبين القبيح حتى جاء السمع وقول من قال انهم كانوا معـذبين بدون السمع إما لقيام الحجة بالعقل كما يقوله من يقوله من القدرية. واما لمحض المشيئة كما يقوله المجبرة قال تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون) وقال تعالى (ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) وقال تعالى (ولو انا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى) فهذا يبين انه لم يكن ليعذب الكفار حتى يبعث اليهم رسولا وبين انهم كانوا قبل الرسول قد اكتسبوا

الاعمال التي توجب المقت والذم وهي سبب للعذاب لكن شرط العذاب قيام الحجة عليهم بالرسالة

(فصل) ومما ينبغي ان يعلم ان سبب ضلال النصارى وامثالهم من الغالية كغالية العباد والشيعة وغيرهم ثلاثة اشياء . احدها الفاظ متشابهة مجملة مشكلة منقولة عن الانبياء وعدلوا عن الالفاظ الصريحة المحكمة وتمسكوا بها وهم كلما سمعوا لفظاً لهم فيه شبهة تمسكوا به وحملوه على مذهبهم وان لم يكن دليلا على ذلك . والالفاظ الصريحة المخالفة لذلك اما ان يفوضوها واما ان يتأولوها كما يصنع أهل الضلال يتبعون المتشابه من الادلة العقلية والسمعية ويعدلون عن المحكم الصريح من القسمين والثاني خوارق ظنوها من الآيات وهي من أحوال الشياطين وهذا مما ضل به كثير من الضلال المشركين وغيرهم مثل دخول الشياطين في الاصنام وتكليمهم للناس . ومثل اخبار الشياطين للكهان بامور غائبة ولا بد لهم مع ذلك من كذب . ومثل تصرفات تقع من الشياطين . والثالث اخبار منقولة اليهم ظنوها صدقا وهي كذب . والا فليس مع النصارى ولا غيرهم من اهل الضلال على باطلهم لا معقول صريح ولا منقول صحيح ، ولا آية من آيات الانبياء ان تكلموا بمعقول تكلموا بالفاظ متشابهة مجملة فاذا استفسروا عن معاني تلك الكلمات وفرق بين حقها وباطلها تبين ما فيها من التلبيس والاشتباه وان تكلموا بمنقول . فاما ان يكون صحيحاً لا يدل على باطلهم . واما أن يكون غير ثابت بل مكذوب وكذلك ما يذكرونه من خوارق العادات . اما ان يكون صحيحاً قد ظهر على يد نبي كمعجزات المسيح ومن قبله كالياس واليسع وغيرهما من الانبياء

وكمعجزات موسى صلى الله عليه وسلم فهذه حق. واما ان تكون قد ظهرت على يد بعض الصالحين كالحواريين وذلك لا يستلزم ان يكونوا معصومين كالانبياء فان الانبياء معصومون فيما يبلغونه لا يتصور ان يقولوا على الله الا الحق ولا يستقر فى كلامهم باطل لا عمدا ولا خطأ واما الصالحون فقد يغلط احدهم ويخطئ مع ظهور الخوارق على يديه وذلك لا يخرجه عن كونه رجلاً صالحاً ولا يوجب ان يكون معصوما اذ كان هو لم يدع العصمة ولم يات بالآيات دالة على ذلك ولو ادعى العصمة وليس بنبي لكان كاذبا لابد أن يظهر كذبه فتقترن به الشياطين فتضله ويدخل فى قوله تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم) والنصارى عندهم منقول في الاناجيل ان الذى صلب ودفن في القبر راه بعض الحواريين وغيرهم بعد ان دفن قام من قبره مرتين أو ثلاثا وأراهم موضع المسامير وقال لا تظنوا أني شيطان وهذا اذا كان صحيحاً فذاك شيطان ادعى أنه المسيح ولبس على اولئك ومثل هذا قد جرى لخلق كثير فى زماننا وقبل زماننا كناس كانوا بتدمر فرأوا شخصاً عظيما طائراً فى الهواء وظهر لهم مرات بانواع من اللباس وقال لهم انا المسيح بن مريم وامرهم بامور يمتنع ان يامر بها المسيح وحضروا الى عند الناس وبينوا ان ذلك هو شيطان اراد أن يضلهم. وآخرون ياتى احدهم الى قبر من يعظمه ويحسن به الظن من الصالحين وغيرهم فتارة يرى القبر قد انشق وخرج منه انسان على صورة ذلك الرجل وتارة يرى ذلك الانسان قد دخل فى القبر وتارة يراه اما راكباً واما ماشياً داخلا الى مكان ذلك الميت كالقبة

المبنية على القبر وتارة يراه خارجا من ذلك المكان ويظن ان ذلك هو ذلك الرجل الصالح وقد يظن ان قوماً استغاثوا به فذهب اليهم ويكون ذلك شيطانا تصور بصورته وهذا جرى لغير واحد ممن أعرفهم وتارة يستغيث أقوام بشخص يحسنون به الظن اما ميت واما غائب فيرونه بعيونهم قد جاء وقد يكلمهم وقد يقضي بعض حوائجهم فيظنونه ذلك الشخص الميت وانما هو شيطان زعم انه هو وليس هو اياه وكثيراً ما ياتي الشخص بعد الموت في صورة الميت فيحدثهم ويقضي ديونا ويرد ودائع ويخبرهم عن الموتى ويظنون انه هو الميت نفسه قد جاء اليهم وانما هو شيطان تصور بصورته وهذا كثير جداً لاسيما في بلاد الشرك كبلاد الهند ونحوها ومن هؤلاء من تراه انت تحت سريره آخذا بيد ابنة في الجنازة ومنهم من يقول اذا مت فلا تدعوا احداً يغسلني فانا آتي من هذه الناحية اغسل نفسي فيأتي بعد الموت شخص في الهواء على صورته يغسله هو والذي اوصاه ويظن ذلك انه جاء وانما هو شيطان تصور بصورته. وتارة يرى أحدهم شخصاً اما طائراً في الهواء واما عظيم الخلقة واما ان يخبره باشياء غائبة ونحو ذلك ويقول له انا الخضر ويكون ذلك شيطاناً كذب على ذلك الشخص وقد يكون الرآئي من أهل الدين والزهد والعبادة وقد جرى هذا لغير واحد وتارة يرى عند قبر نبي او غيره ان الميت قد خرج اما من حجرته واما من قبره وعانق ذلك الزائر وسلم عليه ويكون شيطاناً تصور بصورته وتارة يجيء من يجيء الى عند قبر ذلك الشخص فيستأذنه في أشياء يسأله عن أمور فيخاطبه شخص يراه او يسمع صوتاً أو يرى شخصاً ويكون

ذلك شيطاناً اضله. وقد يرى اشخاصاً في اليقظة اما ركباناً واما غير ركبان ويقولون هذا فلان النبي اما ابراهيم واما المسيح واما محمد وهذا فلان الصديق اما ابو بكر واما عمر واما بعض الحواريين وهذا فلان لبعض من يعتقد فيه الصلاح اما جرجس واما غيره ممن تعظمه النصارى واما بعض شيوخ المسلمين ويكون ذلك شيطاناً ادعي انه ذلك النبي او ذلك الشيخ او الصديق او القديس ومثل هذا يجرى كثيراً لكثير من المشركين والنصارى وكثير من المسلمين ويرى أحدهم شيخاً يحسن به الظن ويقول انا الشيخ فلان ويكون شيطاناً واعرف من هذا شيئاً كثيراً واعرف غير واحد ممن يستغيث ببعض الشيوخ الغائبين والموتى يراه قد اتاه في اليقظة واعانه وقد جرى مثل هذا لي ولغيرى ممن اعرفه ذكر غير واحد انه استغاث بي من بلاد بعيدة وانه رآني قد جئته. ومنهم من قال رأيتك راكباً بثيابك وصورتك ومنهم من قال رأيتك على جبل ومنهم من قال غير ذلك فاخبرتهم انى لم اغثهم وانما ذلك شيطان تصور بصورتي ليضلهم لما اشركوا بالله ودعوا غير الله وكذلك غير واحد ممن اعرفه من اصحابنا استغاث به بعض من يحسن به الظن فرآه قد جاءه وقضى حاجته قال صاحبي وانا لا اعلم بذلك ومن هؤلاء الشيوخ من يقول انه يسمع صوت ذلك الشخص المستغيث به ويجيبه وتكون الشياطين اسمعته صوتا يشبه صوت المستغيث به فاجابه الشيخ بصوته فاسمعت المستغيث صوتاً يشبه صوت الشيخ فيظن انه صوت الشيخ وهذا اجرى لمن اعرفه فاخبر بذلك عن نفسه وقال بقي الجنى الذى يحدثني يبلغني مثل صوت المستغيثين بي ويبلغهم مثل صوتي ويريني فى

شيء ابيض نظير ما أسأل عنه فاخبر به الناس انى رأيته وانه سيأتى ولا اكون قد رأيته وانما رأيت شبهه وهكذا تفعل الجن بمن يعزم عليهم ويقسم عليهم وكذلك ماراه قسطنطين من الصليب الذى رآه من نجوم والصليب الذى رآه مرة أخرى وهو مامثله الشياطين واراهم ذلك ليضلهم به كما فعلت الشياطين ماهو اعظم من ذلك لعباد الاوثان وكذلك من ذكر ان المسيح جاءه في اليقظة وقال انه المسيح شيطان من الشياطين كما جرى مثل ذلك لغير واحد . والشيطان انما يضل الناس ويغويهم بما يظن انهم يطيعونه فيه فيخاطب النصارى بما يوافق دينهم ويخاطب من يخاطب من ضلال المسلمين بما يوافق اعتقاده وينقله الى مايستجيب لهم فيه بحسب اعتقادهم . ولهذا يتمثل لمن يستغيث من النصارى بجرجس فى صورة جرجس او بصورة من يستغيث به من النصارى من اكابر دينهم امابعض البتاركة واما بعض المطارنة واما بعض الرهبان ويتمثل لمن يستغيث به من ضلال المسلمين بشيخ من الشيوخ فى صورة ذلك الشيخ كما يتمثل لجماعة ممن اعرفه فى صورتي وفي صورة جماعة من الشيوخ الذين ذكروا فى ذلك ويتمثل كثيراً في صورة بعض الموتى تارة يقول انا الشيخ عبد القادر وتارة يقول انا الشيخ ابو الحجاج الاقصرى وتارة يقول انا الشيخ عدى وتارة يقول انا احمد بن الرفاعى وتارة يقول انا ابومدين المغربى واذا كان يقول انا المسيح او ابراهيم او محمد فغيرهم بطريق الاولى والنبى صلى الله عليه وسلم قال من رآنى فى المنام فقد رآني حقاً فان الشيطان لايتمثل فى صورتى وفى رواية في صور الانبياء فرؤيا الانبياء في المنام حق . وأما رؤية

الميت في اليقظة فهذا جني تمثل في صورته. وبعض الناس يسمي هذا روحانية الشيخ وبعض الناس يقول هي رفيقه وكثير من هؤلاء من يقوم من مكانه ويدع في مكانه صورة مثل صورته وكثير من هؤلاء ومن هؤلاء يرى في مكانين ويرى واقفاً بعرفات وهو في بلده لم يذهب فيبقى الناس الذين لا يعرفون حائرين فان العقل الصريح يعلم ان الجسم الواحد لا يكون في الوقت الواحد في مكانين. والصادقون قد رأوا ذلك عياناً لا يشكون فيه ولهذا يقع النزاع كثيراً بين هؤلاء وهؤلاء كما قد جرى ذلك غير مرة وهذا صادق فيما رأى وشاهد وهذا صادق فيما دل عليه الصريح لكن ذلك المرىء كان جنياً تمثل في صورة الانسان. والحسيات ان لم يكن معها عقليات تكشف حقائقها والا وقع فيها غلط كثير وهذا القسم المشهود في الخارج غير ما يتخيله الانسان في نفسه فان هذا يعرفه جميع الناس ويعرفه جميع العقلاء يتخيلون اشياء في انفسهم كما يتخيله النائم في منامه وتكون تلك الصورة موجودة في الخيال لا في الخارج . والفلاسفة وجميع العقلاء يعترفون بهذا لكن كثير من الفلاسفة يظن ان مارأته الانبياء من الملائكة وما سمعته من الكلام كان من هذا النوع ويظنون ان مايرى من الجن هو من هذا النوع وهؤلاء جهال غالطون في هذا كما جهلوا وغلطوا في ظنهم ان خوارق العادات سببها قوى نفسانية او طبيعية او قوى فلكية وان الفرق بين النبي والساحر انما هو حسن قصد هذا وفساد قصد ظن الآخر والا فكلاهما خوارق سببها قوي نفسانية او فلكية وهذا النفي باطل كما قد بسطنا الكلام عليه وبينا جهل هؤلاء وضلالهم في غير

هذا الموضع. والذين شاهدوا ذلك في الخارج وثبت عندهم بالاخبار الصادقة المتواترة وجود ذلك في الخارج يعلمون ان هؤلاء جاهلون ضالون ويعلمون ان الملائكة تظهر في صورة البشر كما ظهرت لابراهيم ولوط ومريم في صورة البشر وكما كان جبريل يظهر للنبي صلى الله عليه وسلم تارة في صورة دحية الكلبي وتارة في صورة اعرابي ويراه كثير من الناس عياناً وما في خيال الانسان لايراه وكذلك لما ظهر الشيطان للمشركين في صورة الشيخ النجدي وغيره وظهر لهم يوم بدر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فلما رأى الملائكة هرب قال تعالى (وإذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى مالا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب) وروى عن ابن عباس وغيره قال تبدا ابليس في جند من الشياطين ومعه راية في صورة رجال من مدلج والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم. واقبل جبريل عليه السلام على ابليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين نزع ابليس يده وولى مدبراً هو وشيعه فقال الرجل ياسراقة اتزعم انك لنا جار فقال اني أرى مالا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب قال ابن عباس وذلك لما رأى الملائكة قال الضحاك سار الشيطان معهم برايته وجنوده والقى في قلوب المشركين ان احداً لن يغلبكم وانتم تقاتلون على دينكم ودين آبائكم. وكثير من الناس تحمله الجن الى مكان بعيد فتحمل كثيراً من الناس الى عرفات وغير عرفات واذا رأي واحد

من هؤلاء فى غير بلده يكون تارة محمولا تارة قد حملته الجن وتارة قد تصورت على صورته ولا يكون هـذا من اولياء الله المتقين الذين لهم كرامات بل قد يكون من الكافرين او الفاسقين واعرف من ذلك قصصا كثيرة ليس تفصيلها فى هذا الموضع وعند المشركين والنصارى من ذلك شيء كثير يظنونه من جنس الآيات التى للانبياء وانما هى من جنس ما للسحرة والكهان ومن لم يفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ويفرق بين معجزات الانبياء وكرامات الصالحين وبين خوارق السحرة والكهان ومن يقترن بهم الشياطين والا التبس عليه الحق بالباطل فاما ان يكذب بالحق الذى جاء به الانبياء الصادقون واما ان يصدق بالباطل الذى يقوله الكافرون والغالطون وهذه الامور مبسوطة فى موضع آخر والمقصود هنا التنبيه على هذا الاصل . وعلماء النصارى يسامون هـذا وعندهم من ذلك اخبار كثيرة من حكايات أولياء الشيطان الذين عارضهم اولياء الرحمن وابطلوا أحوالهم كما ابطل موسى ما عارضه به السحرة من الخوارق كما ذكر فى التوراة وكما يذكرونه عن فلان وفلان مثل حكاية سيمون الساحر مع الحواريين وغير ذلك فاذا كان هذا معلوما كان ما يذكرونه من هذا الجنس اذا كان مخالفا لما ثبت عن الانبياء من الشيطان فلا يجوز ان يحتج على ما يخالف شرائع الانبياء الثابتة عنهم بل هؤلاء من جنس الدجال الكبير الذى انذر به الانبياء كلهم حتى نوح انذر قومه وقال خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم ما من نبى الا قد انذر أمته حتى نوح انذر قومه وسأقول لكم فيه قولا لم يقله نبى لامته أنه أعور وان ربكم

ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر ك ف ر يقرأه كل مؤمن قارىء وغير قارىء وقال واعلموا أن أحداً منكم لن يرَ ربه حتى يموت وقد اخبر أن المسيح عيسى بن مريم مسيح الهدى ينزل الى الارض على المنارة البيضاء شرقي دمشق فيقتل مسيح الضلالة وهذا هو الذى تنتظر اليهود ويجحدون المسيح عيسى بن مريم ويقولون هذا هو الذى بشرت به الانبياء ويتبعه من يهود اصبهان سبعون الفاً مطيلسين ويقتلهم المسلمون مع عيسى بن مريم شر قتلة حتى يقول الشجر والحجر يامسلم هذا يهودي ورآئي تعال اقتله وكل هذا ثابت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا أمر أمته ان يستعيذوا بالله من فتنته فقال اذا قعد أحدكم في التشهد في الصلاة فليتعوذ بالله من اربع . من عذاب جهنم . ومن عذاب القبر . ومن فتنة المحيا والممات . ومن فتنة المسيح الدجال . والانبياء كلهم انذروا بالكذابين الذين يتشبهون بالانبياء لكن من الناس من يتعمد الكذب وكثير منهم لا يتعمد بل يلتبس عليه فيغلط فيخبر بما يظنه حقا ولا يكون كذلك ويرى في اليقظة ما يظنه فلانا الولي او النبي او الخضر ولا يكون كذلك . والغلط جائز على كل احد الا الانبياء عليهم السلام فانهم معصومون لا يقرون على خطأ فمن لم يزن علومه واعماله وأقواله وأفعاله بالعلوم عن الانبياء والا كان ضالا نسأل الله العظيم ان يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين انعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً

(فصل) والخوارق التي يضل بها الشياطين ابني آدم مثل تصور

الشيطان بصورة شخص غائب أو ميت ونحو ذلك ضل بها كثير من الناس من المنتسبين الى المسلمين أو الى أهل الكتاب وغيرهم وهم بنوا ذلك على مقدمتين • أحدهما ان من ظهرت هذه على يديه فهو ولي لله . وبلغة النصارى هو قديس عظيم . الثاني ان من يكون كذلك فهو معصوم وكل مايخبر به فهو حق وكل مايأمر به فهو عدل وقد لا يكون ظهرت على يديه خوارق لارحمانية ولا شيطانية ولكن صنع حيلة من حيل أهل الكذب والفجور . وحيل أهل الكذب والفجور كثيرة جدا فيظن ان ذلك من العجائب الخارقة للعادة ولا يكون كذلك مثل الحيل المذكورة عن الرهبان وقد صنف بعض الناس مصنفاً في حيل الرهبان مثل الحيلة المحكية عن أحدهم في جعل الماء زيتا بان يكون الزيت في جوف منارة فاذا نقص صب فيها ماء فيطفو الزيت على الماء فيظن الحاضرون ان نفس الماء انقلب زيتا • ومثل الحيلة المحكية عنهم في ارتفاع النخلة وهو ان بعضهم مر بدير راهب وأسفل منه نخلة فاراه النخلة صعدت شيئا فشيئاً حتى حاذت الدير فاخذ من رطبها ثم نزلت حتى عادت كما كانت فكشف الرجل الحيلة فوجد النخلة في سفينة في مكان منخفض اذا ارسل عليه الماء أمتلأ حتى تصعد السفينة واذا صرف الماء الى موضع آخر هبطت السفينة . ومثل الحيلة المحكية عنهم في التكحل بدموع السيدة وهو أنهم يضعون كحلا في ماء متحرك حركة لطيفة فيسيل حتى ينزل من تلك الصورة فيخرج من عينها فيظن انه دموع ومثل الحيلة التى صنعوها بالصورة التي يسمونها القونة بصيدنايا وهى أعظم مزاراتهم بعد القيامة وبيت لحم حيث ولد المسيح وحيث قبر فان

هذه هي صورة السيدة مريم واصلها حشة نخلة سقيت بالادهان حتى سمنت وصار الدهن يخرج منهــا مصنوعاً يظن انه من بركة الصورة ومن حيلهم الكثيرة النــار التي يظن عوامهم انها تنزل من السماء في عيدهم في قمامة وهي حيلة قد شهدها غير واحد من المسلمين والنصارى وراؤها بعيونهم انها نار مصنوعة يصلون بها عوامهم يظنون انها نزلت من السماء ويتبركون بها وانما هي صــنعة صاحب محال وتلبيس. ومثل ذلك كثير من حيل النصارى فجميع ما عند النصارى المبدلين لدين المسيح من الخوارق . اما حال شــيطاني. واما محال بهتاني ليس فيه شيء من كرامات الصالحين . وكذلك أهل الالحاد المبدلين لدين محمد صلى الله عليه وسلم الذين يتخذون ديناً لم يشرعه الله ورسوله ويجعلونه طريقاً الى الله وقد يختارونه على الطريق الذى شرعها الله ورسوله مثل ان يختاروا سماع الدفوف والشبابات على سماع كتاب الله تعالى فقد يحصل لاحدهم من الوجد والغرام الشيطاني ما يلابسه معه الشيطان حتى يتكلم على لسان أحدهم بكلام لا يعرفه ذلك الشخص اذا أفاق كما يتكلم الجنى على لسان المصروع وقد يخبر بعض الحاضرين بما في نفسه ويكون ذلك من الشيطان فاذا فارق الشيطان ذلك الشخص لم يدر ما قال. ومنهم من يحمله الشيطان ويصعــد به قدام الناس في الهواء. ومنهم من يشير الى بعض الحاضرين فيموت او يمرض أو يصير مثل الخشبة . ومنهم من يشير الى بعض الحاضرين فيلبسه الشيطان ويزول عقله حتى يبقى دائراً زمانا طويلا بغير اختياره. ومنهــم من يدخل النار ويأكلها ويبقى لهبها في بدنه وشعره. ومنهم من تحضر له الشياطين طعاما أو شيئاً من لادن أو

سكر او زعفران او ماء ورد. ومنهم من تأتيه بدراهم تسرقها الشياطين من بعض المواضع. ثم من هؤلاء اذا فرق الدراهم على الحاضرين اخذت منهم فلا يمكنون من التصرف فيها الى امور يطول وصفها. وآخرون ليس لهم من يعينهم على ذلك من الشياطين فيصنعون حيلا ومخاريق فالملحدون المبدلون لدين الرسل دين المسيح أو دين محمد صلى الله عليهم وسلم كامثالهم من الالحاد والضلال الكفار المرتدين المشركين وغيرهم كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي والحارث الدمشقي وبابا الرومي وغيرهم ممن لهم خوارق شيطانية. واما أهل الحيل فيكثرون وهؤلاء ليسوا أولياء الله بل خوارقهم اذا كانت شيطانية من جنس خوارق الكهنة والسحرة لم يكن لهم حال شيطاني بل محال بهتاني فهم متعمدون الكذب والتلبيس. بخلاف من يقترن به الشياطين فان فيهم من يلبس عليه فيظن ان هذا من جنس كرامات الصالحين كما ان فيهم من يعرف ان ذلك من الشياطين ويفعله لتحصيل اغراضه فالمقصود انه كثير من الخوارق مايكون من الشياطين. او يكون حيلا ومخاريق ويظن انها من كرامات الصالحين فان مايكون سببه الشرك او الفجور انما يكون من الشياطين مثل ان يشرك الرجل بالله فيدعو الكواكب أو يدعو مخلوقا من البشر ميتاً أو غائباً أو يعزم أو يقسم باسماء مجهولة لايعرف معناها او يعرف انها اسماء الشياطين أو يستعين بالفواحش والظلم فان ماكان هذا سببه من الخوارق فهو من الشيطان كما قد بسط الكلام على ذلك في غير هذا الموضع. والصالحون لهم كرامات مثل كرامات صالحي هذه الامة ومثل كرامات الحواريين وغيرهم ممن كان

على دين المسيح لكن وجود الكرامات على ايدى الصالحين لاتوجب ان يكونوا معصومين كالانبياء بل يكون الرجل صالحاً وليـاً لله وله كرامات ومع هذا فقد يغلط ويخطىء فيما يظنه او فيما يسمعه ويرويه أو فيما يراه أو فيما يفهمه من الكتب ولهذا كان كل من سوى الانبياء يؤخذ من قولهم ويترك. بخلاف الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين فانه يجب تصديقهم في كل ما اخبروا به من الغيب وطاعتهم في كل ما امروا به ولهذا اوجب الله الايمان بكل ماأتوه ولم يوجب الايمان بجميع مايأتى به غيرهم قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتيَ النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) وقال تعالى (ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) ولهذا اتفق المسلمون على ان من كذب نبياً معلوم النبوة فهو كافر مرتد ومن سب نبياًوجب قتله بل يجب الايمان بجميع ما أوتيه النبيون كلهم وان لايفرق بين أحد منهم فيؤمن ببعض ويكفر ببعض قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهينا) وليس هذا لاحد غير الانبياء ولو كان من رسل الانبياء وكانوا من اعظم الصديقين المقدمين

(فصل) فضلال الضلال من هؤلآء مبنى على مقدمتين . أحدهما ان هذا له كرامة فيكون ولياًلله . والثانى ان ولى الله لايجوز ان يخطىء بل يجب تصديقه

في كل ما اخبر وطاعته في كل ما أمر وليس لاحد من البشران يصدق في كل ما أخبر به ويطاع في كل ما أمرالا ان يكون نبياً . والمقدمتان المذكورتان قد تكون احداهما باطلة وقد يكون كلاهما باطلا فالرجل المعين قد لا يكون من اولياء الله.وتكون خوارقه من الشياطين . وقد يكون من اولياء الله ولكن ليس بمعصوم بل يجوز عليه الخطأ .وقد لا يكون من اولياء الله ولا يكون له خوارق ولكن له محالات واكاذيب .والمسلمون وأهل الكتاب متفقون على اثبات مسيحين مسيح هدى من ولد داوود ومسيح ضلال يقول أهل الكتاب انه من ولد يوسف.ومتفقون على ان مسيح الهدى سوف يأتي كما ياتي مسيح الضلالة لكن المسلمون والنصارى يقولون مسيح الهدى هو عيسى بن مريم وان الله ارسله ثم يأتي مرة ثانية لكن المسلمون يقولون انه ينزل قبل يوم القيامة فيقتل مسيح الضلالة ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يبقى ديناً إلا دين الاسلام ويؤمن به أهل الكتاب اليهود والنصارى كما قال تعالى (وإنْ من أهل الكتاب الا ليؤمننّ به قبل موته) والقول الصحيح الذي عليه الجمهور قبل موت المسيح وقال تعالى (وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها)واما النصارى فيظن انه الله وانه يأتي يوم القيامة لحساب الخلائق وجزائهم وهذا مما ضلوا فيه . واليهود تعترف بمجيء مسيح هدى يأتي لكن يزعمون ان عيسى عليه السلام لم يكن مسيح هدى لزعمهم انه جاء بدين النصارى المبدل ومن جاء به فهو كاذب وهم ينتظرون المسيحيين

(فصل)قالوا وقال في سورة آل عمران (فان كذبوك فقد كذب رسل

من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) فأعنى أيضاً بالكتاب المنير الذي هو الأنجيل المقدس. فيقال قد تقدم ان الرسل يتناول قطعاً الرسل الذين ذكرهم الله في القرآن لاسيا اولوا العزم كنوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم فان هؤلاء مع محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين صلوات الله عليهم وسلامه خصهم الله وفصلهم بقوله تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ليسأل الصادقين عن صدقهم واعد للكافرين عذاباً اليا) وفي قوله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فالدين دين رسل الله دين واحد كما بينه الله في كتابه وكما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معاشر الانبياء ديننا واحد وأنا أولى الناس بابن مريم لانه ليس بيني وبينه نبي. ويتناول أيضاً اسم الرسل من لم يسمهم باعيانهم في القرآن قال تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داوود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما) وقال تعالى (ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) واما الحواريون فان الله تعالى ذكرهم في القرآن ووصفهم بالاسلام واتباع الرسول والايمان بالله كما انزل في

قوله تعالى (فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) وقال تعالى (واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين) ولم يذكر الله تعالى في القرآن انه ارسلهم البتة بل ذكر انه الهمهم الايمان به وبرسوله وانهم امروا باتباع رسوله وقوله (واذ اوحيت الى الحواريين) لا يدل على النبوة فانه قال تعالى (واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه) وام موسى لم تكن نبية بل ليس في النساء نبية كما تقوله عامة علماء النصارى والمسلمين وقد ذكر اجماعهم على ذلك غير واحد مثل القاضيين ابي بكر بن الطيب وابي يعلى ابن ابي الفرا والاستاذ ابي المعالي الجويني وغيرهم ويدل على ذلك قوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى) وقوله تعالى (ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة) فجعل غاية مريم الصديقية كما جعل غاية المسيح الرسالة وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا اربعة مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم يعني من نساء الامم قبلنا وهذا يدل على ان أم موسى ليست ممن كمل من النساء فكيف تكون نبية وقوله تعالى (جاؤا بالبينات

والزبر والكتاب المنير) والكتاب اسم جنس كما تقدم يتناول كل كتاب أنزله الله تعالى وقال الله تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) وقوله ولا كتاب منير نكرة فى سياق النفي تعم كل كتاب منير ولولم يكن الا الانجيل لقيل ولا الكتاب المنير وأيضاً فالتوراة أعظم من الانجيل وقد بين الله انه لم ينزل كتابا اهدى من التوراة والقرآن فقال تعالى (وقالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران (وقرئ ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه إن كنتم صادقين) وهذا تعجيز لهم ان يأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما كقوله (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وهذا يبين انه ليس الانجيل ولا الزبور اهدى من التوراة والقرآن فكيف يجعل الكتاب المنير هو الانجيل دون التوراة والزبور وايضا فان الله تعالى انما يخص بالذكر من الكتب المتقدمة التوراة دون غيرها فهي التي يقرنها بالقرآن كقوله تعالى (وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسي نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) وقد وصف التوراة بان فيها نورا وهدى للناس فكيف يجعل النور في الانجيل دونها وقال تعالى (ثم آتينا موسى الكتاب

تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين) فقد ذكر التوراة والقرآن وقولهم أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا فبين ان الكتاب اسم جنس يتناول هنا التوراة والانجيل كقوله تعالى ياأهل الكتاب وقوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) فذكر الكتاب بلفظ المفرد ومعلوم انه اراد بالذين أوتوا الكتاب من قبلنا اليهود والنصارى لايختص ذلك بالنصارى كما قال (ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) وقد تبين بطلان قول هؤلاء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه ويفسرون كلام الله ورسوله بما يعلم كل من عرف حاله من مؤمن وكافر انه لم يرده وبين ان الله لم يرد بالكتاب الانجيل وحده كما لم يرد بالرسل الحواريين بل اراد بالكتاب المنير ما انزله الله من الكتب كالتوراة والانجيل كما اراد بالرسل من ارسله الله مطلقا كنوح وابراهيم وموسى والمسيح بن مريم صلوات الله عليهم وسلامه اجمعين

(فصل) قالوا وقال ايضا (وان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) فيقال لهم من المعلوم بالاضطرار انه ليس المراد بهذا النصارى فقط كما تقدم بل اليهود يقرؤن الكتاب من قبلنا والنصارى

يقرؤن الكتاب من قبلنا . والكتاب اسم جنس كما تقدم نظائره في قوله (ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) وقوله (وطعام الذين اوتوا الكتاب) وقوله يا اهل الكتاب في غير موضع وقوله (لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين) وقوله تعالى (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وقد قال تعالى (يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا) وتناول لفظ اهل الكتاب هنا لليهود اظهر من تناوله للنصارى لذكره لعنة اصحاب السبت وكذلك قوله تعالى (وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) فهذا خبر عن طائفة من اليهود قالوا ذلك وقال تعالى (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) وسبب نزولها اراد طائفة من اليهود القاء الفتنة بين المسلمين فهم داخلون قطعا وان كان الخطاب مطلقا يتناول الطائفتين وامره تعالى بسؤال الذين يقرؤن الكتاب من قبله على تقدير الشك لا يقتضى ان يكون الرسول شك ولا سأل.

ان قيل الخطاب له وان قيل لغيره فهو اولى واحرى . فان تعليق الحكم بالشرط لا يدل على تحقيق الشرط بل قد يعلق بشرط ممتنع لبيان حكمة قال تعالى (ومن ذريته داوود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيي وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) فاخبر انهم لو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) مع انتفاء الشرك عنهم بل مع امتناعه لانهم قد ماتوا ولان الانبياء معصومون من الشرك وقال تعالى (قل افغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) فهذا خطاب للجميع وذكر هنا لفظ ان لانه خطاب لموجود وهناك خبر عن ميت وكذلك قوله (فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسال) لا يدل على وقوع الشك ولا السؤال بل النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن شاكا ولا سال احدا منهم بل روي عنه انه قال والله لا اشك ولا اسال ولكن المقصود بيان ان اهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك فيه الكافرون كما قال تعالى فى الآية الاخرى (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب) وقال تعالى (قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين) وقال تعالى (اولم يكن لهم آية ان يعلمه

علماء بني اسرئيل) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين) الآية وقال (ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) وقال تعالى (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) وقال تعالى (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك) وقال تعالى (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم) فالمقصود بيان ان اهل الكتاب عندهم ما يصدقك فيما كذبك فيه الكافرون وذلك من وجوه. احدها ان الكتب المتقدمة تنطق بان موسى وغيره دعوا الى عبادة الله وحده ونهوا عن الشرك فكان فى هذا حجة على من ظن ان الشرك دين. ومثل هذا قوله تعالى (واسئل من أرسلنا قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقوله تعالى (وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا آله الا انا فاعبدون) وقوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) الوجه الثانى ان اهل الكتاب يعلمون ان الله انما ارسل الى الناس بشراً مثلهم لم يرسل اليهم ملكا فان من الكفار من كان يزعم ان الله

لا يرسل الا ملكا او بشرا معه ملك ويتعجبون من ارسال بشر ليس معه ملك ظاهر كما قال تعالى (وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) وقال تعالى (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين) وقال تعالى (كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر) الآية (وكذلك قال الذين من بعدهم ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون) وكذلك قال قوم فرعون لموسى وهرون (انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقال فرعون ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين) وكذلك قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم (قال تعالى (آلر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجباً ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم وقال تعالى (وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) فبين سبحانه انكم لا تطيقون التلقي عن الملك فلو انزلناه ملكا لجعلناه في صورة بشر وحينئذ كنتم تظنونه بشرا فيحصل اللبس عليكم فامر الله

تعالى بسؤال اهل الكتاب عمن ارسل اليهم اكان بشرا ام كان ملكا ليقيم
الحجة بذلك على من انكر ارسال بشر كما قال تعالى (وما أرسلنا من
قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم
لاتعلمون) وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين
ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين)
واهل الذكر هم أهل الذكر الذى انزله الله تعالى. الوجه الثالث انهم
يسألون أهل الكتاب عما جرى للرسل مع أممهم وكيف كان عاقبة
المؤمنين بهم وعاقبة المكذبين لهم. الوجه الرابع يسألون أهل الكتاب
عن الدين الذى بعث الله به رسله وهو دين الاسلام الذى اتفقت عليه
الرسل كالامر بالتوحيد والصدق والعدل وبر الوالدين وصلة الارحام
والنهى عن الشرك والظلم والفواحش. الوجه الخامس يسألونهم عما
وصفت به الرسل ربهم هل هو موافق لما وصفه به محمد ام لا وهذه
الامور المسئول عنها متواترة عند أهل الكتاب معلومة لهم ليست مما
يشكون فيه وليس اذا كان مثل هذا معلوماً لهم بالتواتر فيسألون عنه
يجب ان يكون كل ما يقولونه معلوماً لهم بالتواتر. وأيضاً فانهم يسألون
أيضاً عما عندهم من الشهادات والبشارات بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وقد اخبر الله بذلك فى القرآن فقال تعالى (ورحمتى وسعت كل شيء
فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون
الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في
التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت

عليهم وقال تعالى (وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدى اسمه احمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) فقد أخبر عن عيسى انه صدق بالرسول والكتاب الذى قبله وهو التوراة وبشر بالرسول الذى يأتي بعده وهو احمد قال تعالى (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون) الى قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون) وقال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وانه لفي زبر الاولين اولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بنى اسرائيل) وقال تعالى عن من اثنى عليه من النصارى (واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا) وقال تعالى (وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به اولا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً وقال تعالى افغير الله ابتغى حكما وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) وقال تعالى (ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من

ربنا انا كنا من قبله مسلمين اؤلئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون)وقال تعالى فى سورة الانعام (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لايؤمنون) وقال تعالى (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) والاخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد صلى الله عليه وسلم عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم وكان قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم تجري حروب وقتال بين العرب وبين أهل الكتاب فيقول أهل الكتاب قد قرب مبعث هذا النبي الامي الذي يبعث بدين ابراهيم فاذا ظهر اتبعناه وقتلناهم معه شر قتلة فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان منهم من آمن به ومنهم من كفر به فقال تعالى (وكانوا من قبل يستفتحون) أى يستنصرون بمحمد صلى الله عليه وسلم على الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) ولهذا كان النبى صلى الله عليه وسلم في خطابه لاهل الكتاب يقول لهم والله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله وكذلك من اسلم منهم كعبد الله بن سلام وكان يقول لغيره من أهل الكتاب والله الذى لا اله الا هو انكم لتعلمون انه رسول الله وهذا امر معروف في الاحاديث الصحاح والمخرجة فى الصحيحين وغيرهما فظهر بما ذكرناه تحريف هؤلاء لكلام الله وانه لاحجة لهم فيما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم نظائر ذلك

(فصل) قالوا فثبت بهذا ماءعنا نعم ونفا عن انجيلنا وكتبنا التي في ايدينا التهم والتبديل لها والتغيير لما فيها بتصديقه اياها. فيقال كلامكم الذي تحتجون به في هذا الموضع وغيره اما ان يكون باطلا محضاً واما ان يكون مما لبستم فيه الحق بالباطل . فان قولكم بتصديقه اياها ان اردتم انه صدق التوراة والانجيل والزبور التي انزلها الله على انبيائه فهذا لاريب فيه فان هذا مذكور في القرآن في غير موضع وقد اوجب على عباده ان يؤمنوا بكل كتاب انزله وكل نبي من الانبياء مع اخباره أنه انزل هذه الكتب قبل القرآن وانزل القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه قال تعالى (آلم الله لااله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان) وقال تعالى (ثم انزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) وقال تعالى (يا أهل الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على أدبارها او نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت) وقال تعالى (آلم الله لااله الا هو الحيّ القيوم) الآية وقال تعالى وانزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه)الآية وقال (والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير) وقال (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون) وقال (آمنوا بما انزلنامصدقا لما معكم) وقد اوجب على عباده ان يؤمنوا بجميع كتبه ورسله وحكم بكفر من آمن ببعض وكفر

ببعض فقال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وقال تعالى (آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله) وقال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفوراً رحيما) فذم المفرّق بينهم بان يؤمن ببعض دون بعض وبين انه فضل بعضهم على بعض فقال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) فبين انه فضل بعضهم على بعض وقال تعالى (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الاسلام وهو انه يجب الايمان بجميع الانبياء والمرسلين وبجميع ما انزل الله من الكتب فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته مثل ابراهيم ولوط وموسى وداود وسليمان ويونس وعيسى فهو كافر عند جميع المسلمين حكمه حكم الكفار وان كان مرتدا استتيب فان تاب والا قتل . ومن سب نبيا واحداً من الانبياء قتل ايضاً باتفاق المسلمين وما علم المسلمون ان نبيا من الانبياء اخبر به فعليهم التصديق به كما يصدقون بما اخبر

به محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون ان اخبار الانبياء لا تتناقض ولا تختلف ومالم يعلموا ان النبي اخبر به فهو كما لم يعلموا ان محمدا اخبر به صلى الله وسلم عليهم اجمعين ولكن لا يكذبون الا بما علموا انه كذب كما لا يجوز ان يصدقوا الا بما علموا انه صدق ومالم يعلموا انه كذب ولا صدق لم يصدقوا به ولم يكذبوا به كما امرهم نبيهم محمد عليه السلام وبهذا امرهم المسيح عليه السلام فقال.الامور ثلاثة امر تبين رشده فاتبعوه وامر تبين غيه فاجتنبوه وامر اشتبه عليكم فكلوه الى عالمه

(فصل)وان ارادوا بتصديقه كتبهم انه صدق ماهم عليه من العقائد والشرائع التى ابتدعوها بغير اذن من الله وخالفوا بها ماتقدمه من شرائع المسلمين او خالفوا بها الشرع الذى بعث به مثل القول بالتثليث والاقانيم والقول بالحلول والاتحاد بين اللاهوت والناسوت وقولهم ان المسيح هو الله وابن الله وماهم عليه من انكار مايجب الايمان به من الايمان بالله واليوم الآخر ومن تحليل ماحرمه الله ورسله كالخنزير وغيره وبين انهم لايدينون بدين الحق الذى انزل به كتابه وارسل به رسوله بل بدين مبتدع ابتدعه لهم اكابرهم كما قال تعالى (اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم) وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لعدىّ بن حاتم وكان نصرانياً لما جاءه ليؤمن به وقد آمن به عدى وكان من خيار الصحابة فسمعه يقرأ هذه الآية (اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح بن مريم وماأمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لااله الا هو سبحانه عما يشركون قال عدى قلت

يارسول الله ماعبدوهم. قال انهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاطاعوهم فكانت تلك عبادتهم اياهم فان أرادوا بتصديقهم كتبهم في هذه الامور او ان محمداً صلى الله عليه وسلم صدق ما عندهم مما لم يأت به الانبياء عن الله فقد كذبوا على محمد صلى الله عليه وسلم كذبا ظاهراً معلوما بالاضطرار من دينه وانما صدق ماجاءت به الانبياء قبله. وأما ما أحدثوه وابتدعوه فلم يصدقه كما انه لم يشرع لهم ان يستمروا على ما هم عليه من الشرع الاول ولو لم يكن مبدلا بل دعاهم وجميع الانس والجن الى الايمان به وبما جاء به واتباع مابعث به من الكتاب والحكمة وحكم بكفر كل من لم يتبع كتابه المنزل عليه واوجب مع خلودهم في عذاب الآخرة جهادهم فى الدنيا حتى يكون الدين كله لله وحتى تكون كلمة الله هى العليا وقد دعي أهل الكتاب من اليهود والنصارى عموما ثم كلا من الطائفتين خصوصاً في غير موضع مع دعائه الناس كلهم أهل الكتاب وغيرهم كقوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه اولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) وقال تعالى يخاطب

النصارى (يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنو بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه ان يكون له ولد له مافي السموات ومافى الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله . وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذاباً أليما ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) وقال تعالى (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم) في موضعين وقال تعالى (ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون.) أخبر سبحانه ان النصارى تركوا حظاً مما ذكرهم به وبسبب ذلك أغرى بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فعلم انه سبحانه بين انهم تركوا بعض ماجاء به المسيح ومن قبله من الانبياء واستحقوا لذلك ان يغرى بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى (يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهوآء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل) فنهاهم عن الغلو في دينهم وعن اتباع اهواء الذين ابتدعوا بدعا غيروا بها شرع المسيح فضلوا من قبل هؤلآء الاتباع وأضلوا كثيراً من هؤلآء الاتباع وغيرهم وضلوا عن سواء السبيل وهو وسط السبيل بين الضلال وقيده بعد

أن اطلقه واجمله وقال تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم لقتالهم بنفسه عام تبوك واستنفر لقتالهم جميع المؤمنين ولم يأذن لاحد من القادرين على الغزو فى التخلف ومن تخلف لانه لم ير قتالهم واجباً كان كافراً وان أظهر الاسلام كان منافقا ملعونا بين الله انه لا يغفر لهم ونهى نبيه عن الصلاة عليهم وانزل في ذلك جمهور سورة برآءة بالنقل المتواتر حتى بين كفر الذين استأذنوه في ترك الخروج معه لقتال النصارى فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شئ قدير إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني أثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم

وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جآء الحق وظهر امر الله وهم كارهون

(فصل) فتبين أن قولهم فثبت بهذا ما معنا نعم ونفا عن انجيلنا وكتبنا التي في أيدينا التهم والتبديل لها والتغيير لما فيها بتصديقه اياها ان اراد به انه ثبت ما جاءت به الانبيـاء قبله عن الله فهذا حق . ان أرادوا أنه ثبت ما هم عليه بعـد مبعثه من الشرع الذى خالف شرعه أو ما ابتدعوه مما لم يات به الانبياء عليهم السلام قبـله فهذا باطل . وان أرادوا انه صدق الفاظ الكتب التى بايدينا أى التوراة والانجيل فهذا مما يسلمه لهم بعض المسلمين وينازعهم فيـه اكثر المسلمين وان كان اكثر ذلك مما يسلمه اكثر المسلمين. فاما تحريف معاني الكتب بالتفسير والتأويل وتبديل احكامها فجميع المسلمين واليهود والنصارى يشهدون عليهم بتحريفها وتبديلها كما يشهدون هم والمسلمون على اليهود بتحريف كثير من معاني التوراة وتبديل احكامها وان كانوا هم واليهود يقولون ان التوراة لم تحرف الفاظها . وحينئذ فلا ينفعهم بقاء حروف الكتب عندهم مع تحريف معانيها الا كما ينفع اليهود بقاء حروف التوراة والنبوات عندهم مع تحريف معانيها بل جميع النبوات التى يقرون بها هى عند اليهود وهم مع اليهود ينفون عنها التهم والتبديل لالفاظها مع ان

اليهود عندهم من أعظم الخلق كفراً واستحقاقا لعذاب الله في الدنيا والآخرة وهم عند النصارى الذين يكفرون المسلمين اكثر من هؤلاء وشر منهم فان النصارى متفقون على ان المسلمين خير من اليهود وكذلك اليهود متفقون على ان المسلمين خير من النصارى بل جميع الامم المخالفين للمسلمين يشهدون ان المسلمين خير من سائر الطوائف الا انفسهم وشهادتهم لانفسهم لاتقبل فصار هذا اتفاق أهل الارض على تفضيل دين الاسلام. فعلم ان بقاء حروف الكتاب مع الاعراض عن اتباع معانيها وتحريفها. لايوجب ايمان اصحابها ولا يمنع كفرهم . وحينئذ فليس شهادة محمد صلى الله عليه وسلم وامته للمسيح عليه السلام ولما انزل عليه من الانجيل في تثبيت ما عند النصارى باعظم من شهادة المسيح عليه السلام والحواريين وسائر من اتبعه لموسى ولما انزل عليه من التوراة فى تثبيت ماعند اليهود فان المسيح امر اتباعه باتباع التوراة إلا القدر اليسير الذى نسخه منها . واما محمد صلى الله عليه وسلم فبعث بكتاب مستقل وشرع مستقل كامل تام لم يحتج معه الى شرع سابق تتعلمه امته من غيره ولا الى شرع لاحق يكمل شرعه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح انه قال قد كان فى الامم قبلكم محدثون فان يكن فى امتي أحد فعمر. فجزم بان من كان قبله كان فيهم محدثون وعلق الامر فى امته وان كان هذا المعلق قد تحقق لان أمته لاتحتاج بعده الى نبي آخر فلأن لاتحتاج معه الى محدث ملهم أولى واحرى. واما من كان قبله فانهم كانوا يحتاجون الى نبي بعد نبي فامكن حاجتهم الى المحدثين الملهمين ولهذا اذا انزل المسيح بن مريم في

امته لم يحكم فيهم الا بشرع محمد صلي الله عليه وسلم واذا كان مع هذا فشهادة المسيح والحواريين وكل من آمن بالمسيح للتوراة بانها حق ولموسي بانه رسول لايمنع كفر اليهود لكونهم بدلوا شرع التوراة وكذبوا بالمسيح وبالانجيل. فكيف تكون شهادة محمد وامته للانجيل بانه منزل من عند الله وللمسيح بانه رسول الله مانعة من كفر النصارى مع تبديلهم شرع الانجيل وتكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وشرع القرآن. واما ايمان من يؤمن منهم بان محمداً رسول الله الى العرب او بكثير مما جاء به القرآن. فلا يمنع كفرهم اذا كفروا ببعض ماجاء به بل من كذب بشيء مما جاءت به الرسل عن الله فهو كافر. وان آمن باكثر ماجاءت به الرسل كما قال تعالى (ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهينا) وقال تعالى (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) وقد صرح بكفر النصارى فى غير موضع وامر بجهادهم وقتالهم وحكم بكفر من لا يوجب جهادهم وقتالهم او لا يرى ذلك عبادة لله وطاعة له كما تقدم التنبيه على ذلك فاذا كان من لا يرى جهادهم عبادة لله كافراً عند محمد صلى الله عليه وسلم فكيف حالهم هم عنده صلى الله عليه وسلم

(فصل) واذا تبين للخاصة والعامة ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن كفر به انه كان مصدقا لما بين يديه من الكتب والانبياء

مصدقا للتوراة والانجيل شاهدا بان موسى عليه السلام ومن كان متبعا له على الحق. وان المسيح عليه السلام ومن اتبعه على الحق وان كان يكفر جميع اليهود والنصارى وغيرهم ممن بلغته رسالته ولم يؤمن به وشهد عليهم بانهم حرفوا كثيرا من معاني التوراة والانجيل قبل نبوته وان اهل الكتاب كلهم مع المسلمين يشهدون ايضا بان كثيرا من معانى التوراة والانجيل حرفها كثير من اهل الكتاب لم يجز لاحد من اهل الكتاب ان يحتج بقول محمد صلى الله عليه وسلم على صحة دينهم الذى شهد محمد صلى الله عليه وسلم بانه باطل مبدل منسوخ واهله من اهل النار كما تقدم بسطه • واذا قالوا نحن نذكر ذلك لنبين تناقضه حيث صدقها وهى تناقض بعض ما اخبر به • او لنبين ان ما اخبرت به الانبياء قبله يناقض خبره فيكون ذلك قدحا فيما جاء به • اجاب المسلمون عن هذا بعدة طرق احدها ان يقولوا • اما مناقضة بعض خبره لبعض كما يزعمه هؤلاء من ان كتابه يمدح اهل الكتاب مرة ويذمهم اخرى وانه يصدق الكتب المنزلة تارة ويذمها اخرى • فهذا قد ظهر بطلانه فانه انما مدح من اتبع موسى والمسيح على الدين الذى لم يبدل ولم ينسخ • واما من اتبع الدين المبدل المنسوخ فقد كفره فاما دعواهم مناقضة خبره لخبر غيره • فيقال هو مصدق للانبياء فيما اخبروا به • واما ما بدل من الفاظهم اوغيرها بالترجمة او فسر بغير مرادهم فلم يصدقه • ويقال ايضا ان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثبتت بمثل ما ثبتت به نبوات الانبياء قبله وباعظم من ذلك كما قد بسط فى موضع آخر وبين ان التكذيب بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم مع التصديق بنبوة غيره فى غاية التناقض والفساد وانه ما من

طريق يعلم بها نبوة غيره . إلا ونبوته تعلم مثل تلك الطريق وباعظم منها فلو لم تكن نبوته بطريق نبوتها الا مثل نبوة غيره وطريق نبواتها لوجب التصديق بنبوته كما وجب التصديق بنبوة غيره ولكان تكذيبه كتكذيب ابراهيم وموسى وغيرهما من الرسل . فكيف اذا كان ذلك اعظم من وجوه متعددة وحينئذ فالانبياء كلهم صادقون مصدقون معصومون فيما يخبرون عن الله لايجوز ان يثبت في خبرهم عن الله خبر باطل لا عمداً ولا خطأ فلا يجوز ان يخبر احدهم بخلاف ما اخبر به غيره بل ولا يفترقون في الدين الجامع كما قال تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون) وانما يقع النسخ فى بعض الشرائع كما يقع النسخ فى شريعة الرسول الواحد وحينئذ فيعلم ان كل ماينقل عن الانبياء المتقدمين مما يناقض ماعلم من اخبار محمد صلى الله عليه وسلم فهو باطل . سواء كان اللفظ نفسه باطلا لم يقله ذلك النبي . او قد قال لفظاً وغلط المترجمون له من لغة الى لغة أو كان اللفظ وترجمته صحيحين لكن وقع الغلط في معرفة مراد ذلك النبي بذلك الكلام . فان كل ما يحتج به من الالفاظ المنقولة عن الانبياء انبياء بني اسرائيل وغيرهم ممن ارسل بغير اللغة العربية لا بد فى الاحتجاج بالفاظه من هذه المقدمات ان يعلم اللفظ الذى قاله ويعلم ترجمته و يعلم مراده بذلك اللفظ . والمسلمون وأهل الكتاب متفقون

على وقوع الغلط في تفسير بعض الالفاظ وبيان مراد الانبياء بها وفي ترجمة بعضها فانك تجد بالتوراة عدة نسخ مترجمة وبينها فروق يختلف بها المعنى المفهوم وكذلك في الانجيل وغيره فهذا الطريق في الجواب طريق عام لكل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وشهد انه رسول الله باطنا وظاهرا يخاطب به كل يهودي ونصراني على وجه الارض وان لم يكن عارفا بما عند اهل الكتاب فانه لا يقدر احد من اهل الأرض يقيم دليلا صحيحاً على نبوة موسى وعيسى وبطلان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان هذا ممتنع لذاته. بل ولا يمكنه ان يقيم دليلا صحيحاً على نبوة احدهما الا واقامة مثل ذلك الدليل او اعظم منه على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم اولى وحينئذ فلا يمكن احدا من أهل الكتاب ان يحتج بشيء من المنقولات عن الانبياء المخالفة لما ثبت عن محمد صلى الله عليه وسلم سواء اقر بنبوته او أنكرها بل ان احتج بشيء مما نقل عن محمد صلى الله عليه وسلم بين له بطلان احتجاجه به وانه حجة عليه لا له. وان احتج بشيء من المنقول عن غيره من الانبياء عليهم السلام طولب بتقدير نبوة ذلك النبي مع تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم. والا فبتقدير ان ينقل عن اثنين ادعيا النبوة واتيا بالآيات التي تثبت بها النبوات خبران متناقضان . لا يجوز تصديق هذا وتكذيب ذاك ان لم تبين مايدل على صدق هذا وكذب هذا وكذلك اذا عورض أحدهما بجنس مايعارض الآخر. وهذا لا يرد على المسلمين اذا ردوا مايحتج به أهل الكتاب مما ينقلونه عن الانبياء مخالفا لخبر محمد صلى الله عليه وسلم . فان المسلمين لا يطعنون في نبوة أحد من

الانبياء المعروفين وانما يطعنون في انهم اخبروا بما يخالف خبر محمـد صلى الله عليه وسلم فان ذلك لايثبت • اى لم يثبت اللفظ والترجمة وتفسير اللفظ وهذه المقدمات تمتنع ان تقوم على شيء يخالف خبر محمد صلى الله عليه وسلم لاجملة ولاتفصيلا • فاهل الـكتاب يطالبون فيما يعارضون به بثلاث مقدمات • أحدها تقدير ان اولئك صادقون ومحمد صلى الله عليه وسلم كاذب والثانى ثبوت ما اتوا به لفظاً • والثالث معرفة المراد باللفظ ترجمة وتفسيراً. وان قال الـكتابي للمسلم انت توافقنى على نبوة هؤلآء المتقدمين. اجابه المسلم بوجوه منها ان يقول انى لم اوافقك على نبوة واحد منهم مع التكذيب بمحمد صلي الله عليه وسلم بل دين المسلمين كلهم انه من آمن ببعض الانبيآء وكفر ببعض فهو كافر فكيف بمن كفر بمن هو عنـد المسلمين افضل الانبيآء وخاتمهم بل قد يقول له اكثر المسلمين نحن لم نعلم نبوة اولئك إلا باخبار محمد انهم انبياء فلو قدحنا فى الأصل الذى قد علمنا به نبوتهم لزم القدح في نبوتهم والفرع اذا قدح فى اصـله دل على فساده فى نفسه سواء قدر اصله صحيحاً او فاسداً. فانه ان كان اصله فاسداً فسد هو وان كان اصله صحيحاً وهو يناقضه بطل هو فهو اذا ناقض اصله باطل على كل تقدير • وكذلك اذا قال له الـكتابي قد اتفقنا على تصـديق موسى والتوراة او المسيح والانجيل • قال له المسلم انما وافقتك على تصديق موسى وعيسى اللذين بشرا بمحمد صلي الله عليه وسلم كما اخبرنا به محمد صلي الله عليه وسلم عن الله حيث قال الله تعالى (ورحمتي وسعت كل شيء فسأ كتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون

الرسول النبي الامي الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر الآية وقال تعالى (واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه احمد) الى امثال ذلك فاما الايمان بموسى الذي ذكر ان شريعته موءبدة لا ينسخ منها شيء او بمسيح ادعى انه الله أو ان الله اتحد به أو حل فيه ونحو ذلك مما يدعيه أهل الكتاب في الرسولين والكتابين ويخالفهم فيه المسلمون فهذا من موارد النزاع لا من مواقع الاجماع فليس لاحد من أهل الكتاب أن يحتج على أحد من المسلمين بموافقته له على ذلك ومن تمام ذلك ان يقول المسلم نعم أنا أقر بنبوة موسى والمسيح وان التوراة والانجيل كلام الله لكن يمتنع عقلا الاقرار بنبوة واحد من هوءلاء دون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان البراهين والآيات والادلة الدالة على صدق موسى والمسيح تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الاولى فلو انتقضت تلك الادلة لزم فسادها وان لا اصدق باحد من الانبياء وان كانت حقاً لزم تصديقهم كلهم فلزم إما أن اصدقهم كلهم واما ان اكذبهم كلهم ولهذا كان من آمن ببعض وكذب ببعض كافراً . ومن الاجوبة للمسلمين ان يقولوا نحن نصدق الانبياء المتقدمين في كل ما اخبروا به لكن من نقل عنهم انهم أخبروا بما يناقض خبر محمد صلي الله عليه وسلم فلا بد له من مقدمتين • ثبوت ذلك اللفظ عن الانبياء والعلم بمعناه الذي يعلم انه مناقض للمعنى الذى علم ان محمد صلى الله عليه وسلم عناه ثم العلم باللفظ يحتاج مع الخطاب بغير السن الانبياء العربية سواء كانت عربية أو

رومية أو سريانية أو قبطية الى ان يعرف ان هذا اللفظ الذى ترجم به لفظه مطابق للفظه ويمتنع ثبوت المقدمتين لان فى ثبوتهما تناقض الادلة العلمية والادلة العلمية لا تتناقض • الطريق الثاني ان يقول المسلمون ماتذكرونه من المنقول عن الانبياء مناقضة لما اخبر به محمد صلى الله عليه وسلم أمور لم تعلم صحتها ولا يجوز اعتقاد ثبوتها والجزم بها ولو لم يعلم ان محمداً صلى الله عليه وسلم اخبر بخلافها فكيف اذا علم انه أخبر بخلافها وذلك ان العلم بثبوتها مبنى على مقدمات • أحدها العلم بنبوتهم وهذا ممتنع مع تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم • والثاني انهم قالوا هذه الالفاظ وهذا يحتاج الى اثبات تواتر هذه الالفاظ عن الانبياء ولو لم يثبت انها تواترت عنهم. والثالثة ان معناها هو المعنى المناقض لخبر محمد صلى الله عليه وسلم ولم يعلم ذلك • وكل واحدة من هذه المقدمات يمنع العلم بثبوت هذه المعاني المناقضة لخبر محمد صلى الله عليه وسلم فكيف اذا اجتمعت وهى تمنع العلم بصحتها ولو لم تناقض خبر محمد صلى الله عليه وسلم فكيف اذا ناقضته الطريق الثالث طريق من يتبين ان الفاظ هذه الكتب لم تتواتر ويثبتون ذلك بانقطاع تواتر التوراة وبسط الامر لما خرب بيت المقدس وانقطاع تواتر الانجيل في أول الامر • الطريق الرابع طريق من يبين ان بعض الفاظ الكتب حرفت ويقيم الادلة الشرعية والعقلية على تبديل بعض الفاظها . الطريق الخامس ان يبين ان الالفاظ التي بايديهم لا تناقض ما اخبر به محمد صلى الله عليه وسلم بل تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ويتكلم على تفسير تلك الالفاظ باعيانها وهذه الطرق يسلكها من لا ينازع في ثبوت الالفاظ من المسلمين . وأما

الجمهور الذين يقولون بتبديل هذه الالفاظ فيسلكون هذه الطرق ويسلكون أيضاً بيان عدم تواتر الالفاظ بل بيان التبديل في الفاظها

(فصل) ومن حجة الجمهور الذين يمنعون ان تكون جميع الفاظ هذه الكتب المتقدمة الموجودة عند أهل الكتاب منزلة من عند الله لم يقع فيها تبديل ويقولون انه وقع التبديل في بعض الفاظها أو يقولون انه لم يعلم أن الفاظها منزلة من عند الله فلا يجوز ان يحتج بما فيها من الالفاظ في معارضة ماعلم ثبوته انهم قالوا التوراة والانجيل الموجودة اليوم بيد أهل الكتاب لم تتواتر عن موسى وعيسى عليهما السلام أما التوراة فان نقلها انقطع لما خرب بيت المقدس أولا واجلى منه بنوا اسرائيل ثم ذكروا ان الذي أملاها عليهم بعد ذلك شخص واحد يقال له عازر وزعموا انه نبي ومن الناس من يقول انه لم يكن نبياً وانها قوبلت بنسخة وجدوها عتيقة • وقيل انه احضرت نسخة كانت بالمغرب وهذا كله لايوجب تواتر جميع الفاظها ولا يمنع وقوع الغلط في بعضها كما يجرى مثل ذلك في الكتب التي يلي نسخها ومقابلتها وحفظها القليل الاثنان والثلاثة وأما الانجيل الذي بايديهم فانهم معترفون بانه لم يكتبه المسيح عليه السلام ولا أملاه على من كتبه وانما أملوه بعد رفع المسيح متى ويوحنا وكانا قد صحبا المسيح ولم يحفظه خلق كثير يبلغون عدد التواتر ومرقس ولوقا وهما لم يريا المسيح عليه السلام وقد ذكر هؤلاء انهم ذكروا بعض ما قاله المسيح وبعض اخباره وانهم لم يستوعبوا ذكر اقواله وافعاله • ونقل اثنين وثلاثة

وأربعة يجوز عليهم الغلط لاسيما وقد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب ولكن النصارى يزعمون ان الحواريين رسل الله مثل عيسى ابن مريم وموسى عليهما السلام وأنهم معصومون وانهم سلموا اليهم التوراة والانجيل وان لهم معجزات وقالوا لهم هذه التوراة وهذا الانجيل ويقرون مع هذا بانهم ليسوا بانبياء فاذا لم يكونوا انبياء فمن ليس بنبي ليس بمعصوم من الخطأ ولو كان من أعظم أولياء الله ولو كان له خوارق عادات فابو بكر وعمر عثمان وعلى وغيرهم من افاضل الصحابة عند المسلمين افضل من الحواريين ولا معصوم عندهم الا من كان نبيا ودعوى انهم رسل الله مع كونهم ليسوا بانبياء تناقض وكونهم رسل الله هو مبنى على كون المسيح هو الله فانهم رسل المسيح وهذا الاصل باطل ولكن في طرق المناظرة والمجادلة بالتي هي احسن فنمنعهم في هذا المقام ونطالبهم بالدليل على انهم رسل الله وليس لهم على ذلك دليل فانه لا يثبت انهم رسل الله ان لم يثبت ان المسيح هو الله . واثباتهم ان المسيح هو الله اما ان يكون بالعقل او بالسمع . والعقل لا يثبت ذلك بل يحيله وهم لا يدعون ثبوت ذلك بالعقل . بل غاية ما يدعون اثبات امكانه بالعقل لا اثبات وجوده مع ان ذلك ايضا باطل وانما يدعون ثبوت وجوده بالسمع وهو ما ينقلونه عن الانبياء من الفاظ يدعون ثبوتها عن الانبياء ودلالتها على ان المسيح هو الله كسائر من يحتج بالحجة السمعية فان عامة بيان صحة الاسناد دون بيان دلالة المتن وكلا المقدمتين باطلة . ولكن يقال لهم في هذا المقام انتم لا يمكنكم اثبات كون المسيح هو الله الا بهذه الكتب ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب الا

بأثبات ان الحواريين رسل الله معصومون ولا يمكنهم اثبات انهم رسل الله الا بأثبات ان المسيح هو الله فصار ذلك دورا ممتنعا. فانه لاتعلم الهية المسيح الا بثبوت هذه الكتب ولاتثبت هذه الكتب الا بثبوت انهم رسل الله ولايثبت ذلك الا بثبوت انه الله فصار ثبوت الالهية متوقفاً على ثبوت آلهيته وثبوت كونهم رسل الله متوقفاً على كونهم رسل الله فصار ذلك دور ممتنعا وقد يدعون عصمة الحواريين وعصمة اهل المجامع بعد الحواريين كاهل المجمع الاول الذى كان بحضرة قسطنطين الذى حضره ثلاثمائة وثمانية عشر ووضعوا لهم الامانة التى هى عقيدة النصارى التى لايصح لهم قربان الا بها فيزعمون ان الحواريين او هؤلآء جرت على ايديهم خوارق وقد يذكرون ان منهم من جرى احياء الميت على يديه وهذا اذا كان صحيحاً مع ان صاحبه لم يذكر انه نبي لايدل على عصمته . فان اوليآء الله من الصحابة والتابعين بعدهم باحسان وسائر اوليآء الله من هذه الامة وغيرها لهم من خوارق العادات ما يطول وصفه وليس فيهم معصوم يجب قبول كل ما يقول بل يجوز الغلط على كل واحد منهم وكل احد يؤخذ من قوله ويترك الا الانبيآء عليهم السلام ولهذا اوجب الله الايمان بكل ما اوتيه الانبيآء ولم يوجب الايمان بكل ما يقوله كل ولي لله قال تعالى (قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم) وقال تعالى (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ولهذا وجب الايمان بالانبيآء جميعهم وما اوتوه كلهم، ومن كذب نبيا واحدا تعلم نبوته فهو كافر باتفاق

المسلمين ومن سبه وجب قتله كذلك . بخلاف من ليس بنبي فانه لا يكفر احد بمخالفته ولا يقتل بمجرد سبه الا ان يقترن بالسب ما يكون مبيحا للدم والذى عليه سلف الامة كالصحابة والتابعين لهم باحسان وائمة الدين وجماهير المسلمين ان افضل هذه الامة بعد نبيها ابو بكر ثم عمر وليس بعد الانبياء أفضل منهما وهذه الامة أفضل الامم وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال. قد كان قبلكم في الامم محدثون فان يكن فى امتي أحد. فعمر. والمحدث الملهم المخاطب وكان عمر قد جعل الله الحق على قلبه ولسانه وما كان يقول لشيء انى لأراه كذا وكذا الا كان كما يقول وكانت السكينة تنطق على لسانه ومع هذا فلم يكن لا هو ولا غيره ممن ليس بنبي معصوما من الغلط ولا يجب على المسلم قبول مايقوله ان لم يدل عليه الكتاب والسنة ولا كان يجوز له العمل بما يلقي في قلبه ان لم يعرضه على الكتاب والسنة فان وافق ذلك قبله وان خالف ذلك رده. وعند المسلمين انه ليس فى اتباع المسيح عليه السلام مثل ابى بكر وعمر رضوان الله عليهما فاذا قالوا عن الحواريين انهم ليسوا معصومين فهم يقولون ذلك فيمن هو عندهم أفضل من الحواريين كما انهم اذا قالوا عن المسيح انه عبد مخلوق ليس باله فهم يقولون ذلك فيمن هو عندهم أفضل من المسيح كمحمد وابراهيم عليهم أفضل الصلاة والسلام وفي الملاحدة المنتسبين الى الامة من فيه بدع من الغلو يشبه غلو النصارى من يدعي الالهية من الاسماعيلية كبنى عبيد القداح كالحاكم وغيره او من يدعي الالهية في على بن ابي طالب او غيره كدعوى النصيرية وهؤلاء كفار عند المسلمين وكذلك من يدعي

الالهية في بعض المشايخ كغلاة العدوية والحلاجية واليونسية وغيرهم وكذلك من يدعى عصمة بنى عبيد أو عصمة الاثنى عشر أو عصمة بعض المشايخ. فان النصارى يدعون عصمة الحواريين الاثنى عشر وهؤلاء يدعون عصمة الائمة الاثنى عشر. وهؤلاء يسندون أصل دينهم الي قول الحواريين المعصومين عندهم ويقولون انهم معصومون في النقل عن المسيح وفى الفتيا وان ما قالوه فقد قاله المسيح عليه أفضل الصلاة والسلام. وهؤلاء يقولون عن اولئك انهم معصومون في النقل والفتيا وان ما قالوه فقد قاله الرسول عليه السلام وهذا مبسوط فى موضع آخر. والمقصود هنا انه ليس مع النصارى نقل متواتر عن المسيح بالفاظ هذه الاناجيل ولا نقل متواتر ولا احاد باكثر ماهم عليه من الشرائع ولا عندهم ولا عند اليهود نقل متواتر بالفاظ التوراة ونبوات الانبياء كما عند المسلمين نقل متواتر بالقرآن وبالشرائع الظاهرة المعروفة للعامة والخاصة وهذا مثل الامانة التى هى أصل دينهم وصلاتهم الى المشرق واحلال الخنزير وترك الختان وتعظيم الصليب واتخاذ الصور فى الكنائس وغير ذلك من شرائعهم ليست منقولة عن المسيح ولا لها ذكر فى الاناجيل التي ينقلونها عنه. وهم متفقون على ان الامانة التي جعلوها أصل دينهم وأساس اعتقادهم ليست الفاظها موجودة في الاناجيل ولا هى مأثورة عن الحواريين وهم متفقون على ان الذين وضعوها أهل المجمع الاول الذين كانوا عند قسطنطين الذى حضره ثلاثمائة وثمان عشر وخالفوا عبد الله بن أريوس الذى جعل المسيح عبدا لله كما يقوله المسلمون ووضعوا هذه الامانة. وهذا المجمع كان بعد المسيح بمدة طويلة تزيد على ثلاثمائة

سنة وبسطه له موضع آخر وانمــا المقصود هنا الجواب عن قولهم ان محمداً صلى الله عليــه وسلم ثبت مامعهم وانه نفى عن انجيلهم وكتبهم التي بايديهم التهم والتبديل لها والتغيير لما فيها بتصديقه اياها وقد تبين أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يصدق شيئاً من دينهم المبدل والمنسوخ ولــكن صدق الانبياء قبله وما جاؤا به واثنى على من اتبعهم لا على من خالفهم أو كذب نبياً من الانبياء وان كفر النصارى من جنس كفر اليهود فان اليهود بدلوا معاني الــكتاب الاول وكذبوا بالــكتاب الثاني وهو الانجيل وكذلك النصارى بدلوا معانى الــكتاب الاول التوراة والانجيل وكذبوا بالكتاب الثاني وهو القرآن وانهم ادعوا ان محمداً صلى الله عليه وسلم صدق بجميع الفاظ الكتب التي عندهم . فجمهور المسلمين يمنعون هذا ويقولون ان بعض الفاظها بُدِّلَ كما قد بدل كثير من معانيها ومن المسلمين من يقول التبديل انما وقع في معانيها لا في الفاظها وهذا القول يقرّ به عامة اليهود والنصارى. وعلى القولين فلا حجة لهم في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم لما هم عليه من الدين الباطل فان الــكتب الالهية التي بايديهم لا تدل على صحة ما كفرهم به محمد صلى الله عليه وسلم وأمته. مثل التثليث والاتحاد والحلول وتغيير شريعة المسيح وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فليس في الــكتب التي بايديهم ما يدل لا نصاً ولا ظاهرا على الامانة التي هي اصل دينهم وما في ذلك من التثليث والاتحاد والحلول ولا فيها مايدل على اكثر شرائعهم كالصلاة الى الشرق واستحلال المحرمات من الخنزير والميتة ونحو ذلك كما قد بسط في موضع آخر(١)

(١) وسيأتي ما بدلوه من الشرائع وغيرها بنقل علمائهم في آخر هذا الــكتاب

ويقال لهم اين ما معكم عن محمد صلى الله عليه وسلم مما يدل على ان الفاظ الكتب التي بايديكم لم يغير منها شيء ومعلوم ان المسلمين وغيرهم اذا اختلفوا لم يكن قول فريق حجة على الفريق الآخر. فاذا كان المسلمون قد اختلفوا في تبديل بعض الفاظ الكتب الالهية المتقدمة لم يكن قول فريق حجة على الاخرى ولا يجوز لاحد من المسلمين ولا منكم ان يضيف الى الرسول قولا الا بدليل. فاين في القرآن والسنة الثابتة عن محمد صلى الله عليه وسلم ان جميع ما بايدى أهل الكتاب من التوراة والانجيل والزبور ونبوات الانبياء لم تبدل بشيء من الفاظها حتى يقولوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم نفى عن كتبهم ذلك. وهؤلاء بنوا كلامهم على ان الفاظ كتبهم تدل على صحة دينهم الذى هم عليه بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وبعد تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانه لم يبدل شيء من الفاظها وقد تبين فساد ذلك من وجوه متعددة. ثم زعموا ان المسلمين يدعون إن الفاظ هذه الكتب حرفت كلها بجميع لغاتها بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لم يقله أحد من المسلمين فيما أعلم وظنوا انهم بالجواب عن هذا يكونون قد أجابوا المسلمين

(فصل) فقال الحاكى عنهم فقلت لهم ان قال قائل إنّ التبديل والتغيير يجوز ان يكون بعد هذا القول. فقالوا انا نعجب من هؤلاء القوم على علمهم وذكائهم ومعرفتهم كيف يحتجون علينا بمثل هذا القول وذلك انا أيضاً اذا احتججنا عليهم بمثل هذا القول وقلنا ان الكتاب الذى في أيديهم يومنا هذا قد غيروه وبدلوه وكتبوا فيه ما أرادوا واشتهوا هل كانوا يجوزون كلامنا؟ قال الحاكى عنهم فقلت لهم هذا مما لا يجوز ولا

يمكن أحداً ان يقوله ولا يمكن ان يتغير منه الى آخر الفصل وسيأتى بالفاظ بعد هذا • والجواب ان هــذا السائل النصرانى الذي ذكر عن المسلمين سؤالا لا يقولونه وعن علماء النصارى جوابه هو وهم بنوا كلامهم على أصلين فاسدين . أحدهما ان الرسول ثبّت مامعهم ونفى عن كتبهم التي بين ايديهم التهم والتبديل والتغيير لها . ومقصودهم بذلك لا يتم الا اذا نفى التبديل عن لفظها ومعناها وهذا مما يعلم كل عاقل ان الرسول لم ينفه عنها بل النقل المتواتر عنه بنقيض ذلك . وهم أيضاً وكل عاقل يعلم ان الكتب التى بايديهم في تفسيرها من الاختلاف والاضطراب بين فرق النصارى وبين النصارى واليهود مايوجب القطع بان كثيرا من ذلك مبدل محرف وكذلك وقع فى تغيير شرائع هذه الكتب فان الكتب تضمنت أصلين الاخبار . والامر . والايمان بها لا يتم الا بتصديقها فيما أخبرت وايجاب طاعتها فيما أوجبته . وأهل الكتاب يكذبون بكثير مما اخبرت به ولا يوجبون طاعتها في كثير مما أوجبته وأمرت به وكل فرقة منهم تشهد على الفرقة الاخرى بمثل ذلك . والنصارى لهم سبع مجامع مشهورة عندهم وهم في كل مجمع يلعنون طائفة منهم كثيرة ويكفرونهم ويقولون عنهم انهم كذبوا ببعض مافي تلك الكتب ولم يوجبوا طاعة بعض امرها . وتلك الطائفة تشهد على الاخرى بانها كذبت ببعض مافيها . ثم فرقهم الثلاثة المشهورة النسطورية والملكية واليعقوبية كل طائفة تكفر الاخرى وتلعنها وتشهد عليها انها مكذبة لبعض مافي النبوات غير موجبة لطاعة بعض مافيها . بل اختلافهم في نفس التوحيد والرسالة فزعم كل فريق منهم ان المسيح جاء بما هم عليه . والمسيح عليه السلام وجميع الرسل بريئون

من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً وبريئون ممن يقول على الله غير الحق أو يقول على الله مالايعلم. وبريئون من كل قول باطل يقال على الله عز وجل وان كان قائله مخطئاً لم يتعمد الكذب وفي مقالات النصارى من هذه الانواع ما يطول وصفه وقد بسط في غير هذا الموضع. واذا عرف ان جميع الطوائف من المسلمين واليهود والنصارى يشهدون انه قد وقع في هذه الكتب تحريف وتبديل في معانيها وتفاسيرها وشرائعها فهذا القدر كافٍ وهم من حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم صار كل من لم يؤمن به كافرا بخلاف حال النصارى قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان فيهم من هو متبع لدين المسيح والمسلمون وان كان فيهم من حرف الدين وبدله فجمهورهم خالفوا هؤلاء فلا يزال فيهم طائفة ظاهرة على الحق لا يضرهم من خالفهم وخذلهم حتى تقوم الساعة بخلاف النصارى فانهم كفروا جميعهم كما كفرت اليهود بتكذيب المسيح. والمسلمون يثبتون بالدلائل الكثيرة انهم بدلوا معانى التوراة والانجيل والزبور وغيرهم من نبوات الانبياء وابتدعوا شرعا لم يات به المسيح ولا غيره ولا يقوله عاقل مثل زعمهم ان جميع بنى آدم من الانبياء والرسل وغيرهم كانوا فى الجحيم فى حبس الشيطان لاجل ان أباهم آدم أكل من الشجرة وانهم انما تخلصوا من ذلك لما صلب المسيح. فان هذا الكلام لو نقله ناقل عن بعض الانبياء لقطعنا بكذبه عليهم فكيف وهذا الكلام ليس منقولا عندهم عن احد من الانبياء وانما ينقلونه عمن ليس قوله حجة لازمة فان كثيرا من دينهم مأخوذ عن رؤسهم الذين ليسوا بانبياء فاذا قطعنا بكذب من ينقله عن

الانبياء. فكيف اذا لم ينقل عنهم ذلك فان الانبياء عليهم السلام يخبرون الناس بما تقصر عقولهم عن معرفته . لا بما يعرفون انه باطل ممتنع فيخبرونهم بمحارات العقول لا محالات العقول • وآدم عليه السلام وان كان أكل من الشجرة فقد تاب الله عليه واجتباه وهداه قال تعالى (وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) وقال تعالى (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم) وليس عند أهل الكتاب في كتبهم ماينفي توبته وانما قد يقول قائلهم انالا نعلم تاب أو ليس عندنا توبته وعدم العلم بشيء ليس علماً بعدمه وعدم وجود الشيء في كتاب من كتب الله لا ينفي ان يكون في كتاب آخر ففي التوراة ماليس في الانجيل. وفيهما ماليس في الزبور وفي الانجيل والزبور ماليس في التوراة وفي سائر النبوات مالايوجد في هذه الكتب والقرآن لو كان دون التوراة والانجيل والزبور والنبوات اوكان مثلها لامكن ان يكون فيه ماليس فيها. فكيف اذا كان أفضل واشرف وفيه من العلم أعظم مما في التوراة والانجيل وقد بين الله تعالى فضله عليهما في غير موضع كقوله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه) وقال تعالى (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن) وقال تعالى (ثم انزلنا عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) وسواء تاب آدم او لم يتب فكيف يجوز ان يكون رسل الله الذين هم أفضل منه محبوسين في حبس الشيطان في جهنم بذنبه • وابراهيم خليل الرحمن كان ابوه كافراً ولم يؤاخذه الله بذنبه فكيف يجعله الله في جهنم في حبس الشيطان

بسبب ذنب أبيه الاقصى آدم مع انه كان نبيا . ونوح عليه السلام قد مكث في قومه الف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم الى عبادة الله وحده. وأغرق الله أهل الارض بدعوته وجعل ذريته هم الباقين فكيف يكون في جهنم في حبس الشيطان لاجل ذنب آدم . وموسى بن عمران كلمه الله تكليما وأظهر على يديه من البراهين والآيات ما لم يظهر مثله على يدي المسيح وقتل نفساً لم يؤمر بقتلها فغفر الله له ذلك وله من المنزلة عند الله والكرامة ما لا يقدر قدره فكيف يكون في جهنم في حبس الشيطان. ثم أي مناسبة بين الصلب الذي هو من أعظم الذنوب سواء صلبوا المسيح أو المشبه به . وبين تخليص هؤلاء من الشيطان . فان الشيطان ان فعل ذلك بالذرية كان ظالما معتديا والله عز وجل قادر على منعه من ظلمهم بل وعلى عقوبته اذا لم ينته عن ظلمهم فلماذا أخر منعه من ظلمهم الى زمن المسيح وهو سبحانه ولي المؤمنين وناصرهم ومؤيدهم وهم رسله الذين نصرهم على من عاداهم بل اهلك اعداءهم الذين هم جند الشيطان . فكيف لا يمنع الشيطان بعد موتهم ان يظلمهم ويجعل أرواحهم في جهنم هذا ان قدر ان الشيطان كان قادرا على ذلك وكيف يجوز ان يجعل الشيطان بعد موت انبيائه واوليائه وسقوط التكليف عنهم واستحقاقهم كرامته واحسانه وجنته بحكم وعده ومقتضى حكمته وجعله مسلطا على حبسهم في جهنم . وان قالوا الرب عز وجل ما كان يقدر على تخليصهم من الشيطان مع علمه بانه ظالم معتد عليهم بعد الموت الا بان يحتال عليه باخفاء نفسه ليتمكن الشيطان منه كما يزعمون فهذا مع ما فيه من الكفر العظيم وجعل الرب سبحانه عاجزاً كما جعلوه

اولاظالماً . فيه من التناقض مايقتضى عظيم جهلهم الذى جعلوا به الرب جاهلا فانهم يقولون انه احتال على الشيطان ليأخذه بعدل كما احتال الشيطان على آدم بالحية فاختفى منه لئلا يعلم انه ناسوت الاله وناسوت الاله لم يعمل خطيئة قط بخلاف غيره • فاما اراد الشيطان أخذ روحه ليحبسه فى جهنم كسائر من مضى وهو لم يعمل خطيئة . استحق الشيطان ان يأخذه الرب ويخلص الذرية من حبسه • وهذا تجهيل منهم للرب سبحانه وتعالى عما يقولون مع تعجيزه وتظليمه • فانه ان كان هو سلط الشيطان على بنى آدم كما يقولون • فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره اذ الجميع بنى آدم • وايضاً فاذا قدر ان الناسوت دفع الشيطان عن نفسه بحق فانهم يقولون انه دخل الجحيم واخرج منه ذرية آدم • فيقال ان كان تسلط الشيطان على حبسهم فى الجحيم بحق لاجل ذنوبهم مع ذنب ابيهم لم يجز اخراجهم لاجل سلامة ناسوت المسيح من الذنب • وان كانوا مظلومين مع الشيطان • وجب تخليصهم قبل صلب الناسوت ولم يجز تأخير ذلك فليس فى مجرد سلامة المسيح من الذنوب ما يوجب سلامة غيره • وان قالوا انه كان بدون تسلطهم على صلبه عاجزا عن دفعه فهو مع تسلطه على صلبه اعجز واعجز . الاصل الثاني الفاسد الذى بنوا عليه سؤالهم الذى جعلوه من جهة المسلمين وجوابهم ظنهم ان المسلمين يقولون ان هذه الكتب حرفت الفاظ جميع النسخ الموجودة منها بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم . وهذا مما لا يقوله المسلمون ولكن قد يقول بعضهم انه حرف بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم الفاظ بعد النسخ فان الجمهور الذين يقولون ان بعض الفاظها حرفت

منهم من يقول كان هذا قبل البعث . ومنهم من يقول كان بعده • ومنهم من يثبت الامرين او يجوزها • ولكن لا يقولون انه حرفت الفاظ جميع النسخ الموجودة في مشارق الارض ومغاربها كاحكاه هذا الحاكى عنهم ولكن علمآء المسلمين وعلمآء اهل الكتاب متفقون على وقوع التحريف في المعاني والتفسير • وان كانت كل طائفة تزعم ان الاخرى هى التي حرفت المعانى واما الفاظ الكتب فقد ذهبت طائفة من علمآء المسلمين الى ان الفاظهالم تبدل كما يقول ذلك من يقوله من اهل الكتاب وذهب كثير من علمآء المسلمين واهل الكتاب الى انه بدل بعض الفاظها وهذا مشهور عن كثير من علمآء المسلمين وقاله ايضا كثير من علمآء اهل الكتاب حتى في صلب المسيح ذهبت طائفة من النصارى الى انه انما صلب الذى شبه بالمسيح كما اخبر به في القرآن وان الذين اخبروا بصلبه كانوا قد اخبروا بظاهر الامر فانه لما القى شبهه على المصلوب ظنوا انه هو المسيح او تعمدوا الكذب ثم هؤلآء منهم الذين يقولون ان في الفاظ الكتب ما هو مبدل . وفيهم من يجعل المبدل من التوراة والانجيل كثير منهما . وربما جعل بعضهم المبدل اكثرها لاسيما الانجيل فان الطعن فيه اكثر واظهر منه في التوراة . ومن هؤلآء من يسرف حتى يقول انه لاحرمة لشيء منهما بل يجوز الاستنجآء بهما . ومنهم من يقول الذى بدلت الفاظه قليل منهما وهذا اظهر . والتبديل فى الانجيل اظهر بل كثير من الناس يقول هذه الاناجيل ليس فيها من كلام الله الا القليل . والانجيل الذى هو كلام الله ليس هو هذه الاناجيل . والصحيح ان هذه التوراة والانجيل الذى بايدي اهل الكتاب فيه ما هو حكم

الله وان كان قد بدّل وغيّر بعض الفاظها لقوله تعالى (يايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم) الى قوله (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله) فعلم ان التوراة التي كانت موجودة بعد خراب بيت المقدس بعد مجيء بخت نصر وبعد مبعث المسيح وبعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فيها حكم الله • والتوراة التي كانت عند يهود المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وان قيل انه غير بعض الفاظها بعد مبعثه فلا نشهد على كل نسخة في العالم بمثل ذلك فان هذا غير معلوم لنا وهو ايضاً متعذر بل يمكن تغيير كثير من النسخ واشاعة ذلك عند الاتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس الا ما غير بعد ذلك ومع هذا فكثير من نسخ التوراة والانجيل متفقة فى الغالب انما يختلف في اليسير من الفاظها فتبديل الفاظ اليسير من النسخ بعد مبعث الرسول ممكن لا يمكن احدا ان يجزم بنفيه ولا يقدر احد من اليهود والنصارى ان يشهد بان كل نسخة فى العالم بالكتابين متفقة الالفاظ اذ هذا لاسبيل لاحد الى علمه • والاختلاف اليسير في الفاظ هذه الكتب موجود فى الكثير من النسخ كما قد تختلف نسخ بعض كتب الحديث او تبدل بعض الفاظ بعض النسخ وهذا بخلاف القرآن المجيد الذى حفظت الفاظه فى الصدور وبالنقل المتواتر لا يحتاج ان يحفظ فى كتاب كما قال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وذلك ان اليهود قبل النبي صلى الله عليه وسلم وعلى عهده وبعده منتشرون في مشارق الارض

ومغاربها وعندهم نسخ كثيرة من التوراة • وكذلك النصارى عندهم نسخ كثيرة من التوراة ولم يتمكن احد من جمع هذه النسخ وتبديلها ولو كان هذا ممكنا لكان ذلك من الوقائع العظيمة التي تتوفر الدواعي على نقلها وكذلك في الانجيل قال تعالى (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه)فعلم ان في هذا الانجيل حكما انزله الله تعالى لكن الحكم هو من باب الامر والنهي • وذلك لايمنع ان يكون التغيير في باب الاخبار وهو الذى وقع فيه التبديل لفظا • واما الاحكام التي في التوراة فما يكاد احد يدعي التبديل في الفاظها وقد ذكر طائفة من العلماء ان قوله تعالى في الانجيل (وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه) هو خطاب لمن كان على دين المسيح قبل النسخ والتبديل لا الموجودين بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم • وهذا القول يناسب مناسبة ظاهرة لقراءة من قرأ وليحكم اهل الانجيل بكسر اللام كقرآءة حمزة فان هذه لام كي فانه تعالى قال (وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونورٌ ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون) فاذا قرأ وليحكم كان المعنى وآتيناه الانجيل لكذا وكذا وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه وهذا يوجب الحكم بما انزل الله في الانجيل الحق . لايدل على ان الانجيل الموجود في زمن الرسول هو ذلك الانجيل . واما قرآءة الجمهور وليحكم أهل الانجيل فهو أمر بذلك • فمن العلماء من قال هو أمر لمن كان الانجيل الحق موجوداً عندهم ان يحكموا بما أنزل الله فيه وعلى

هذا يكون قوله تعالى وليحكم أمرهم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم • وقال آخرون لاحاجة الى هذا التكليف فان القول في الانجيل كالقول في التوراة وقد قال تعالى (يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يؤتاك يحرفون الكلم عن مواضعه يقولون ان اوتيتم هـذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب أكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعنـدهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنـا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الـكافرون وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ثم قفينا على آثارهم بعيسى بن مريم وآتيناه الانجيل) فهذا قد صرح بان اولئك الذين تحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود عندهم التوراة فيها حكم الله ثم تولوا عن حكم الله وقال بعـد ذلك

وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه (وهذا لام الامر وهو امر من الله انزله على لسان محمد. وامر من مات قبل هذا الخطاب ممتنع وانما يكون الامر أمراً لمن آمن به من بعد خطاب الله لعباده بالامر فعلم انه امر لمن كان موجودا حينئذ ان يحكموا بما انزل الله في الانجيل والله انزل في الانجيل الامر باتباع محمد صلى الله عليه وسلم كما أمر به في التوراة فليحكموا بما انزل الله في الانجيل مما لم ينسخه محمد صلى الله عليه وسلم كما امر اهل التوراة ان يحكموا بما انزله مما لم ينسخه المسيح • وما نسخه فقد امروا فيها باتباع المسيح وقد امروا في الانجيل باتباع محمد صلى الله عليه وسلم لمن حكم من أهل الكتاب بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم بما انزل الله في التوراة والانجيل لم يحكم بما يخالف حكم محمد صلى الله عليه وسلم اذ كانوا مأمورين في التوراة والانجيل باتباع محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل . وقال تعالى (ثم انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من التوراة ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) فجعل القرآن مهيمنا. والمهيمن الشاهد الحاكم المؤتمن فهو يحكم بما فيها مما لم ينسخه الله ويشهد بتصديق ما فيها مما لم يبدل ولهذا قال (ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقد ثبت في الصحاح والسنن والمسانيد هذا ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال • ان اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان امرأة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله

عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم قالوا نفضحهم ويجلدون . فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله أرفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم . فقالوا صدق يا محمد فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما واخرج البخاري عن عبد الله بن عمر انه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى ويهودية قد زنيا فانطلق حتى جاء يهود فقال ما تجدون في التوراة على من زنى قالوا نسوّد وجوههما ويطاف بهما. قال فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين قال فجاؤا بها فقرؤها حتى اذا مروا بآية الرجم وضع الفتى الذي يقراء يده على آية الرجم وقرأ ما بين يديها وما وراءها فقال عبد الله بن سلام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مُره فليرفع يده فرفعها فاذا تحتها آية الرجم. قالوا صدق فيها آية الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا وان احبارنا احدثوا التحميم والتجبية فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجمهما فرجما . واخرج مسلم عن البرآء بن عازب رضى الله عنه انه قال مر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهودى محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزانى في كتابكم قالوا نعم . فدعى رجلاً من علمائهم فقال انشدك الله الذى انزل التوراة على موسى اهكذا تجدون حد الزانى في كتابكم . قال لا ولولا انك نشدتنى بهذا لم اخبرك نجده الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد

مكان الرجم. فقال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم اللهم اني أول من احيي امرك إذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله تعالى (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الـكفر من الذين قالوا آمنـا بافواههم الى قوله واولئك هم الكافرون الى الظالمون الى الفاســقون قال هي في الـكفار كلها. وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله انه قال رجم النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من أسلم ورجلا من اليهود. واما السنن ففى سنن ابي داود عن زيد بن اسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال اتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القف فاتاهم فى بيت المدراس فقالوا ياابا القاسم ان رجلا منا زنا بامرأةٍ فاحكم بينهم فوضعوا لرسول الله صلي الله عليه وسلم وسادة فجلس عليهـا ثم قال ائتوني بالتوراة فاتي بها فنزع الوسادة من تحته ووضع التوراة عليهـا وقال آمنت بك وبمن انزلك ثم قال ائتوني باعلمكم فاتى بشاب ثم ذكر قصة الرجم واخرج ايضا ابو داود وغيره عن ابي هريرة انه قال زني رجل من اليهود بامرأة فقال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى هذا النبي فانه نبي بعث بالتخفيف فان افتانا بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله فقلنا نبي من انبيائك قالوا فاتوا النبي صلي الله عليـه وهو جالس في المسجد في أصحابه فقالوا ياابا القاسم ما ترى في رجل وامرأة منهم زنيا فلم يكلمهم كلمة حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال انشدكم بالله الذى انزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى اذا احصن ، قالوا نحمم ونجبيه ونجلده والتجبية ان يحمـل الزانيان على حمار ويقابل اقفيتهما ويطاف بهما . قال وسكت شاب منهم

فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم ساكتاً أنشده فقال اللهم إذ انشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم • فقال النبي صلى الله عليه وسلم فما اول ما ارتخصتم أمر الله قال زنى ذو قرابة من ملك من ملوكنا فاخر عنه الرجم ثم زنى رجل في أسره من الناس فاراد رجمه فحال قومه دونه • وقالوا لا يرجم صاحبنا حتى يجيء بصاحبك فترجمه فاصطلحوا هذه العقوبة بينهم قال النبي صلى الله عليه وسلم فاني أحكم بما في التوراة فامر بهما فرجما قال الزهري فبلغنا ان هذه الآية نزلت فيهم (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا) وكان النبي صلى الله عليه وسلم منهم وأيضاً فقد تحاكموا اليه في القود الذى كان بين بني قريظة والنضير وكان النضير أشرف من قريظة فكان اذا قتل بعض احدى القبيلتين قتيلا من الاخرى فيقتلونه ولم يضعفوا الدية واذا قتل من القبيلة الشريفة قتلوا به واضعفوا الدية .قال ابو داود سليمان بن الاشعث في سننه حدثنا محمد بن العلا حدثنا عبيد الله بن موسى عن علي بن صالح عن سماك ابن حرب عن عكرمة عن بن عباس قال كان قريظة والنضير وكان النضير اشرف من قريظة فكان اذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قتل به واذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة ودي مائة وسق من تمر • فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا ادفعوه الينا نقتله فقالوا بيننا وبينكم محمد فاتوه فنزلت (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) والقسط النفس بالنفس ثم نزلت (افحكم الجاهلية يبغون) قال ابو داود قريظة والنضير من ولد هارون • وبسط هذا له موضع آخر وعلى كل قول فقد أخبر الله عز

وجل ان في التوراة الموجودة بعد المسيح عليه السلام حكم الله وان أهل الكتاب اليهود تركوا حكم الله الذى في التوراة مع كفرهم بالمسيح وهذا ذم من الله لهم على ماتركوه من حكمه الذى جاء به الكتاب الاول ولم ينسخه الرسول الثاني وهذا من التبديل الثاني الذى ذموا عليه ودل ذلك على ان في التوراة الموجودة بعد مبعث المسيح حكما انزله الله امروا أن يحكموا به وهكذا يمكن أن يقال في الانجيل ومعلوم أن الحكم الذى أمروا أن يحكموا به من أحكام التوراة لم ينسخه الانجيل ولا القرآن فكذلك.ما امروا أن يحكموا به من أحكام الانجيل هو مالم ينسخه القرآن وذلك ان الدين الجامع ان يعبد الله وحده ويأمر بما أمر الله به ويحكم بما انزله الله في أى كتاب انزله ولم ينسخه فانه يحكم به.ولهذا كان مذهب جماهير السلف والائمة ان شرع من قبلنا شرع لنا مالم يردشرعنا بخلافه.ومن حكم بالشرع المنسوخ فلم يحكم بما انزل الله كما ان الله امر أمة محمد صلي الله عليه وسلم ان يحكموا بما انزل الله في القرآن وفيه الناسخ والمنسوخ.فهكذا القول في جنس الكتب المنزلة قال تعالى (ثم انزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان أحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك وإن تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان

كثيراً من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لايهدى القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتى بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا فى انفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشأ والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون) فقد أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما أنزل الله اليه وحذره اتباع اهوائهم وبين ان المخالف لحكمه هو حكم الجاهلية حيث قال تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) وأخبره تعالى انه جعل لكل من أهل التوراة والانجيل والقرآن شرعة ومنهاجاً .وأمره تعالى بالحكم بما انزل الله أمر عام لاهل التوراة والانجيل والقرآن ليس لاحد في وقت من الاوقات ان يحكم بغير ما انزل الله . والذى انزله الله هو دين واحد اتفقت عليه الكتب والرسل وهم متفقون في اصول الدين وقواعد الشريعة وان تنوعوا في الشرعة والمنهاج بين ناسخ ومنسوخ فهو شبيه بتنوع حال

الكتاب فان المسلمين كانوا أولا مأمورين بالصلاة لبيت المقدس ثم امروا ان يصلوا الى المسجد الحرام وفي كلا الامرين انما اتبعوا ما انزل الله عز وجل • وكذلك موسى عليه السلام كان مأموراً بالسبت محرماً عليه ما حرمه الله في التوراة وهو متبع ما انزله الله عز وجل والمسيح صلي الله عليه وسلم أحل بعض ما حرمه الله في التوراة وهو متبع ما انزل الله عزّ وجلّ فليس فى أمر الله لاهل التوراة والانجيل أن يحكموا بما أنزل الله أمرٌ بما نسخ كما إنه ليس فى أمر أهل القرآن ان يحكموا بما انزل ألله امر بما نسخ بل اذا كان ناسخ ومنسوخ فالذى انزل الله هو الحكم بالناسخ دون المنسوخ. فمن حكم بالمنسوخ فقد حكم بغير ما انزل الله ومما يوضح هذا قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب لستم على شيءٌ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين) فان هذا يبين ان هـذا أمر لمحمد صلي الله عليه وسلم ان يقول لاهل الكتاب الذى بعث اليهم انهم ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراه والانجيل وما انزل اليهم من ربهم. فدل ذلك على انهم عندهم ما يعلم انه منزل من الله وانهم مأمورون باقامته اذ كان ذلك مما قرره محمد صلى الله عليه وسلم ولم ينسخه ومعلوم ان كل ما أمر الله به على لسان نبي ولم ينسخه النبى الثاني بل اقرّه كان الله امر به على لسان نبي بعد نبى ولم يكن في بعثة الثانى ما يسقط وجوب اتباع ما أمر به النبى الاول وقرره النبى الثانى ولا يجوز ان يقال ان الله بنسخ بالكتاب الثانى جميع ما شرعه بالكتاب الاول. وانما المنسوخ قليل بالنسبة الى ما اتفقت عليه الكتب والشرائع

وأيضاً ففي التوراة والانجيل ما دل على نبوة محمد صلي الله عليه وسلم فاذا حكم أهل التوراة والانجيل بما انزل الله فيهما حكموا بما اوجب عليهم اتباع محمد صلي الله عليه وسلم • وهذا يدل على ان في التوراة والانجيل ما يعلمون ان الله انزله اذ لا يؤمرون ان يحكموا بما انزل الله ولا يعلمون ما انزل الله. والحكم انما يكون في الامر والنهى. والعلم ببعض معاني الكتب لا ينافي عدم العلم ببعضها وهـذا متفق عليه في المعانى فان المسلمين واليهود والنصارى متفقون على ان في الكتب الالهية الامر بعبادة الله وحده لا شريك له وانه أرسل الى الخلق رسلا من البشر وانه أوجب العدل وحرم الظلم والفواحش والشرك وامثال ذلك من الشرائع الكلية وان فيها الوعد بالثواب والوعيد بالعقاب بل هم متفقون على الايمان باليوم الآخر وقد تنازعوا في بعض معانيها واختلفوا في تفسير ذلك كما اختلفت اليهود والنصارى في المسيح المبشر به النبوات هل هو المسيح بن مريم عليه السلام او مسيح آخر ينتظر والمسلمون يعلمون ان الصواب في هذا مع النصارى لكن لا يوافقونهم على ما احدثوا فيه من الافك والشرك. وكذلك يقال اذا بدل قليل من الفاظها الخبرية لم يمنع ذلك ان يكون اكثر الفاظها لم يبدل لا سيما اذا كان في نفس الكتاب ما يدل على المبدل. وقد يقال ان ما بدل من الفاظ التوراة والانجيل ففي نفس التوراة والانجيل ما يدل على تبديله فبهذا يحصل الجواب عن شبهة من يقول انه لم يبدل شيء من الفاظها فانهم يقولون اذا كان التبديل قد وقع في الفاظ التوراة والانجيل قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لم يعلم الحق من الباطل فسقط الاحتجاج بهما

ووجوب العمل بهما على اهل الكتاب فلا يذمون حينئذ على ترك
اتباعهما. والقرآن قد ذمهم على ترك الحكم بما فيهما واستشهد بهما في
مواضع. وجواب ذلك انّ ما وقع من التبديل قليل والاكثر لم يبدل
والذي لم يبدل فيه الفاظ صريحة بينة بالمقصود تبين غلط ما خالفها
ولها شواهد ونظائر متعددة يصدق بعضها بعضاً. بخلاف المبدل فانه
الفاظ قليلة وسائر نصوص الكتب يناقضها وصار هذا بمنزلة كتب الحديث
المنقولة عن النبي صلى الله عليه وسلم فانه اذا وقع في سنن ابي داود
والترمذي او غيرهما احاديث قليلة ضعيفة كان في الاحاديث الصحيحة
الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يبين ضعف تلك بل وكذلك
صحيح مسلم فيه الفاظ قليلة غلط. وفي نفس الاحاديث الصحيحة مع
القرآن ما يبين غلطها مثل ماروي ان الله خلق التربة يوم السبت وجعل
خلق المخلوقات في الايام السبعة فان هذا الحديث قد بين ائمة الحديث
كيحيي بن معين وعبد الرحمن بن مهدي والبخاري وغيرهم انه غلط
وانه ليس في كلام النبي صلى الله عليه وسلم بل صرح البخاري في تاريخه
الكبير انه من كلام كعب الاحبار كما قد بسط في موضعه. والقرآن يدل
على غلط هذا وبين ان الخلق في ستة ايام وثبت في الصحيح ان آخر
الخلق كان يوم الجمعة فيكون اول الخلق يوم الاحد. وكذلك ماروي انه
صلى الله عليه وسلم صلى الكسوف بركوعين او ثلاثة فان الثابت المتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة
وابن عباس وعبد الله بن عمرو وغيرهم انه صلى كل ركعة بركوعين
ولهذا لم يخرج البخاري الا ذلك. وضعف الشافعي والبخاري واحمد

في اخذ الروايتين عنه وغيرهم حديث الثلاثة والاربع فان النبي صلى الله عليه وسلم انما صلى الكسوف مرة واحدة وفي حديث الثلاث والاربع انه صلاها يوم مات ابراهيم ابنه واحاديث الركوعين كانت ذلك اليوم فمثل هذا الغلط اذا وقع كان في نفس الاحاديث الصحيحة ما يبين انه غلط والبخاري اذا روى الحديث بطرق في بعضها غلط في بعض الالفاظ. ذكر معه الطرق التي تبين ذلك الغلط كما قد بسطنا الكلام على ذلك في موضعه فكذلك اذا قيل انه وقع تبديل في بعض الفاظ الكتب المتقدمة كان في الكتب ما يبين ذلك الغلط وقد قدمنا ان المسلمين لا يدعون ان كل نسخة في العالم من زمن محمد صلى الله عليه وسلم بكل لسان من التوراة والانجيل والزبور بدلت الفاظها فان هذا لا اعرف احدا من السلف قاله وان كان من المتأخرين من قد يقول ذلك كما في بعض المتأخرين من يجوز الاستنجاء بكل ما في العالم من نسخ التوراة والانجيل فليست هذه الاقوال ونحوها من اقوال سلف الامة وائمتها وعمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما رأى بيد كعب الاحبار نسخة من التوراة قال يا كعب ان كنت تعلم ان هذه هي التوراة التي انزلها الله على موسى بن عمران فاقراها فعلق الامر على ما يمتنع العلم به ولم يجزم عمر رضي الله عنه بأن الفاظ تلك مبدلة لما لم يتأمل كل ما فيها. والقرآن والسنة المتواترة يدلان على ان التوراة والانجيل الموجودين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيهما ما انزله الله عز وجل والجزم بتبديل ذلك في جميع النسخ التي في العالم متعذر ولا حاجة بنا الى ذكره ولا علم لنا بذلك ولا يمكن احداً من أهل الكتاب ان يدعي ان كل

نسخة فى العالم بجميع الالسنة من الكتب متفقة على لفظ واحد فان هذا مما لا يمكن أحداً من البشر ان يعرفه باختياره وامتحانه وانما يعلم مثل هذا بالوحى والا فلا يمكن أحداً من البشر ان يقابل كل نسخة موجودة في العالم بكل نسخة من جميع الالسنة بالكتب الاربعة والعشرين وقد رأيناها مختلفة في الالفاظ اختلافا بينا. والتوراة هي أصح الكتب واشهرها عند اليهود والنصارى ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى حتى في نفس الكلمات العشر ذكر في نسخة السامرة منها من أمر استقبال الطور ماليس فى نسخة اليهود والنصارى وهذا مما يبين أن التبديل وقع فى كثير من نسخ هذه الكتب فان عند السامرة نسخاً متعددة وكذلك رأينا فى الزبور نسخاً متعددة تخالف بعضها بعضاً مخالفة كثيرة فى كثير من الالفاظ والمعانى يقطع من رآها ان كثيراً منها كذب على زبور داود ليست من زبور داوود عليه السلام. واما الاناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه فى التوراة. فان قيل فاذا كانت الكتب المتقدمة منسوخة فلما ذا ذم أهل الكتاب على ترك الحكم بما انزل الله منها. قيل النسخ لم يقع الا في قليل من الشرائع والا فالاخبار عن الله وعن اليوم الآخر وغير ذلك لا نسخ فيه. وكذلك الدين الجامع والشرائع الكلية لا نسخ فيها وهو سبحانه ذمهم على ترك اتباع الكتاب الاول لان أهل الكتاب كفروا من وجهين. من جهة تبديلهم الكتاب الاول وترك الايمان والعمل ببعضه. ومن جهة تكذيبهم بالكتاب الثاني وهو القرآن كما قال تعالى (واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق

مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) فبين انهم كفروا قبل مبعثه بما انزل عليهم وقتلوا الانبياء كما كفروا حين مبعثه بما انزل عليه وقال تعالى (وقالوا لن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) وقال تعالى (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) وقال تعالى (فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما أوتي موسى اولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين) واذا كان الامر كذلك فهو سبحانه يذمهم على ترك اتباع ما أنزله في التوراة والانجيل وعلى ترك اتباع ما انزله فى القرآن وبين كفرهم بالكتاب الاول وبالكتاب الثانى وليس في شيء من ذلك امرهم أن يحكموا بالمنسوخ من الكتاب الاول كما ليس فيه أمرهم ان يحكموا بالمنسوخ فى الكتاب الثانى

تم الجزء الاول من كتاب الجواب الصحيح ويليه

الجزء الثانى أوله فصل فحينئذ

فقولهم انا نعجب من

هؤلاء القوم على

علمهم وذكائهم

فهرست الجزء الاول من الجواب الصحيح

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ خطأ وصواب ﴾

صحيفة	سطر	صواب	خطأ
١٧	١١	ذرأنا	زرأنا
١٩	٦	ازهق	اذهق
٢٠	١٨	كل ما	كلما
٢٢	١٣	الملل	الملك
٢٣	١٣	قولهم	قوله
٢٥	١٥	جذعا	جزعا
٤٠	١٥	عربي	عرب

